

المجلد

بحار اللؤلؤ

٢

مؤسسة
الوفاء

مجلد الأعداء

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

تأليف

العلم العلامة أئمة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي

«قدس سره»

مؤسسة الوفاء
بيروت - لبنان



مَجَلَّةُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرْرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطَهَارِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَمُ الْعَلَامَةُ الْمُحَجَّةُ فخر الأُمَّةِ الْمُؤَلَّى

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْمُجَلِّسِيِّ

« قَدَّرَ اللهُ لَهُ »

الجزء الثالث



كَافُّ الْحُقُوقِ لِمَحْفُوظَةِ وَمَسْجَلَةِ

الطبعة الثانية المصححة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م



مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - صرْب: ١٤٥٧ - هاتف: ٣٨٦٨٦٨

Books.Rafed.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيد الموحدين و فخر العارفين محمد و أهل بيته الطاهرين الغر الميامين .

كتاب التوحيد : وهو المجلد الثاني من كتاب بحار الأنوار تأليف المذنب الخاطيء الخاسر محمد المدعو بباقر ابن مروج أخبار الأئمة الطاهرين و محيي آثار أهل بيت سيد المرسلين صلى الله عليه و آله أجمعين محمد الملقب بالتقي حشره الله تعالى مع مواليه شفعا يوم الدين .

﴿ باب ١ ﴾

﴿ ثواب الموحدين والعارفين ، وبيان وجوب المعرفة وعلته ﴾

﴿ وبيان ماهو حق معرفته تعالى ﴾

١ - يد ، لى : حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوي ، عن علي بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي ، عن عبدالله بن حماد الأنصاري ، عن الحسين بن يحيى ابن الحسين ، عن عمرو بن طلحة ، عن أسباط بن نصر ، عن عكرمة ، ^(١) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : والذي بعثني بالحق بشيراً لا يعذب الله بالنار موحداً أبداً وإن أهل التوحيد ليشفعون فيشفعون . ثم قال ﷺ : إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار ، فيقولون : يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنا نوحده في دار الدنيا ؟ وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في

(١) بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء المهملة هو مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله

كان من علماء العامة ، سمع من ابن عباس ، مات سنة ١٠٥ او ١٠٧ على اختلاف ولم يرد من الاخبار أو علماء الرجال ما يدل على توثيقه .

دار الدنيا؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلا أنت؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفرناها لك في التراب؟^(١) أم كيف تحرق أيدينا و قد رفعتها بالدعاء إليك؟ فيقول الله جلَّ جلاله: عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنم. فيقولون: ياربنا عفوك أعظم أم خطيئتنا؟ فيقول تبارك وتعالى: بل عفوي، فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا؟ فيقول عزَّ وجلَّ: بل رحمتي، فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا؟ فيقول تعالى: بل إقراركم بتوحيدي أعظم، فيقولون: ياربنا فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كل شيء، فيقول الله جلَّ جلاله: ملائكتي! وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليَّ من المقرِّين بتوحيدي، وأن لا إله غيري: وحقُّ عليَّ أن لأصلي أهل توحيد، ادخلوا عبادي الجنة.

بيان: قوله: وحقُّ عليَّ الظاهر أنه اسم أي واجب ولازم عليَّ، ويمكن أن يقرأ على صيغة الماضي المعلوم والمجهول؛ قال الجوهرِيُّ: قال الكسائيُّ: يقال: حقُّ لك أن تفعل هذا وحققت أن تفعل هذا بمعنى، وحقُّ له أن يفعل كذا وهو حقيق به و محقوق به أي خليق له، وحقُّ الشيء يحقُّ بالكسر أي وجب. وقال: يقال: صليت الرجل ناراً: إذا أدخلته النار وجعلته يصلها، فإن ألقته فيها إلقاءً كأنك تريد الإحراق قلت: أصلية «بالألف» وصلية تصلية. وقال: صلى فلان النار يصلي صلياً احترق

٢ - يد، لى: الحسن بن عبدالله بن سعيد، عن محمد بن أحمد بن حمدان القشيري عن أحمد بن عيسى الكلابي، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر،^(٢) عن أبيه

(١) عفر وجهه بالتراب أي مرَّغه ودست فيه.

(٢) هو صاحب كتاب الجعفریات، المترجم في ص ١٩ من رجال النجاشي بأنه سكن مصر وولده بها، وله كتب بره بها عن أبيه، عن آباءه، منها: كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب الجنائز، كتاب الطلاق، كتاب النكاح، كتاب الحدود، كتاب الدعاء، كتاب السنن والاداب، كتاب الرؤيا. أخبرنا الحسين بن عبيدالله قال: حدثنا أبو محمد سهل بن أحمد بن سهل، قال: حدثنا أبو علي محمد بن محمد الأشعث بن محمد الكوفي بمصر قراءة عليه، قال حدثنا موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال: حدثنا أبي بكتبه انتهى. أقول: ويسمى الجعفریات الأشعثيات أيضاً لرواية محمد بن محمد الأشعث ذلك، وللعلامة النوري حول الكتاب و صاحبه كلام في ج ٣ من المستدرک ص ٢٩٠.

عن أبيه جعفر بن محمد ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام في قول الله عز وجل : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن الله عز وجل قال : ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة .

ما : شيخ الطائفة ، عن الحسين بن عبيد الله الغضائري ، عن الصدوق بالإسناد مثله .

ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن أحمد بن إسحاق بن عباس بن إسحاق بن موسى ابن جعفر ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله .

٣ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن جعفر بن محمد بن جعفر العلوي ، عن محمد بن علي ابن الحسين بن زيد ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التوحيد ثمن الجنة . الخبر .

٤ - ع ، ل . في خبر أسماء النبي وأوصافه صلى الله عليه وآله : وجعل اسمي في التورية أحميد فبالتوحيد حرّم أجساد أمتي على النار .

٥ - ثويد : ابن الوليد ، عن سعد ، عن أحمد بن هلال ، عن ابن فضال ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله ، لأن الله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد .

بيان : لعلّ التعليل مبني على أنه إذا لم يعدله تعالى شيء لا يعدل ما يتعلّق بألوهيته وكما له ووجدانيته شيء إذ هذه الكلمة الطيبة أدلُّ الأذكار على وجوده ووجدانيته ، واتصافه بالكمالات ، وتنزُّهه عن النقائص ، ويحتمل أن يكون المراد أنّها لما كانت أصدق الأقوال فكانت أعظمها ثواباً .

٦ - يد : ابن المتوكل ، عن الأسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضمناً قال : قلت : وما هو ؟ قال : ضمن له إن هو أقرّاه بالربوبية ، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ، ولعلي عليه السلام بالإمامة . وأدّى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره . قال : قلت : فهذه

والله هي الكرامة التي لا يشبهها كرامة الآدميين . قال : ثم قال أبو عبد الله عليه السلام :
اعملوا قليلاً تتنعموا كثيراً .

٧ - يد : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن زياد
الكرخي ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
من مات ولا يشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنة .

يد : القطان ، عن السكري ، عن الجوهري ، عن جعفر بن محمد بن عمارة ، عن
أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وآله مثله .

٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن ابن أسباط ، عن
البطائني^(١) ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : هو أهل التقوى و
أهل المغفرة قال : قال الله تبارك و تعالى أنا أهل أن اتقى ولا يشرك بي عبدي شيئاً ، وأنا
أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أدخله الجنة . وقال عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى
أقسم بعزته و جلاله أن لا يعذب أهل توحيد بال نار أبداً .

٩ - يد : السناني ، عن الأسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن علي بن
سالم ،^(٢) عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى حرّم أجساد
الموحدين على النار .

١٢ - ثو ، يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سيف ، عن أخيه

(١) بالباء المفتوحة والطاء المهملة المفتوحة والالف ثم الهمزة المكسورة ، هو علي بن أبي حمزة
سالم المترجم في ص ١٧٥ من رجال النجاشي بقوله : علي بن أبي حمزة ، واسم أبي حمزة سالم البطائني
أبو الحسن ، مولى الانصار ، كوفي . وكان قائداً أبي بصير يحيى بن القاسم ، وله أخ يسمى جعفر بن أبي
حمزة ، روى عن أبي الحسن موسى و روى عن أبي عبد الله عليهما السلام ، ثم وقف ، وهو أحد عمد
الواقفة ، وصنف كتباً عدة ، منها : كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب التفسير وأكثره عن أبي بصير ،
كتاب جامع في أبواب الفقه . - ثم ذكر طريقه إلى كتبه - و روى الكشي في ص ٢٢٥ من كتابه روايات
تدل على ذمه جداً .

(٢) هو البطائني المتقدم .



عليّ، عن أبيه سيف بن عميرة، عن الحجّاج بن أرطاة،^(١) عن أبي الزبير،^(٢) عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنّه قال: الموجدتان: من مات يشهد أن لا إله إلا الله [وحدّه لا شريك له] دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار.

١١ - نو، لى، يد: بالإسناد المتقدم عن سيف، عن الحسن بن الصباح، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: كلُّ جبار عنيد من أبي أن يقول: لا إله إلا الله. بيان: إشارة إلى قوله تعالى: وخاب كلُّ جبار عنيد.

١٢ - يد: أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الخوزي، عن إبراهيم بن محمد بن مروان الخوزي، عن أحمد بن عبد الله الجويباري - ويقال له: الهروي، والنهرواني، والشيباني - عن الرضا عليّ بن موسى، عن أبيه، عن آباءه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما جزاء من أنعم الله عزّ وجلّ عليه بالتوحيد إلا الجنة.^(٣)

١٣ - يد: وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: أن لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّ وجلّ، من قالها مخلصاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار.

بيان: قوله عليه السلام: ومن قالها كاذباً أي في الإخبار عن الإذعان لها والتصديق بها.

١٤ - ن، يد: محمد بن عليّ بن الشاه، عن محمد بن عبد الله النيسابوري قال: حدّثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عباس الطائميّ بالبصرة، قال: حدّثني أبي في سنة ستين ومائتين قال: حدّثني عليّ بن موسى الرضا عليه السلام سنة أربع وستين ومائة، قال: حدّثني أبي

(١) حكى عن رجال الشيخ انه عدّه من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وعن تقريب أن حجّاج بن أرطاة الكوفي القاضي أحد الفقهاء، صدوق كثير الخطأ والتدليس، من السابعة، مات سنة خمس وأربعين أي بعد المائة. انتهى. أقول: لم نقف في رجال الخاصة على ما يدل على توثيقه. (٢) لم نقف على اسمه وعلى ما يدل على توثيقه، نعم ربما يستفاد مما ورد في ص ٢٧ و ٢٩ من رجال الكشي في ترجمة جابر بن عبد الله كون الرجل إمامياً حيث روى عن جابر حديث «على خير البشر، فمن أبى فقد كفر» ويأتي الحديث في محله. (٣) تقدم مثله مع صدر تحت الرقم ٢.

موسى بن جعفر ، قال : حدّثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدّثني أبي محمد بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين ، قال : حدّثني أبي الحسين بن عليّ ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يقول الله جلّ جلاله : لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي .

١٥ - ن ، يد : محمد بن الفضل النيسابوري ، عن الحسن بن عليّ الخزرجيّ ، عن أبي الصلت الهروي^(١) قال : كنت مع عليّ بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فاذا محمد بن رافع ، وأحمد بن حرب ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق بن راهويه ، و عدّة من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا : بحق آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث سمعته من أبيك ، فأخرج رأسه من العمارية - و عليه مطرف خزّ ذو وجهين - وقال : حدّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر ، قال : حدّثني أبي الصادق جعفر بن محمد ، قال : حدّثني أبي أبو جعفر محمد بن عليّ باقر علم الأنبياء ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين سيّد العابدين ، قال : حدّثني أبي سيّد شباب أهل الجنّة الحسين ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قال : سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول : قال الله جلّ جلاله : إنّي أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ، و من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل [في] حصني ومن دخل في حصني أمن [من] عذابي

بيان : قال الجوهريّ : الشبهة في الألوان : البياض الذي غلب على السواد ، و قال : المربع : موضع القوم في الربيع خاصّة . أقول : يحتمل أن يكون المراد بالمربعة الموضع المتسع الذي كانوا يخرجون إليه في الربيع للتنزّه ، أو الموضع الذي كانوا يجتمعون فيه للعب ، من قولهم : ربع الحجر : إذا أشاله ورفع له لإظهار القوّة ، و سمعت جماعة من أفاضل نيسابور أنّ المربعة اسم للموضع الذي عليه الآن نيسابور ، إذ كانت البلدة في زمانه عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكان آخر قريب من هذا الموضع و آثارها الآن معلومة ، و كان هذا الموضع من أعمالها وقراها ، وإنّما كان يسمّى بالمربعة لأنّهم كانوا يقسمونه بالرباع

(١) اسمه عبدالسلام بن صالح وهو ثقة عند الغمامة و العامة ، و من عدا الشيخ والعلامة في القسم

الثاني من الغمامة صرحوا بكون الرجل إمامياً ، ولكن الشيخ في رجاله والعلامة في القسم الثاني قالا : إنه عامي .

الأربعة فكانوا يقولون : ربع كذا وربع كذا ، و قالوا : هذا الاصطلاح الآن أيضاً دائر بيننا معروف في دفاتر السلطان وغيرها . وقال الجوهرى : المطرف و المَطْرَف واحد المطارف ، وهي أردية من خزمربعة لها أعلام ، قال الفراء : وأصله الضم لأنه في المعنى مأخوذ من أطرف أي جعل في طرفيه العلمان ولكنهم استثقلوا الضمة فكسروه .

١٦ - نو ، مع ، ن ، يد : ابن المتوكل ، عن الأسيدي ، عن محمد بن الحسين الصوفي ، عن يوسف بن عقيل ، عن إسحاق بن راهويه قال : لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له : يا ابن رسول الله ترحل عنا ولا تحددنا بحديث فنستفيده منك - وكان قد قعد في العمارية - فأطلع رأسه وقال : سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي محمد بن علي يقول : سمعت أبي علي يقول : سمعت أبي الحسين يقول : سمعت أبي طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سمعت جبرئيل يقول : سمعت الله جل جلاله يقول : لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي . [قال] : فلما مرت الراحلة نادانا : بشروطها وأنا من شروطها

قال الصدوق رحمه الله : من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله عز وجل على العباد مفترض الطاعة عليهم .

١٧ - يد : أبو نصر محمد بن أحمد بن تميم السرخسي ، عن محمد بن إدريس الشامي عن إسحاق بن إسرائيل ، عن جرير ، ^(١) عن عبد العزيز ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر رحمه الله قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده ليس معه إنسان فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد ، قال : فجعلت أمشي في ظل القمر ، فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر جعلني الله فداك ، قال : يا أبا ذر تعال ، فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفتح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً . قال : فمشيت معه ساعة ، فقال : اجلس ههنا

(١) وفي نسخة : عن جرير .

- وأجلسني في قاع حوله حجارة - فقال لي : اجلس حتى أرجع إليك ، قال : وانطلق في الحرّة حتى لم أره و تواري عنّي فأطال اللبس ، ثم إنني سمعته عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو مقبل وهو يقول : وإن زنى وإن سرق ، قال : فلما جاء لم أصبر حتى قلت : يا نبيّ الله جعلني الله فداك من تكلمه في جانب الحرّة ؟ فأنني ما سمعت أحداً يردُّ عليك شيئاً ، قال ذلك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة فقال : بشرأمتك أنه من مات لا يشرك بالله عز وجل شيئاً دخل الجنة ، قال قلت : يا جبرئيل وإن زنى وإن سرق ، قال : نعم وإن شرب الخمر .

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أنه يوفق للتوبة حتى يدخل الجنة .
بيان : قال الجزري : فيه : المكثرون هم المقلون إلا من نفخ فيه يمينه وشماله ، أي ضرب يديه فيه بالعطاء ، النفخ : الضرب والرمي .
أقول : يظهر من الأخبار أن الإخلال بكل ما يجب الاعتقاد به و إنكاره يوجب الخروج عن الإسلام داخل في الشرك ، والتوحيد الموجب لدخول الجنة مشروط بعدمه^(١) فلا يلزم من ذلك دخول المخالفين الجنة^(٢) ، وأما أصحاب الكبراء من الشيعة فلا استبعاد في عدم دخولهم النار وإن عبدوا في البرزخ و في القيامة ، مع أنه ليس في الخبر أنهم لا يدخلون النار ، وقد ورد في بعض الأخبار أن ارتكاب بعض الكبراء وترك بعض الفرائض أيضاً داخلان في الشرك ، فلا ينبغي الاعتراض بتلك الأخبار والاجترار بها على المعاصي ، و على ما عرفت لا حاجة إلى ما تكلفه الصدوق قدس سره .

١٨ - ما : محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسن ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ، عن علي بن بلال ، عن محمد بن بشير الدهان ، عن محمد بن سماعة قال : سألت بعض أصحابنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له : أخبرني أي الأعمال أفضل ؟ قال : توحيدك لربك ، قال : فما أعظم الذنوب ؟ قال : تشبيهك لخالقك .

١٩ - يد : أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الأنماطي ، عن أحمد بن الحسن بن غزوان ،

(١) وفي نسخة : والتوحيد مشروط بعدمه .

(٢) سيأتي في أخبار البرزخ ما يدل على دخول المخالفين الجنة إذا لم يكونوا ناصبين كرواية زيد الكناسي عن الصادق عليه السلام وغيرها . ط

عن إبراهيم بن أحمد ، عن داود بن عمرو ، عن عبد الله بن جعفر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : بينما رجل مستلقي على ظهره ينظر إلى السماء وإلى النجوم ويقول : والله إن لك لرباً هو خالقك اللهم اغفر لي ، قال فنظر الله عز وجل إليه فغفر له .

قال الصدوق رحمه الله : وقد قال الله عز وجل : أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . يعني بذلك أولم يتفكروا في ملكوت السموات والأرض وفي عجائب صنعها ولم ينظروا في ذلك نظر مستدلّ معتبر فيعرفوا بما يرون ما أقامه الله عز وجل من السموات والأرض^(١) مع عظم أجسامها وثقلها على غير عمد ، وتسكينه إياها بغير آلة فيستدلّوا بذلك على خالقها ومالكها ومقيمها أنه لا يشبه الأجسام ولا ما يتخذ الكافرون إلهاً من دون الله عز وجل إذ كانت الأجسام لا تقدر على إقامة الصغير من الأجسام في الهواء بغير عمد وبغير آلة فيعرفوا بذلك خالق السموات والأرض وسائر الأجسام ويعرفوا أنه لا يشبهها ولا تشبهه في قدرة الله ومملكه ، وأما ملكوت السموات والأرض فهو ملك الله لها واقتداره عليها ، وأراد بذلك ألم ينظروا ويتفكروا في السموات^(٢) والأرض [في] خلق الله عز وجل إياهما على ما يشاهدونهما عليه فيعلمون أن الله عز وجل هو مالكها والمقدر عليها لأنهما مملوكة مخلوقة وهي في قدرته وسلطانه ومملكه ، فجعل نظرهم في السموات والأرض وفي خلق الله لها نظراً في ملكوتها وفي ملك الله لها لأن الله عز وجل لا يخلق إلا ما يملكه ويقدر عليه ، وعنى بقوله : وما خلق الله من شيء ، يعني من أصناف خلقه فيستدلّوا به على أن الله خالقها وأنه أولى بالإلهية من الأجسام المحدثّة المخلوقة .

٢٠ - يد : عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن أبي يزيد بن محبوب المزني ، عن الحسين ابن عيسى البسطامي ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن شعبة ، عن خالد الحذاء ، عن

(١) وفي نسخة : والارضين .

(٢) وفي نسخة : في ملكوت السموات .



أبي بشير العنبري ، عن حمران ، عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : من مات و هو يعلم أن الله حق دخل الجنة .

٢١ - يد : الحسن بن علي بن محمد العطار ، عن محمد بن محمود ، عن حمران ، عن مالك بن إبراهيم ، عن حصين ، عن الأسود بن هلال ، ^(١) عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف ^(٢) النبي ﷺ قال : يا معاذ هل تدري ما حق الله عز وجل على العباد ؟ - يقولها ثلاثاً - قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ : حق الله عز وجل على العباد أن لا يشركوا به شيئاً ، ثم قال ﷺ : هل تدري ما حق العباد على الله عز وجل إذا فعلوا ذلك ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذبهم . أوقال : أن لا يدخلهم النار .

٢٢ - ن : أبو نصر أحمد بن الحسين ، عن أبي القاسم محمد بن عبيد الله ، عن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ، عن أبيه علي بن محمد النقي ، عن آباءه ^(٣) ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، عن النبي ﷺ ، عن جبرئيل سيد الملائكة قال : قال الله سيد السادات جل وعز : إني أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي .

٢٣ - ن ، ع : في علل الفضل عن الرضا ^(٤) : فإن قال قائل : لم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسوله وحججه وبما جاء من عند الله عز وجل ؟ قيل لعل كثيرة ، منها : أن من لم يقر بالله عز وجل لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم ، فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ، ووثوب بعضهم على بعض ، فغصبوا الفروج والأموال ، وأباحوا الدماء والنساء ، وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم ، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل . ومنها : أن الله عز وجل حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلا الذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح ، ويزجر عن الظلم ، وينهى عن الفواحش ، ولا يكون

(١) وفي نسخة . عن الأسود بن بلال .

(٢) الردف بالكسر : الراكب خلف الراكب كالرديف والمرتدف .



حظر الفساد والأمر بالصالح والنهي عن الفواحش إلا بعد الإقرار بالله عز وجل ومعرفة الأمر والنهي، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته لم يثبت أمر بالصالح ولا نهى عن فساد إلا أمر ولاناهي. ومنها: أننا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمر باطنية^(١) مستورة عن الخلق فلولا الإقرار بالله عز وجل وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله ذلك مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد، وكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السر وأخفى، أمر بالصالح، ناه عن الفساد ولا تخفى عليه خافية، ليكون في ذلك اتزجار لهم عما يخلون به من أنواع الفساد.

فإن قال: فلم يجب عليهم الإقرار والمعرفة بأن الله تعالى واحد أحد؟ قيل: لعل، منها: أنه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهموا مدبرين أو أكثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأن كل إنسان منهم كان لا يدري لعله إنما يعبد غير الذي خلقه ويطيع غير الذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم، ولا يثبت عندهم أمر أمر، ولانهي ناه، إذ لا يعرف إلا رب عينه، ولا الناهي من غيره؛ ومنها: أن لو جاز أن يكون إثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله، وفي أن لا يطاع الله عز وجل الكفر بالله وبجميع كتبه ورسله وإثبات كل باطل وترك كل حق، وتحليل كل حرام وتحريم كل حلال، والدخول في كل معصية، والخروج من كل طاعة، وإباحة كل فساد، وإبطال كل حق؛ ومنها: أنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدعي أنه ذلك الآخر حتى يضاد الله تعالى في جميع حكمه، و يصرّف العباد إلى نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق.

فإن قال: فلم يجب عليهم الإقرار بالله بأنه ليس كمثله شيء؟ قيل: لعل، منها: أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره، غير مشتبه عليهم أمر ربهم و

(١) وفي نسخة: قد يفسدون بأمر باطنية.

صانعهم ورازقهم . ومنها : أنهم لو لم يعلموا أنه ليس كمثله شيء لم يدرؤا لعل ربهم و صانعهم هذه الأصنام التي نصبها لهم آباؤهم ، و الشمس والقمر والنيران ، إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبهة^(١) و كان يكون في ذلك الفساد و ترك طاعته كلها ، و ارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب و أمرها و نهيها ؛ ومنها : أنه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغير والزوال والفناء والكذب والاعتداء ، و من جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فنأوه ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله و أمره و نهييه و وعده و وعيده و ثوابه و عقابه ، و في ذلك فساد الخلق و إبطال الربوبية .

٢٤ - ثو : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، و ابن هاشم ، و الحسن بن علي الكوفي جميعاً ، عن الحسين بن سيف ، عن أبيه ، عن أبي حازم المديني ، عن سهل بن سعد الأنصاري قال : سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل : و ما كنت بجانب الطور إذ نادينا . قال كتب الله عز وجل كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس ، ثم وضعها على العرش ، ثم نادى يا أمة محمد : إن رحمتي سبقت غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، و غفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا أنا و أن محمداً عبدي و رسولي أدخلته الجنة برحمتي .

٢٥ - سن : الوشاء ، عن أحمد بن عائد ، عن أبي الحسن السواق ، عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث : من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً و جبت له الجنة . قال : قلت له : إنه يأتيني كل صنف من الأصناف فأروي لهم هذا الحديث ؟ قال : نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة و جمع الله الأولين و الآخرين فيسلب منهم لا إله إلا الله إلا من كان على هذا الأمر .

سن : ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدم ، عن أبان بن تغلب مثله .

٢٦ - سن : صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن الصباح الحدادي ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : من شهد أن لا إله

(١) في نسخة : مشبها .

إلا الله فليدخل الجنة ، قال : قلت : فعلى م تخاصم الناس إذا كان من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال : إنه إذا كان يوم القيامة نسوها .

٢٧ - صح : عن الرضا ، عن آباءه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يقول الله عز و جل : لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي .

٢٨ - ضا : نروي أن رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال أبو جعفر عليه السلام : الخبر حق ، فولّى الرجل مدبراً فلما خرج أمر برده ثم قال : يا هذا إن لا إله إلا الله شرطاً ألا وإنني من شروطها .

٢٩ - غو : قال النبي صلى الله عليه وآله : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق . (١)

٣٠ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن أحمد بن عيسى بن محمد ، عن القاسم بن إسماعيل عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام ، عنه ، عن أبيه عليه السلام (٢) قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله هل للجنة من ثمن ؟ قال : نعم ، قال : ما ثمنها ؟ قال : لا إله إلا الله ، يقولها العبد مخلصاً بها ، قال : وما إخلاصها ؟ قال : العمل بما بعثت به في حقّه وحب أهل بيته ، قال : فداك أبي وأمي وإن حبّ أهل البيت لمن حقّها ؟ قال : إن حبّهم لأعظم حقّها .

٣١ - كنز الكراجمي : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح .

٣٢ - ضا : إن أوّل ما افترض الله على عباده وأوجب على خلقه معرفة الوجدانية قال الله تبارك وتعالى : وما قدروا الله حق قدره . يقول : ما عرفوا الله حق معرفته .

٣٣ - ونروي عن بعض العلماء عليهم السلام أنه قال في تفسير هذه الآية : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ما جزاء من أنعم الله عليه بالمعرفة إلا الجنة . (٣)

(١) تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد تحت الرقم ١٧ .

(٢) في الامالي المطبوع : عن جابر بن عبد الله الانصاري .

(٣) تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد والامالي تحت الرقم ٢ .



- ٣٤ - وأروي أن المعرفة التصديق والتسليم والإخلاص في السر والعلانية .
وأروي أن حق المعرفة أن تطيع ولا تعصي وتشكر ولا تكفر
- ٣٥ - مص : قال الصادق عليه السلام : العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله ، لوسها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ، والعارف أمين ودائع الله وكنز أسرارهِ و معدن نوره ، ودليل رحمته على خلقه ، ومطية علومه ، وميزان فضله وعدله ، قد غني عن الخلق والمراد الدنيا فلأمونس له سوى الله ، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله والله ومن الله ومع الله ، فهو في رياض قدسه متردد ، و من لطائف فضله إليه مترود ، والمعرفة أصل فرعه الإيمان .
- ٣٦ - جمع : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما رأس العلم ؟ قال : معرفة الله حق معرفته . قال : وما حق معرفته ؟ قال : أن تعرفه بالمثل ولا شبه ، وتعرفه إليها واحداً خالقاً قادراً أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، لا كفوله ولا مثله ، فذاك معرفة الله حق معرفته .
- ٣٧ - جمع : قال النبي صلى الله عليه وآله : أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة .
- ٣٨ - أقول : روى الصدوق رحمه الله في كتاب صفات الشيعة عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد . عن ابن أبي عمير رفعه إلى أحدهم عليه السلام أنه قال : بعضكم أكثر صلاةً من بعض ، وبعضكم أكثر حجاً من بعض ، وبعضكم أكثر صدقةً من بعض ، وبعضكم أكثر صياماً من بعض ، وأفضلكم أفضلكم معرفة .
- ٣٩ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن الليث بن محمد العنبري ، عن أحمد بن عبد الصمد ، عن خاله أبي الصلت الهروي قال : كنت مع الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور وهو راكب بغلة شهباء ، وقد خرج علماء نيسابور في استقباله ، فلما صار إلى المربعة تعلقوا بأنجام بغلته وقالوا : يا ابن رسول الله حدثنا بحق آباءك الطاهرين حديثاً عن آباءك صلوات الله عليهم أجمعين ، فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خز فقال : حدثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد بن علي ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين سيد شباب أهل الجنة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام - عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أخبرني جبرئيل الروح الأمين ، عن الله تقدست أسماؤه وجل وجهه قال : إنني

أنا الله لا إله إلا أنا وحدي ، عبادي فاعبدوني وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً بها أنه قد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي . قالوا : يا ابن رسول الله وما إخراج الشهادة لله ؟ قال : طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته عليهم السلام .

﴿باب ٢﴾

﴿علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه﴾

١ - ع : الحسين بن أحمد ، عن أبيه ، عن محمد بن بندار ، عن محمد بن علي ، عن محمد بن عبد الله الخراساني - خادم الرضا عليه السلام - ^(١) قال : قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام : لم احتجب الله ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم ^(٢) فأما هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار ، قال : فلم لا تدركه حاسة البصر ؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار ، ثم هو أجل من أن تدركه الأبصار أو يعيط به ^(٣) أو يضبطه عقل ، قال : فحدّه لي قال : إنه لا يحدث ، قال : لم ؟ قال : لأن كل محدود متناه إلى حدّ فاذا احتمل التحديد احتمل الزيادة ، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان ، فهو غير محدود ولا متزائد ولا متجزئ ولا متوهم .

٢ - ع : علي بن حاتم ، عن القاسم بن محمد ، عن حمدان بن الحسين ، عن الحسين بن الوليد ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : لأي علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه ؟ قال : لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل فلو أنهم كانوا ينظرون إلى الله عز وجل لما كانوا بالذين بها بونه ولا يعظمونه ، نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أوّل مرّة عظّمه فاذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مرّ به ولا يعظّمه ذلك التعظيم .

بين : لعل المراد بالنظر الألفاظ الخاصة التي تستلزم غاية العرفان والوصول

(١) لم نجده ذكر في كتب الرجال .

(٢) لعل السؤال كان عن احتجابه تعالى عن القلوب ، أو حمل عليه السلام السؤال على ذلك ، وربما

يؤيد الأول سؤاله ثانياً بقوله : فلم لا تدركه حاسة البصر ؟

أي لو كانت مبذولة لعامة الناس لكانت لعدم استحقاقهم ذلك مورثاً لتهاونهم بربهم أو النظر إلى آثار عظمتها التي لا تظهر إلا للأنبياء والأوصياء عليهم السلام كنزول الملائكة و عروجهم ومواقفهم ومنازلهم والعرش والكرسي واللوح والقلم وغيرها ؛ على أنه يحتمل أن يكون دليلاً آخر مع التنزيل عن استحالة إدراكه بالبصر على وفق الأفهام العامة .

﴿باب ٢﴾

﴿ اثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده ﴾

﴿ وعلمه وقدرته وسائر صفاته ﴾

الآيات ، البقرة : الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ٢٢ «وقال تعالى» : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون ١٦٤ يونس : إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتقون ٦ «وقال» : قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تنغي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ١٠١

الرعد : الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴿ وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وكنائس من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك آيات لقوم يعقلون ٢-٤

ابراهيم : الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ﴿

وسخر لكم الشمس و القمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * و آتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظالوم كفار ٣٢ - ٣٤

الحجر : و لقد جعلنا في السماء بروجا و زينناها للناظرين * و حفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين * و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل شيء موزون * و جعلنا لكم فيها معاش و من لستم له برازقين * و إن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم * و أرسلنا الرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه و ما أنتم له بخازنين * و إننا لنحن نحيي و نميت و نحن الوارثون ١٦ - ٢٣

النحل : خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين * و الأنعام خلقها لكم فيها دافء و منافع و منها تأكلون * و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون * و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم * و النخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق ما لا تعلمون ٤ - ٨ « وقال تعالى : هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب و من كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون * و سخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * و ما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون * و هو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً و تستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون * و ألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم و أنهاراً و سبلاً لعلكم تهتدون * و علامات و بالنجم هم يهتدون ١٠ - ١٦ « وقال تعالى : و الله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون * و إن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين * و من ثمرات النخيل و الأعناب تتخذون منه سكراً و رزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون * و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر و مما يعرشون * ثم كلي من كل

الثمار فاسلكي سبل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاءٌ للناس إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون ﴿٦٥﴾ والله خلقكم ثم يتوفّيكم ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليمٌ قديرٌ ﴿٦٥-٧٠﴾ «وقال تعالى»: والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدةً ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴿٧٢﴾ «وقال تعالى»: والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴿٧٣﴾ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوف السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿٧٤﴾ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جنود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومتاعاً إلى حين ﴿٧٥﴾ والله جعل لكم ممّا خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سراييل تقيكم الحرّ وسراييل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴿٧٨-٨١﴾.

الاسرى : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكلّ شيء فصلناه تفصيلاً ﴿١٢﴾ «وقال تعالى»: ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً ﴿٦٦﴾ وإذا مستكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه فلما نهيكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴿٦٦، ٦٧﴾

طه : الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴿٦٧﴾ كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي ﴿٦٨﴾ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى ﴿٥٣-٥٥﴾

الانبياء : أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون ﴿٦٩﴾ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاً سبلاً لعلهم يهتدون ﴿٧٠﴾ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ﴿٧١﴾ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلّ في فلك يسبحون ﴿٣٠-٣٣﴾

المؤمنون : وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ﴿ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴿ و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و صبغ للأكلين ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها و لكم فيها منافع كثيرة ﴿ ومنها تأكلون ﴿ و عليها وعلى الفلك تحملون ١٨-٢٢ ﴾ وقال تعالى : وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ﴿ وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ٧٩ ، ٨٠ ﴾ وقال تعالى : قل لمن الأرض و من فيها إن كنتم تعلمون ﴿ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ﴿ قل من رب السموات السبع و رب العرش العظيم ﴿ سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ﴿ سيقولون لله قل فأنسى تسحرون ٨٤ - ٨٩

النور : ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته و تسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴿ و لله ملك السموات والأرض و إلى الله المصير ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه بمن يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ﴿ يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه و منهم من يمشي على رجلين و منهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ٤١ - ٤٥

الفرقان : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴿ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً و النوم سباتاً و جعل النهار نشوراً ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته و أنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴿ لنحيي به بلدة ميتاً و نسقيه مما خلقنا أنعاماً و أناسي كثيراً ٤٥ - ٤٩ ﴾ وقال تعالى : وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح أجاج و جعل بينهما برزخاً و حجراً محجوراً ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً و صحراً و كان ربك قديراً ٥٣ ، ٥٤ ﴾ وقال تعالى : تبارك الذي جعل في السماء بروجا و جعل

فيها سراجاً وقمراً منيراً * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ٦١، ٦٢

الشعراء : أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٧، ٨

القصص : قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٧١ - ٧٣

العنكبوت : خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ٤٤
« وقال تعالى » : ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ٦٣ « وقال تعالى » : فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم إلى البر إذا هم يشركون ٦٥

الروم : ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون * وله من في السموات والأرض كل له قانتون ٢٠ - ٢٦ « وقال عز وجل » : ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتَجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٤٦ « وقال تعالى » : الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين *

فانظر إلي آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ٤٨ - ٥٠ « وقال تعالى » : الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوّة ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبه يخلق ما يشاء و هو العليم القدير ٥٤

لقمان : خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثت فيها من كل زوج كريم * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ١٠، ١١ « وقال تعالى » : ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل و سخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير * ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل و أن الله هو العليّ الكبير * ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور * وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ٢٩ - ٣٢

التنزيل : أوام يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ٢٧

فاطر : الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ١ ، ٢ « وقال تعالى » : والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً ١١ « وقال تعالى » : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمراً مختلف ألوانها و غرايب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ٢٧ ، ٢٨

يس : و آية لهم الأرض الميتة أحييناها و أخرجنا منها حباً فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب و فجّرنا فيها من العيون * لياأكلوا من ثمره وما

عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * و آية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * و الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * و آية لهم أننا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * و خلقنا لهم من مثله ما يركبون * و إن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم و لا هم ينقذون * إلا رحمة منا و متاعاً إلى حين ٣٣ - ٤٤ * و قال تعالى : أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ٧١ - ٧٣ * و قال سبحانه : أولم ير الإنسان أننا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ٧٧

الصفات : فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إننا خلقناهم من طين لازب ١١
الزمر : خلق السموات والأرض بالحق يكو الليل على النهار ويكو النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى إلا هو العزيز الغفار * خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها و أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ٥ ، ٦ * و قال تعالى : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلككم ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيئ فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب ٢١

المؤمن : هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً و ما يتذكر إلا من ينيب ١٣ * و قال تعالى : الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لندو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون * كذلك يوفى الذين كانوا بآيات الله يجدون * الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم و رزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فبارك الله رب العالمين * هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين

له الدين الحمد لله رب العالمين * قل إنني نهيتُ أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيّنات من ربّي وأمرتُ أن أسلم لربّ العالمين * هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل و لتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون * هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون ٦١ - ٦٨ * وقال عز وجل : الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون * ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون ٧٩ - ٨١

السجدة : قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين * فقضيهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ٩ - ١٢ * وقال تعالى : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحق أولم يكف بربك أنّه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط ٥٣ ، ٥٤

جمعة : فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ١١ * وقال تعالى : ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ٢٩ * وقال سبحانه : ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور * أويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير * ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ٣٢ - ٣٥

الزخرف : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهنّ العزيز العليم * الذي جعل لكم الأرض مهدياً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون * والذي نزل

من السماء ماءً بقدر فأنشأنا به بلدةً ميثاً كذلك تخرجون * و الذي خلق الأزواج كلها و جعل لكم من الفلك و الأنعام ما تر كبون * لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه و تقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * و إنا إلى ربنا لمنقلبون ٩ - ١٤

الاجاثية : إن في السموات والأرض آيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون * و اختلاف الليل و النهار و ما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الأرض بعد موتها و تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ٣ - ٥ « وقال تعالى » : الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلمكم تشكرون * و سخر لكم ما في السموات و ما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ١٢ ، ١٣ « وقال سبحانه » : وقالوا ما هي إلا حيوتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر و ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ٢٤

الذاريات : وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون ٢٠ ، ٢١ « وقال جلّ و علا » : و السماء بنيناها بأيدٍ و إنا لموسعون * و الأرض فرشناها فنعم الماهدون * و من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ٤٧ - ٤٩

الطور : أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ٣٥ ، ٣٦

الرحمن : الرحمن علم القرآن خلق الإنسان ٣ « إلى آخر الآيات »

الواقعة : نحن خلقناكم فلولا تصدقون * أفرايتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت و ما نحن بمسبوقين * على أن نبذل أمثالكم و ننشئكم فيما لا تعلمون * و لقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون * أفرايتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلنا حطاماً فظلمت تفكهن * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرايتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون * أفرايتم النار التي تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرةً

ومتاعاً للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم ٥٧ - ٧٤

الطلاق : الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ١٢

الملك : الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً و
هو حسير * ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ٣-٥ «وقال
تعالى» : أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل
شيء بصير ١٩ «وقال سبحانه» : أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجئوا في
عتو ونفور ٢١ «وقال تعالى» : قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار و
الأفئدة قليلاً ما تشكرون * قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ٢٣ ، ٢٤
«وقال سبحانه» : قل هو الرحمن آمناً به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين *
قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ٢٩، ٣٠

المرسلات : ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر
معلوم * فقد رنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الأرض كفاتاً *
أحياء و أمواتاً * وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً * ويل يومئذ
للمكذبين ٢٠ ، ٢٨

النبا : ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً * و
جعلنا نومكم سباتاً * وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشاً * وبنينا فوقكم
سبعاً شداداً * وجعلنا سراجاً وهاجاً * وأنزلنا من المعصرات ماءً نجاجاً * لنخرج
به حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً ٦ - ١٦

النازعات : أأنتم أشد خلقاً أم السماء بنينا * رفع سمكها فسويها * وأغطش
ليلها وأخرج ضحيتها * والأرض بعد ذلك دحيا * أخرج منها ماءها ومرعيها * و
الجبال أرسيا * متاعاً لكم ولأنعامكم ٢٧ - ٣٤

عبس : فلينظر الإنسان إلى طعامه * إنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض

شَقًّا * فأنبتنا فيها حبًّا * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلًا * وحدائق غلباً * وفاكهةً
وأباً * متاعاً لكم ولا نعامكم ٢٥ - ٣٢

الغاشية : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت *
وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت ١٧ - ٢٠

١- ج : عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ولو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة
لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة والأبصار مدخولة،^(١)
أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق؟ كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر
وسوى له العظم والبشر، انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال
بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وضنت على رزقها،^(٢)
تنقل الحبة إلى جحرها وتعدّها في مستقرّها، تجمع في حرّها لبردها وفي ورودها
لصدورها^(٣) مكفول برزقها، مرزوقة بوقفها، لا يغفلها المنان ولا يحرمها الدينان ولو
في الصفا اليابس والحجر الجامس، لو فكّرت في مجاري أكلها، وفي علوها و سفليها،
وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها و أذنها لفضيت من خلقها
عجبا و لقيت من وصفها تعبا، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، و بناها على دعائمها،
لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك
لتبلغ غاياته ما دلّتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل
كلّ شيء، وغامض اختلاف كلّ حي، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي
والضعيف في خلقه إلا سواء، كذلك السماء والهواء والريح والماء، فانظر إلى الشمس
والقمر والنبات والشجر والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجّر هذه البحار
وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرّق هذه اللغات والألسن المختلفة، فالويل
لمن أنكر المقدّر، وجحد المدبّر، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم
صانع، لم يلجأوا إلى حجة فيما ادّعوا، ولا تحقيق لما ادّعوا، وهل يكون بناء من غير بان

(١) وفي نسخة : والبصائر مدخولة .

(٢) وفي نسخة من الكتاب والاحتجاج المطبوع : كيف صبت على رزقها .

(٣) وفي نسخة : لصدورها .



أو جناية من غير جان؟! وإن شئت قلت: في الجراة إذ خلق لها عينين حراوين، وأسرج لها حدقتين قمرأوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونايين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، ترهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبعا مستدقة، فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفر له خدأً ووجهاً، ويلقي بالطاعة إليه سلماً وضعفاً، و يعطي له القيادة رهبةً وخوفاً، فالطير مسخرة لأمره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسي قوائمها على الندى واليبس، قدراً لقواتها، وأحصى أجناسها، فهذا غراب. وهذا عقاب وهذا حمام، وهذا نعام، دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها، وعدد قسمها قبل الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها.

ايضاح: مدخولة أي معيوبة من الدخيل - بالتحريك - وهو العيب والغش والفساد وقلق أي شق. والبشر: ظاهر جلد الإنسان. ولا بمستدرك الفكر إما مصدر ميمي أي بإدراك الفكر، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف^(١) أي بإدراك الفكر الذي يدركه الإنسان بغايه سعيه، أو اسم مكان والباء بمعنى في أي في محل إدراكه، والغرض المبالغة في صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه لا بالنظر ولا بالفكر. كيف دببت أي مشت. وضنت بالضاد المعجمة والنون أي بخلت، وفي بعض النسخ: صببت بالصاد المهملة والباء الموحدة على بناء المجهول، إما على القلب أي صب عليها الرزق، أو كناية عن هجومها واجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى فكأنها صببت على الرزق، ويمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصباية وهي حرارة الشوق. لصدرها الصد - بالتحريك - رجوع المسافر من مقصده، والشاربة من الورد أي تجمع في أيام التمكّن من الحركة لأيام العجز عنها، فإنها تخفى في شدة الشتاء لعجزها عن البرد. والمنان: هو كثير المن والعطاء. والديان: القهار والقاضي والحاكم والسائس و

(١) في بعض النسخ: إلى الموصوف الخاص، والمراد بالفكر الذي يدركه الإنسان

بغاية سعيه.

المُجَازِي . وَالصَّفَا - مَقْصُورًا - جَمْعُ الصَّفَاةِ وَهِيَ الْحَجَرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الَّذِي لَا يَنْبِت . وَ
 الْجَامِسُ : الْيَابِسُ الْجَامِدُ ، قَالَ الْخَلِيلُ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ : جَمَسَ الْمَاءُ : جَمَدَ ، وَصَخْرَةٌ جَامِسَةٌ
 لَزِمَتْ مَكَانًا . انْتَهَى . وَالضَّمِيرُ فِي عُلُوِّهَا وَسُفْلِهَا إِمَّا رَاجِعٌ إِلَى الْمَجَارِي ، أَوْ إِلَى النَّمْلَةِ أَوْ
 ارْتِفَاعِ أَجْزَاءِ بَدَنِهَا وَانْخِفَاضِهَا عَلَى وَجْهِ تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الشَّرَاسِيفُ :
 مَقَاطِئُ الْأَضْلَاعِ وَهِيَ أَطْرَافُهَا الَّتِي تَشْرَفُ عَلَى الْبَطْنِ ، وَ يُقَالُ : الشَّرَسُوفُ : غَضْرُوفٌ
 مَعْلُوقٌ بِكُلِّ ضَلْعٍ ، مِثْلُ غَضْرُوفِ الْكَتْفِ . لَقَضَيْتُ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا الْقَضَاءُ بِمَعْنَى الْأَدَاءِ أَوْ
 لَأَدَيْتُ عَجَبًا ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَوْتِ أَوْ لَقَضَيْتُ نَحْبَكَ مِنْ شِدَّةِ تَعَجُّبِكَ ، وَ
 يَكُونُ عَجَبًا مَفْعُولًا لِأَجْلِهِ . وَلَوْ ضَرَبْتَ أَيْ سَرْتِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ .
 غَايَاتِهِ أَوْ غَايَاتِ فِكْرِكَ . إِلَّا سِوَاءَ أَيْ فِي دِقَّةِ الصَّنْعَةِ وَغَمُوضِ الْخَلْقَةِ ، أَوْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى
 الْفَاطِرِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ . وَالْقَلَالُ بِالْكَسْرِ جَمْعُ قَلْبَةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ أَعْلَى الْجَبَلِ . زَعَمُوا
 أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ أَيْ كَمَا زَعَمُوا فِي النَّبَاتِ ، أَوْ كَنَبَاتِ لِأَزَارِعِ لَهُ حَيْثُ لَا يَنْسَبُ إِلَى الزَّارِعِ
 وَإِنْ نَسَبَ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى . طَاوَعُوا أَيْ جَمَعُوا وَحَفَظُوا . وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ أَيْ جَعَلَهُمَا
 مَضِيئَتَيْنِ كَالسَّرَاجِ ، وَيُقَالُ : حَدَقَةُ قَمْرَاءُ أَيْ مَنِيرَةٌ ، كَمَا يُقَالُ : لَيْلَةٌ قَمْرَاءُ أَيْ نَيْرَةٌ بِضِوَاءِ
 الْقَمَرِ . بَهُمَا تَقْرُضُ بِكَسْرِ الرَّاءِ أَيْ تَقْطَعُ . وَالْمَنْجَلُ - كَمَنْرٍ - : حَدِيدَةٌ يُقَضَّبُ بِهَا الزَّرْعُ ،
 شَبَّهَتْ بِهَا يَدَاهَا . وَالذَّبُّ : الدَّفْعُ وَالْمَنْعُ . فِي نَزْوَاتِهَا أَيْ وَثْبَاتِهَا . وَخَلَقَهَا كَلَّةً الْوَاوُ
 حَالِيَةً . سَلَمًا بِالْكَسْرِ وَبِالتَّحْرِيكِ أَيْ اسْتِسْلَامًا وَانْقِيَادًا . وَأَرَسَى أَيْ أَثْبَتَ أَيْ جَعَلَ لَهَا
 رَجْلَيْنِ يُمْكِنُهَا اسْتِقْرَارَ بَهُمَا عَلَى الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ وَالنَّدِيَّةِ . وَالرَّهْطَلُ : تَتَابَعُ الْمَطَرِ .
 وَالذِّمُّ بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِ الْيَاءِ جَمْعُ الذِّمَّةِ بِالْكَسْرِ ، وَهِيَ الْمَطَرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَعْدٌ وَلَا
 بَرْقٌ . وَالْجَذُوبُ : قَلَّةُ النَّبَاتِ وَالزَّرْعِ .

٢ - ج : عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَنْ كَانَ فِي
 هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى . قَالَ : فَمَنْ لَمْ يَدَلِّهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَدَوْرَانِ الْفَلَكَ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالآيَاتِ الْعَجِيبَاتِ عَلَى أَنْ وَّرَاءَ ذَلِكَ
 أَمْرًا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى . قَالَ : فَهُوَ عَمَّا لَمْ يَبْعَيْنِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا .

بَيَانٌ : لَعَلَّ الْمُرَادَ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ : فَهُوَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَمْ يَرِ آثَارَهَا أَشَدُّ

عَمَى وَضَلَالَةٌ .

٣ - ج : روي عن هشام بن الحكم أنه قال : كان من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام قال : ما الدليل على صانع العالم ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها ، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده . قال : وما هو ؟ قال : هو شيء بخلاف الأشياء ، أرجع بقولي : شيء إلى إثباته وأنه شيء بحقيقة الشئية ، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا يغيره الزمان .

قال السائل : فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً ، قال أبو عبد الله عليه السلام : لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد مناً مرتفعاً ^(١) فإننا لم نكلف أن نعتقد غير موهوم ، لكننا نقول : كل موهوم بالحواس مدرك بهاتحده الحواس ممثلاً فهو مخلوق ، ولا بد من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين : إحداهما النفي إذ كان النفي هو الإبطال والعدم ، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف ، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه أنهم مصنوعون ، وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم ، إذ كان مثلهم شبيهاً بهم ^(٢) في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا ، وتنقلهم من صغر إلى كبر ، وسواد إلى بياض ، وقوة إلى ضعف وأحوال موجودة لأحاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها .

قال السائل : فأنت قد حددته إذا ثبتت وجوده ، قال أبو عبد الله عليه السلام : لم أحددته ولكن أثبتته ، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة . قال السائل : فقوله : الرحمن على العرش استوى ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش ، بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ، ولا أن العرش محل له ، لكننا نقول : هو حامل للعرش وممسك للعرش ، ونقول في ذلك : ما قال : وسع كرسيه السموات والأرض . فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته ، ونفينا أن يكون العرش والكرسي

(١) وفي نسخة : لكان التوحيد عناً مرتفعاً .

(٢) وفي نسخة : إذ كان مثلهم شبيهاً بهم .



حاويآله وأن يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء مما خلق ، بل خلقه محتاجون إليه .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواءً ولكنه عز وجل أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنه جعله معدن الرزق فثبتنا ما ثبتته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال : ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل ، وهذا تجمع عليه فرق الأمة كلها .

يد : الدقاق ، عن أبي القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن إبراهيم بن هاشم القمي ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم مثله مع زيادة اثبتناها في باب احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة .

بيان : قوله عليه السلام : وأنه شيء ، بحقيقة الشئئية المراد بالشيئية إما الوجود ، أو معنى مساوق له ، و على التقديرين فالمراد إما بيان عينية الوجود ، أو قطع طمع السائل عن تعقل كنهه تعالى بل بأنه شيء ، وأنه بخلاف الأشياء . والجس - بالجيم - : المس . قوله : فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً أي يلزم مما ذكرت أنه لا تدركه الأوهام أن كل ما يحصل في الوهم يكون مخلوقاً ، فأجاب عليه السلام بما حاصله أن مرادنا أنه تعالى لا يدرك كنه حقيقته العقول والأوهام ، ولا يتمثل أيضاً في الحواس ، إذ هو مستلزم للتشبيه بالمخلوقين ، ولو كان كما توهمت من أنه لا يمكن تصوُّره تعالى بوجه من الوجوه لكان تكليفنا بالتصديق بوجوده وتوحيده وسائر صفاته تكليفاً بالمحال ، إذ لا يمكن التصديق بثبوت شيء لشيء بدون تصوُّر ذلك الشيء ، فهذا القول مستلزم لنفي وجوده وسائر صفاته عنه تعالى ، بل لا بد في التوحيد من إخراجهم عن حدِّ النفي والتعطيل وعن حدِّ التشبيه بالمخلوقين ، ثم استدلل عليه السلام بتركيبهم وحدوثهم وتغيُّر أحوالهم وتبدُّل أوضاعهم على احتياجهم إلى صانع منزّه عن جميع ذلك ، غير مشابه لهم في الصفات الإمكانية ، وإلا لكان هو أيضاً مفتقراً إلى صانع لا شريك علة الافتقار .

قوله : فقد حدّته إذا ثبت وجوده أي إثبات الوجود له يوجب التحديد ، إما

بناءً على توهم أن كل موجود لا بد أن يكون محدوداً بأحد وجسمانية أو بحدود عقلانية ، أو باعتبار التحدُّد بصفة هو الوجود ، أو باعتبار كونه محكوماً عليه فيكون موجوداً في الذهن مخاطباً به . فأجاب عليه السلام بأنه لا يلزم أن يكون كل موجود جسمياً أو جسمانياً حتى يكون محدوداً بحدود جسمانية ، ولا أن يكون مركباً حتى يكون محدوداً بحدود عقلانية أو لا يلزم كون حقيقة حاصلته في الذهن أو محدودة بصفة فإن الحكم لا يستدعي حصول الحقيقة في الذهن ، والوجود ليس من الصفات الموجودة المتغيرة التي تحدُّبها الأشياء .

٤ - ج . عن هشام بن الحكم قال : دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال له الصادق : يا ابن أبي العوجاء أم مصنوع أنت أم غير مصنوع ؟ قال : لست بمصنوع ، فقال له الصادق عليه السلام : فلو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ فلم يعر ابن أبي العوجاء جواباً وقام وخرج .

يد : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر القيمي ، عن هشام مثله . بيان : لما كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضرورياً نبه عليه السلام بأن العقل يحكم بديهياً بالفرق بين المصنوع وغيره ، وفيك جميع صفات المصنوعين فكيف لم تكن مصنوعاً ؟ (١) .

٥ - ج : دخل أبو شاكر الديصاني وهو زنديق (٢) على أبي عبد الله عليه السلام فقال له : يا جعفر بن محمد دأسي على معبودي ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : اجلس - فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها - فقال أبو عبد الله عليه السلام : ناولني يا غلام البيضة ، فناوله إياها ، فقال

(١) لا يخفى أن الرواية غير مسوقة للتنبه على ما ذكره ، بل إلزام له بالترجيح بلامرجح فان اختياره عدم المصنوعية مع جواز مصنوعيته قول بلا دليل . ط

(٢) الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة ، أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان ، أو هو معرّب ذن دين أي دين الرأفة . قاله في القاموس . وفي المصباح : المشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر والعرب تعبر عن هذا بقولهم : ملحد ، أي طاعن في الأديان . انتهى . ونقل عن مفاتيح العلوم : أن الزنادقة هم المانوية وكانت المزدكية يسمون بذلك . أقول : والظاهر أن الزنديق معرّب لزند دين ، والزند اسم لكتاب المجوس جاء زردشت الذي يزعم المجوس أنه نبي ، أو معرّب زندي أي المنسوب إلى زند فاخذ كلمة واحدة و زيد عليه القاف وله نظائر .

أبو عبد الله عليه السلام : ياديصاني هذا حصنٌ مكنونٌ له جلدٌ غليظٌ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد الرقيق ذهبٌ مائةٌ وفضةٌ ذائبةٌ ، فلا الذهب المائة تختلط بالفضة الذائبة ، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائة ، فهي على حالها لم يخرج ^(١) منها خارجٌ مصلحٌ فيخبر عن إصلاحها ، ولم يدخل ^(٢) فيها داخلٌ مفسدٌ فيخبر عن إفسادها لا يدري للذكر خلقت أم للأُنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى لها مدبراً؟ قال : فأطرق ملياً ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأنتك إمامٌ وحجةٌ من الله على خلقه ، وأنا نائبٌ مما كنت فيه .

٦ - يد : ابن المتوكل : عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن أبي إسحاق الخفاف ، عن عدّة من أصحابنا أن عبد الله الديصاني أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له ، فلما قعد قال له : يا جعفر بن محمد دلّني على معبودي ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه ، فقال له أصحابه : كيف لم تخبره باسمك؟ قال : لو كنت قلت له : عبد الله كان يقول : من هذا الذي أنت له عبد؟ فقالوا له : عد إليه فقل : يدلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك ، فرجع إليه فقال له : يا جعفر دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : اجلس و إذا غلام صغير إلى آخر الخبر .

بيان : قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة . وتقرير استدلاله عليه السلام أن ما في البيضة من الأحكام والإتقان والاشتمال على ما به صلاحها وعدم اختلاط ما فيها من الجسمين السيئتين - والحال أنه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج مخبراً عن صلاحها ، ولا يدخلها جسماني من خارج فيفسدها ، وهي تنفلق عن مثل ألوان الطواويس - يدل على أن له مبدئ غير جسم ولا جسماني ، ولا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها ، والإفساد إلى ما يدخل فيها ، لأن هذا شأن أهل الحصن الحافظين له وحال الداخل فيه بالقهر والغلبة .

(١) في الاحتجاج المطبوع : لا يخرج .

(٢) في الاحتجاج المطبوع : ولا تدخل .



٧ - ج : عن عيسى بن يونس قال : كان ابن أبي العوجاء^(١) من تلامذة الحسن البصري^٢ فانحرف عن التوحيد فقبل له : تركت . ذهب صاحبك ودخلت فيما لأصل له ولا حقيقة ، قال : إن صاحبني كان مخلطاً يقول : طوراً بالقدر وطوراً بالجبر فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه ، فقدم مكة ثم رداً وإنكاراً على من يحج ، وكان يكره العلماء مجالسته ومساءلته لخبث لسانه وفساد ضميره ، فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه فقال : يا أبا عبد الله إن المجالس بالأمانات ، ولا بد لكل من به سعال أن يسعل أفتأذن لي في الكلام ؟ فقال الصادق عليه السلام : تكلم بما شئت ، فقال : إلى كم تدوسون هذا البيدر^(٢) ، و تلوذون بهذا الحجر ، و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر ، و تهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر ؟ إن من فكري هذا وقد علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر ، فقل فإني نك رأس هذا الأمر وسنامه ، وأبوك أسه ونظامه . فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعذبه ، وصار الشيطان وليه ، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره ، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه ، فحثهم على تعظيمه وزيارته ، وجعله محل أنبيائه ، وقبلة للمصلين له ، فهو شعبة من رضوانه ، وطريق يؤدي إلى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ، ومجتمع العظمة والجلال ، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام ، فأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر ، الله المنشيء للأرواح والصور . فقال ابن أبي العوجاء : ذكرت الله^(٣) فأحلت علي غائب فقال أبو عبد الله عليه السلام : وملك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد ، وإلبيهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ، ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم .

(١) عنه السيد المرتضى رحمه الله في كتابه الامالي ممن كان يتستر باظهار الاسلام ويحفن باظهار شعائره والدخول في جملة أهله دمه وماله ، وكان في الباطن زنديقاً ملحداً ، وكافراً مشركاً ، وقال : حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجاء قال - لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور ، وأحضره للمقتل ، وأيقن بفارقة الحياة - : لان قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكدوبة مصنوعة .

(٢) البيدر : الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويداس ويدق .

(٣) في الامالي : ذكرت يا أبا عبد الله



فقال ابن أبي العوجاء : فهو في كل مكان أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان ، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه ، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان .

لى : ابن مسرور ، عن ابن عامر ، عن عمه ، عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي ، عن الفضل بن يونس مثله .

ع : الهمداني والمكتب والوراق جميعاً ، عن علي ، عن أبيه ، عن الفضل مثله .
 ٨ - يد : الدقاق ، عن حمزة بن القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن داود بن عبد الله ، عن عمرو بن محمد ، عن عيسى بن يونس مثله ، وزاد في آخره : والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة ، وأيده بنصره ، واختاره لتبليغ رسالته صدقنا قوله : بأن ربّه بعثه وكلمه . فقام عنه ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه : من ألقاني في بحر هذا ؟ وفي رواية ابن الوليد : من ألقاني في بحر هذا ، سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة . قالوا : ما كنت في مجلسه إلا حقيراً ، قال : إنه ابن من حلق رؤوس من ترون .

بيان : الطوب بالضم : الآجر . وطعام وخيم : غير موافق ، واستوخمه أي لم يستمرأه . ولم يستعذبه أي لم يدرك عنوبته . وحاصل ما ذكره عليه السلام : أنه تعالى إنما استعبدهم بذلك لختبرهم في إطاعتهم له ، والاختبار فيما خفي وجه الحكمة فيه على أكثر العقول أكثر ، مع أن لخصوص هذا المكان الشريف مزايا وشرائف لكونه محل الأنبياء وقبلة المصلين وسابقاً في الخلق على جميع الأرض ، وقد أشار عليه السلام بقوله : فهو شعبة مع الفقرات التي بعدها إلى ما جعل الله فيه من الكمالات المعنوية والأسرار الخفية حيث جعله محلاً لقربه ورضوانه ، ومهبطاً لرحماته وغفرانه ، وما أفاض عليه من أنوار جبروته ، وأخفى فيه من أسرار ملكوته . والاستواء : الاعتدال . والوريد : هو العرق الذي في صفحة العنق وبقطعه تزول الحياة ، ففي التشبيه به دون سائر الأعضاء إشعار بكيفية قربه بأن قربه قرب بالعبية والتأثير ، وفيما بعدها من الفقرة إشارة إلى جهة أخرى من قربه وهي

الإحاطة العلمية . والخمرة بالضم : حصيرة صغيرة من السعف أي طلبت منكم أن تطلبوا لي خصماً ألب به كالخمرة فألقيتموني على جمرة ملتهبية .

٩ - ج : و روي أن الصادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء : إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول نجونا وهلكت .

١٠ - ن ، م ، ج : و بالإسناد ، عن أبي محمد عليه السلام أنه قال في تفسير قوله تعالى : الذي جعل لكم الأرض فراشاً . الآية : جعلها ملائمة لطبائعكم ، موافقة لأجسادكم ،

لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ،^(١) ولا شديدة النتن فتعطبكم ،^(٢) ولا شديدة اللين كالماء

فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم^(٣) وأبنيتمكم و دفن موتاكم ، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون ، وتتماسك عليها أبدانكم^(٤) ،

وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم^(٥) وقبوركم وكثير من منافعكم ، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم ، ثم قال : و السماء بناءً يعني سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها

شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم . ثم قال : وأنزل من السماء ماءً يعني المطر ينزله من علا ليبلغ قلال جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ،^(٦) ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً

وطلاً لتنشئه أرضكم ،^(٧) ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فتفسد أرضكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم . ثم قال : فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم يعني مما

يخرجه من الأرض رزقاً لكم . فلا تجعلوا لله أنداداً أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لاتعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ، وأنتم تعلمون أنها لاتقدر على شيء من هذه

النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم .

(١) جمع الهامة وهي الرأس .

(٢) أي فتهلككم .

(٣) في العيون : دوركم .

(٤) في العيون : وبنيانكم .

(٥) في العيون : لدوركم .

(٦) جمع الوهدة وهي الأرض المنخفضة . والهومة في الأرض .

(٧) نشف الماء في الأرض : ذهب وجرى وسال .



بيان : الهضاب جمع الهضبة وهي الجبل المنبسط على الأرض ، أو جبل خلق من صخرة واحدة . والرذاذ كسحاب : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغار القطر . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر . والهطل : المطر الضعيف الدائم ، وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر . والطل : المطر الضعيف ، أو أخف المطر وأضعفه ، أو الندى ، أو فوقه ودون المطر . كل ذلك ذكرها الفيروز آبادي .

١١ - يد ، لى ، ن : العطار ، عن سعد ، عن ابن هاشم ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له : يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم ؟ فقال : أنت لم تكن ثم كنت ، وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك .
ج : مرسل مثله .

١٢ - يد ، ن : ماجيلويه ، عن عمه ، عن أبي سمينة محمد بن علي الكوفي الصيرفي ،^(١) عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال : دخل رجل من الزنادقة إلى الرضا عليه السلام وعنده جماعة فقال له أبو الحسن عليه السلام : أرأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا وإياكم شرعاً سواء ، ولا يضرنا ما صلينا و صمنا و زكينا وأقررنا ؟ فسكت . فقال أبو الحسن عليه السلام : إن يكن القول قولنا - وهو كما تقول -^(٢) أستم قد هلكتم و نجوننا ؟ قال : رحمك الله فأوجدني كيف هو وأين هو ؟ قال : ويلك إن الذي ذهبت إليه غلط هو أين أين و كان ولا أين ، و هو كيف الكيف و كان ولا كيف ، فلا يعرف بكيفوفية ولا بأينونية ولا بحاسنة ولا يقاس بشيء ، قال الرجل : فأذن

(١) هو محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي مولا هم الصيرفي ، هكذا عنونه النجاشي

في ص ٢٣٤ من رجاله وقال : ابن اخت خلاد المقرئ ، وهو خلاد بن عيسى ، وكان يلقب محمد بن علي بأسمينة ، ضعيف جداً ، فاسد الاعتقاد ، لا يعتمد في شيء ، وكان ورد قم وقد اشتهر بالكذب بالكوفة ونزل على أحمد بن محمد بن عيسى مدة ، ثم تشهر بالفلو فغفي ، وأخرجه أحمد بن محمد بن عيسى عن قم وله قصة الخ

(٢) غير معلوم حاله .

(٣) وفي نسخة : وهو قولنا وكما تقول .



أنه لاشي، إذا لم يدرك بحاسة من الحواس، فقال أبو الحسن عليه السلام : ويلك لماعجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقننا أنه ربنا، وأنه شيء بخلاف الأشياء. قال الرجل : فأخبرني متى كان؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان. قال الرجل : فما الدليل عليه؟ قال أبو الحسن عليه السلام : إنني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكروه عنه، وجر المنفعة إليه علمت أن لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات علمت أن لهذا مقدراً و منشئاً قال الرجل : فلم احتجب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الحجاب على الخلق^(١) لكثرة ذنوبهم فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناه الليل والنهار، قال : فلم لا تدركه حاسة البصر؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار منهم ومن غيرهم، ثم هو أجل من أن يدركه بصر، أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل. قال : فحدّه لي، فقال : لا حدّ له، قال : ولم؟ قال : لأن كل محدود متناه إلى حد، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا متزائد ولا متناقص، ولا متجزى ولا متوهم، قال الرجل : فأخبرني عن قولكم : إنه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم،^(٢) أيكون السميع إلا بالأذن، والبصير إلا بالعين، واللطيف إلا بعمل اليدين، والحكيم إلا بالصنعة؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن اللطيف متناه على حد اتخذ الصنعة، أو ما رأيت الرجل يتخذ شيئاً فيلطف في اتخاذه فيقال : ما أطف فلاناً! فكيف لا يقال للخالق الجليل : لطيف إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً وركب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كل جنس متبائناً من جنسه في الصورة ولا يشبه بعضه بعضاً؟ فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته، ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطائبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند

(١) في نسخة من التوحيد : ان الاحتجاب عن الخلق .

(٢) في التوحيد : لطيف سميع . بترك العاطف في الجميع .



ذلك : إنَّ خالقنا لطيف ، لا كلطف خلقه في صنعتهم ، وقلنا : إنه سميع لأنه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى ، من الذرة إلى أكبر منها ، في برها وبحرها ، ولا تشبهه عليه لغاتها ، فقلنا عند ذلك : إنه سميع لأبأذن ، وقلنا : إنه بصير لا يبصر لأنه يرى أثر الذرة السحما ، في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء ، ويرى ديب النمل في الليلة الدجنة ، ويرى مضارها ومنافعها وأثر سفادها ^(١) و فرائحها و نسلها فقلنا عند ذلك : إنه بصير لا يبصر خلقه ، قال : فما برح حتى أسلم . وفيه كلام غير هذا .

ج : رواه مراسلاً عن محمد بن عبدالله الخراساني إلى آخر الخبر .

بيان : أوجدني أي أفدني كيفيته ومكانه ، وأظفني بمطلبي الذي هو العلم بهما . هو أين أين أي جعل الأين أيناً بناً على مجعوليّة الماهيات ، أو أوجد حقيقة الأين وكذا الكيف . والكيفيّة والأينونيّة الاتّصاف بالكيف والأين . قوله : فأذن أنه لا شيء ، هذا السائل لما كان وهمه غالباً على عقله زعم أن الموجود ما يمكن إحساسه فنفي الوجود عنه تعالى بناً على أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ نفى عنه أن يحس فأجاب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنك جعلت تعالى عن أن يدرك بالحواس دليلاً على عدمه ، ونحن إذا عرفناه بتعالى عن أن يدرك بالحواس أيقنا أنه ربنا بخلاف شيء من الأشياء ، إذا المحسوسية تستلزم أموراً كل منها مناف للربوبية على ما برهن عليه في محله . قوله : فأخبرني متى كان الظاهر أنه سأل عن ابتداء كونه ووجوده ، ويحتمل أن يكون السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى ، فعلى الأول حاصل جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ابتداء الزمان إنما يكون لحادث كان معدوماً ثم صار موجوداً وهو تعالى يستحيل عليه العدم ، وعلى الثاني فالمراد أن الكائن في الزمان إنما يكون فيه بتغيّر وتبدل في ذاته وصفاته لأن الزمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر فيكون بحال في زمان لا يكون كذلك في زمان آخر ، وهو متعال عن التغيّر في الذات والصفات . قوله : فلم احتجب توهم السائل أن احتجابه تعالى عبارة عن كونه وراء حجاب ، فأجاب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأننا غير محجوبين عنه لإحاطة علمه بنا ، وكنه ذاته وصفاته محجوبة عنا لعجزنا وقصورنا عن إدراكه بأن يكون المراد بالذنوب الحجب الظلمانية الإمكانية ، ويحتمل أن يكون

(١) السفاذ : الجماع .

المراد أن عدم ظهوره تعالى على عامة الخلق كظهوره على أوليائه لغاية المعرفة إنما هو لذنوبهم التي حالت بينهم وبين تلك المعرفة ، وإلا فهو تعالى قد تجلّى لأوليائه فظهر لهم ظهوراً فوق الإحساس ، والجواب عن الإحساس ظاهر ، إذ الفرق بينه وبين خلقه وهو كونه غير جسم ولا جسماني ولا حاصلًا في جهة ومكان هو الذي صار سبباً لعدم إمكان رؤيته . قوله : فحدّه يحتمل أن يكون المراد التحديد بالحدود الجسمانية ، فحاصل جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الحدّ نهايةً لشيء ، ذي مقدار يمكن أن ينتهي إلى نهاية أخرى بعد تلك النهاية فيزيد مقداره ، ومثل هذا يمكن نقصانه لكون المقادير قابلةً للانقسام فيكون ذا أجزاء فيكون محتاجاً إلى أجزاءه فيكون ممكناً فلا يكون صانعاً بل يكون مصنوعاً ، أو احتمال النقص يناه الكمال الذي يحكم الوجدان باتّصاف الصانع به . والسحماء : السوداء . والدجنة بكسر الجيم أي المتغيمة المظلمة . و سيأتي تفسير آخر الخبر في باب معاني الأسماء . قوله : وفيه كلام غير هذا أي قيل : إنه لم يسلم ، أو في الخبر تتمّة تركناها .

١٣ - لى أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال : دخل أبو شاكر الديصانيّ عليّ أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له : إنك أحد النجوم الزواهر ، وكان آباؤك بدوراً بواهر ، وأمهاتك عقيلات عباهر ، وعنصرك من أكرم العناصر ، وإذا ذكر العلماء فبك تثنى الخناصر فخبّرني أيها البحر الخضمّ الزاخر ، ما الدليل على حدث العالم ؟ فقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : يستدلّ عليه بأقرب الأشياء ، قال : وما هو ؟ قال : فدعى الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بيضة فوضعها على راحته ثمّ قال : هذا حصن ملموم ، داخله غرقى رقيق ، تطيف به فضة سائلة وذهبة مائعة ، ثمّ تنفلق عن مثل الطاووس أدخلها شيء ؟ قال : لا ، قال : فهذا الدليل على حدث العالم ، قال : أخبرت فأوجزت ، وقلت فأحسنّت ، وقد علمت أننا لا نقبل إلا ما أدر كناه بأبصارنا ، أو سمعناه بأذاننا ، أو لمسناه بأكفّنا ، أو شمّمناه بمناخرنا ، أو ذقناه بأفواهنا ، أو تصوّر في القلوب بياناً واستنبطه الروايات إيقاناً ، فقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح .

يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن علي بن منصور ، عن هشام بن الحكم مثله .

بيان : قال الجوهري : العقيلة : كريمة الحي ، والدرّة : عقيلة البحر . وقال الفيروز آبادي : العبهر : الممتلي الجسيم و العظیم الناعم الطويل من كل شيء ، كالعباهر فيهما وبهاء الجامعة للحسن والجسم والخلق . انتهى . والعنصر : الأصل . قوله : فبك تثني الخناصر أي أنت تعدّ أو لا قبلهم لكونك أفضل وأشهر منهم ، وإنما يبدء في العدّ بالخنصر . والثني : العطف . والخنضم بكسر الخاء وفتح الضاد المشدّدة^(١) الكثير العطاء . وقال الجوهري : زخر الولذي : إذا امتدّ جداً وارتفع ، يقال : بحر زاهر . وقال : كتيبة مملومة : مضمومة بعضها إلى بعض . وقال : الغرقى : قشر البيض التي تحت القيص ، و القيص : ماتلق من قشور البيض . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وهي لاتنفع شيئاً بغير دليل أي هي عاجزة تتوقف إدراكها على شرائط فكيف تنفي ما لم تدركه بحسك^(٢) ؟ كما أن البصر لا يبصر إلا شياء بغير مصباح ، ويحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل أي لاتنفع الحواس بدون دلالة العقل فهو كالسراج لا يحساس الحواس ، وأنت قد عززت العقل وحكمه واقتصرت على حكم الحواس .

١٤ - م ، ن : محمد بن القاسم المفسر ، عن يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن سيار ، عن أبيهما ، عن الحسن بن علي ، عن أبيه علي بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه الرضا علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ - في قول الله عز وجل : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم لستوى إلى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم - قال - : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً لتعتبروا به وتتوصلوا به إلى رضوانه ، وتتوقوا به من عذاب نيرانه ، ثم استوى إلى السماء أخذ في خلقها وإتقانها ، فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء

(١) في الصحاح : الخضم بوزن الهجف .

(٢) بل المراد أن الحواس إنما لها الإدراك التصوري وأما التصديق والحكم فللعقل . ط

عليم ، ولعلمه بكل شيء ، علم المصالح فخلق لكم كل ما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم .
 ١٥ - ن : الطالقاني ، عن ابن عقدة ،^(١) عن علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ،
 عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لم خلق الله عز وجل الخلق على أنواع شتى ،
 ولم يخلقهم نوعاً واحداً ؟ فقال : لتلايقع في الأوهام أنه عاجز فلا تقع صورة في وهم
 ملحد إلا وقت ، خلق الله عز وجل عليها خلقاً ، ولا يقول قائل : هل يقدر الله عز وجل على
 أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى
 أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير .

١٦ - م ، مع : محمد بن القاسم المفسر ، عن يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن
 سيار - وكانا من الشيعة الإمامية - عن أبيهما ، عن الحسن بن علي بن محمد عليه السلام في قول
 الله عز وجل : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقال : الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل
 مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه ، تقول :
 بسم الله أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له ، المغيث إذا استغيث ،
 والمجيب إذا دعى ، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام : يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو ؟
 فقد أكثر علي المجادلون وحيروني ، فقال له : يا عبد الله هل ركبت سفينة قط ؟ قال :
 نعم ، قال : فهل كسرتك حيث لا سفينة تنجيك ، ولا سباحة تغنيك ؟ قال : نعم ، قال : فهل
 تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟ قال : نعم ،
 قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنباء حيث لا منجى ، وعلي الإغاثة
 حيث لا مغيث .

بيان : قال الفيروز آبادي : أله إليه كفرح : فزع ولاذ ، وألهه : أجاره وآمنه .

(١) بضم العين المهملة وسكون القاف وفتح الدال ، هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني
 العافظ ، المكنى بأبي العباس ، ترجمه العامة والخاصة في كتب تراجمهم ، وبالغوا في إكباره والثناء
 عليه ، قال النجاشي في ص ٦٨ من رجاله : أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الله بن
 زياد بن عجلان ، مولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس السبيعي الهمداني ، هذا رجل جليل في أصحاب
 الحديث ، مشهور بالحفظ ، والحكايات تختلف عنه في الحفظ وعظمه ، وكان كوفياً زبدياً جارودياً
 على ذلك مات . الخ .

١٧ - ل : الفامي وابن مسرور ، عن محمد بن جعفر بن بطنة ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام أن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا أمير المؤمنين بما عرفت ربك؟ قال : بفسخ العزم ،^(١) ونقض الهمم ، لما أن هممت حال بيني وبين همي ، وعزمت فخالف القضاء عزمي ، فعلمت أن المدبر غيري قال : فيماذا شكرت نعماءه؟ قال : نظرت إلى بلاء قد صرفه عني وأبلى به غيري فعلمت أنه قد أنعم عليّ فشكرته ، قال : فيماذا أحببت لقاءه؟ قال : لما رأيت أنه قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه .

يد : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام مثله .

١٨ - يد : ماجيلويه ، عن عمه ، عن البرقي ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي هاشم ، عن أحمد بن محسن الميثمي قال : كنت عند أبي منصور المتطبب فقال : أخبرني رجل من أصحابي قال : كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفّع^(٢) في المسجد الحرام فقال ابن المقفّع : ترون هذا الخلق؟ - وأومى بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية^(٣) إلا ذلك الشيخ الجالس - يعني جعفر ابن محمد عليه السلام - فأما الباقر فرعاع وبهائم ، فقال له ابن أبي العوجاء وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال : لأنني رأيت عنده ما لم أرعندهم ، فقال ابن أبي العوجاء : ما بد من اختبار ما قلت فيه منه ، فقال له ابن المقفّع : لا تفعل فإنني أخاف أن

(١) وفي نسخة : بفسخ العزائم .

(٢) قيل : إن اسمه «روزبه» قبل الإسلام وعبد الله بعد الإسلام ، والمقفّع اسمه المبارك ، ولقب بالمقفّع لأن الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتفتت يده - ورجل متفتت أي متشنجها - و قيل : هو المقفّع بكسر الميم ، لعله القفعة - بفتح القاف وسكون الفاء - والقفعة : شئ ، يشبه الزنبيل بلاعروة وتعمل من خوص ليست بالكبيرة . ذكر السيد المرتضى في ج ١ ص ٨٩ من أماليه ابن المقفّع من جملة الزنادقة والملاحدة الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام .

(٣) في نسخة : ووجب له اسم الإنسانية .



يفسد عليك ما في يدك ، فقال : ليس ذا رأيك ولكنك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحال الذي وصفت ، فقال ابن المقفع : أمّا إذ اتوهّمت عليّ هذا فقم إليه وتحفظ ما استعنت من الزلل ، ولاتثنّ عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقاب ، وسمه مالك أو عليك ، قال : فقام ابن أبي العوجاء وبقيت وابن المقفع فرجع إلينا وقال : يا ابن المقفع ما هذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا ، فقال له : وكيف ذلك ؟ قال : جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال : إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتهم ، وإن يكن الأمر كما تقولون - وليس كما تقولون - فقد استوتيتهم وهم ، فقلت له : يرحمك الله وأي شيء نقول ؟ وأي شيء يقولون ؟ ما قولي وقولهم إلا واحداً ، فقال : كيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون : إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً ، ويدينون بأنّ للسماء إلهاً ، وأنّها عمران ، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد . قال : فاغتمتها منه فقلت له : ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقهم ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ، ولما احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به . فقال لي : ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك ؟ نشؤك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك ، وقوّتك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوّتك ، وسقمك بعد صحّتك ، وصحّتك بعد سقمك ، ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك ، وحننك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك ، وحبك بعد بغضك ، وبغضك بعد حبك ، وعزمك بعد إباءك ، وإباءك بعد عزمك ، وشهوتك بعد كراهتك ، وكراهتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ، ورهبتك بعد رغبتك ، ورجاؤك بعد يأسك ، ويأسك بعد رجائك ، وخاطرك ببالم يكن في وهمك ، وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك . وما زال يعدّ عليّ قدرته التي في نفسي التي لأدفعها حتى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه .

بيان : قال الجزري : رعا ع الناس أي غوغاؤهم وسقاطهم وأخلاقهم ، الواحد : رعاة . قوله : ولاتثنّ ، من الثني وهو العطف والميل أي لاترخ عنانك إليه بأن تميل إلى الرفق والاسترسال والتساهل فتقبل منه بعض ما يلقي إليك . فيسلمك من التسليم أو

الإسلام . إلى عقال أي يعقلك بتلك المقدمات التي تسلمت منه بحيث لا يبقى لك مفر كالبعير المعقول . قوله : وسمه مالك أو عليك ، نقل عن الشيخ البهائي قدس الله روحه أنه من السوم ، من سام البائع السلعة يسوم سوماً ، إذا عرضها على المشتري وسامها المشتري بمعنى استامها ، والضمير راجع إلى الشيخ على طريق الحذف والإيصال ، والموصول مفعوله . ويروى عن الفاضل التستري نوّضريحه أنه كان يقرأ «سمه» بضم السين وفتح الميم المشددة ، أمراً من سمّ الأمر يسمّهُ إذا سبره ونظر إلى غوره ، والضمير راجع إلى ما يجري بينهما ، والموصول بدل عنه ، وقيل : هو من سممت سمّتك . أي قصدت قصدك ، والهاء للسكت أي اقصد مالك وما عليك . والأظهر أنه من وسم يسم سمةً بمعنى الكي^(١) والضمير راجع إلى ما يريد أن يتكلّم به أي اجعل على ما تريد أن تتكلّم به علامة لتعلم أي شيء لك وأي شيء عليك ، فالموصول بدل من الضمير . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وهو على ما يقولون اعترض عَلَيْهِ السَّلَامُ الجملة الحالية بين الشرط والجزاء للإشارة إلى ما هو الحق ، ولئلا يتوهم أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في شك من ذلك . والعطب : الهلاك . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ليس فيها أحداً لها أو عليها أو بالظرفية المجازية لجريان حكمه وحصول تقديره تعالى فيها ، وحاصل استدلاله عَلَيْهِ السَّلَامُ : أنك لما وجدت في نفسك آثار القدرة التي ليست من مقدوراتك ضرورة علمت أن لها بارئاً قادراً ، وكيف يكون غائباً عن الشخص من لا يخلو الشخص ساعة عن آثار كثيرة يصل منه إليه .

١٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن سعيد بن جناح ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : ما خلق الله خلقاً أصغر من البعوض والجرجس أصغر من البعوض ، والمذي يسمونه الولغ أصغر من الجرجس ، وما في الفيل شيء إلا وفيه مثله ، وفضل على الفيل بالجناحين^(٢) .

(١) بل الاظهر أنه أمر من التسمية كناية عن تعيين ما هو مقبول عنده من المقدمات وما

ليس مقبول .

(٢) وبالرجلين ، وخرطوم الفيل المصمت ، وخرطومه مجوف نافذ لنجوف ، فإذا طعن به جسد الانسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو كالبلعوم والحلقوم ولذلك اشتد عضها وقويت على خرق الجلود والنلاظ ، ومما ألهمه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الانسان لم يبتوخي .

بيان : قال الفيروز آبادي : الجرجس بالكسر : البعوض الصغار . انتهى . فالمراد أن الجرجس أصغر من سائر أصناف البعوض ليوافق أوّل الكلام و كلام أهل اللغة ، على أنه يحتمل أن يكون الحصر في الأوّل إضافياً كما أن الظاهر أنه لا بد من تخصيصه بالطيور إذ قد يحس من الحيوانات ما هو أصغر من البعوض إلا أن يقال : يمكن أن يكون للبعوض أنواع صغار لا يكون شيء من الحيوانات أصغر منها . والولغ هنا بالغين المعجمة وفي الكافي بالمهملة ، وهما غير مذكورين فيما عندنا من كتب اللغة ، و الظاهر أنه أيضاً صنف من البعوض ، والغرض بيان كمال قدرته تعالى فإن القدرة في خلق الأشياء الصغار أكثر وأظهر منها في الكبار كما هو المعروف بين الصناع من المخلوقين ^(١) فتبارك الله أحسن الخالقين .

٢٠ - يد : الدقياق ، عن الكليني بإسناده رفع الحديث : أن ابن أبي العوجاء حين كلمه أبو عبدالله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني فجلس و هو ساكت لا ينطق ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : كأنك جئت تعيد بعض ما كنا فيه ؟ فقال : أردت ذلك يا ابن رسول الله ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أنني ابن رسول الله ! فقال : العادة

• بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق ، لأنها أرق بشرة من جلد الانسان فاذا وجدها وضع خرطومه فيها ، وفيه من الشره أن يمس الدم إلى أن ينشق ويموت ، وإلى أن يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه ، ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيبقى طريحا في الصحراء فتجتمع السباع حوله ، والطيور التي تاكل الجيف ، فمن أكل منها شيئا مات لوقته . قال وهب بن ميهب لما أرسل الله تعالى البعوض على النمرود اجتمع منه في عسكره مالا يحصى عددا فلما عين النمرود ذلك انفرد عن جيشه ودخل بيته ، وأغلق الابواب وأرخص الستور ونام على قفاه مفكراً ، فدخلت بعوضة في أنفه وصعدت إلى دماغه فعضت بها أربعين يوماً ، حتى أنه كان يضرب برأسه الأرض وكان أعز الناس عنده من يضرب رأسه ثم سقطت منه كالفرخ وهي تقول : كذلك يسلب الله رسله على من يشاء من عباده ، ثم هلك حينئذ . وقد أودع الله في مقدم دماغها قوة الحفظ ، وفي وسطه قوة الفكر وفي مؤخره قوة الذكر ، وخلق لها حاسة البصر ، وحاسة اللمس ، وحاسة الشم ، وخلق لها منفذاً للغذاء ، ومخرجاً للفضلة ، وخلق لها جوفاً وأمعاءً وعظاماً ، فسبحان من قدر فهدى ، ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى . قاله الدميري في كتابه حياة الحيوان .

(١) هذا بحسب الدقة واللفظ وكأنه عليه السلام في هذا المقام ، وأما بحسب القدرة فالامر بالعكس من جهة توفيق الذرات وتوديع القوى العظيمة الهائلة ، قال تعالى لخلق الله من عباده من سقى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون المؤمن ٥٧ . ط

تحملني على ذلك ، فقال له العالم عليه السلام : فما يمنعك من الكلام ؟ قال : إجلالاً لك ^(١) و مهابة ما ينطق لساني بين يديك فإنني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فمات داخلني هيبة قط مثل ما تداخلني من هيبتك . قال : يكون ذلك ولكن أفتح عليك بسؤال و أقبل عليه ، فقال له : أمصنوع أنت أو غير مصنوع ؟ فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء : بل أنا غير مصنوع ، فقال له العالم عليه السلام : فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون ؟ فبقي عبد الكريم ملياً لا يحرير جواباً ، وولع بخشبة كانت بين يديه و هو يقول : طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن ، كل ذلك صفة خلقه ، ^(٢) فقال له العالم عليه السلام : فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الأمور ، فقال له عبد الكريم : سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : هبك علمت أنك لم تسأل فيما مضى فما علمك أنك لا تسأل فيما بعد ؟ على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك لأنك تزعم أن الأشياء من الأول سواء ، فكيف قدمت وأخرت ؟ ثم قال : يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً ، أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل : هل في الكيس دينار ؟ فنفيت كون الدينار في الكيس ، فقال لك قائل : صف لي الدينار و كنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس وأنت لا تعلم ؟ قال : لا ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس فلعل في العالم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة ، فانقطع عبد الكريم وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض ، فعاد في اليوم الثالث فقال : ألقب السؤال ؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : اسأل عما شئت ، فقال : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال : إنني ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ، ولو كان قديماً مازال ولا حال ، لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ، ولن تجتمع صفة الأزل والحدوث ، والقدم والعدم

(١) في نسخة : إجلال لك .

(٢) وفي نسخة : كل ذلك صفة خلقه .



في شيء واحد،^(١) فقال عبدالكريم : هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها فلوبيقت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها؟ فقال العالم عليه السلام : إنما تتكلم على هذا العالم الموضوع ، فلو رفعناه و وضعنا عالماً آخر كان لاشيء أدل على الحدث من رفعنا إياه و وضعنا غيره ، و لكن أجبتك^(٢) من حيث قدرت أن تلزمننا ونقول^(٣) : إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ماض شيء^(٤) إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث^(٥) ليس لك وراءه شيء يا عبدالكريم ، فانقطع وخزي . فلما أن كان من العام القابل التقى معه في الحرم فقال له بعض شيعته : إن ابن أبي العوجاء قد أسلم ، فقال العالم عليه السلام : هو أعمى من ذلك لا يسلم ، فلما بصر بالعالم قال : سيدي ومولاي ، فقال له العالم : ما جاء بك إلى هذا الموضوع ؟ فقال : عادة الجسد ، وسنة البلد . و انبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق و رمي الحجارة ، فقال له العالم : أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبدالكريم ، فذهب يتكلم فقال له : لاجدال في الحجج ، ورفض رداءه من يده وقال : إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول - وهو كما تقول - نجونا وهلكت ، فأقبل عبدالكريم على من معه فقال : وجدت في قلبي حرارة فردوني ، فردوه ومات ، لارحمه الله .

ج : روى مرسلأ بعض الخبر .

تنوير : لايحير جواباً بالمهملة أي لا يقدر عليه . والولوع بالشيء : الحرص عليه والمبالغة في تناوله . قوله : كل ذلك صفة خلقه أي خلق الخالق والصانع ، ويمكن أن يقرأ بالتاء أي صفة المخلوقية ، والحاصل أنه لما سأل الإمام عليه السلام عنه أنك لو كنت مصنوعاً هل كنت على غير تلك الأحوال والصفات التي أنت عليها الآن أم لا أقبل يتفكر

(١) في التوحيد المطبوع : ولن يجتمع صفة الازل والعدم في شيء واحد .

(٢) وفي نسخة : اجيبك .

(٣) وفي نسخة : فنقول .

(٤) وفي نسخة : ماض شيء منه إلى شيء منه .

(٥) وفي نسخة : كما أن في تغييره دخوله في الحدث .



في ذلك ، فتنبه أن صفاته كلها صفات المخلوقين ، وكانت معاندته مانعة عن الإذعان بالصانع تعالى فقه متحيراً ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : إذا رجعت إلى نفسك ووجدت في نفسك صفة المخلوقين فلم لاتدعن بالصانع ؟ فاعترف بالعجز عن الجواب ، وقال : سألتني عن مسألة أم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : هبك أي افرض نفسك أنك علمت ماضى وسلّمنا ذلك لك ، قال الفيروز آبادي : هبني فعلت أي احسبني فعلت وأعددني ، كلمة للأمر فقط . وحاصل جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ : أو لا أنك بنيت أمورك كلها على الظن والوهم لأنك تقطع بأنك لاتسأل بعد ذلك عن مثلها مع أنه لاسبيل لك إلى القطع به . وأما قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : على أنك يا عبدالكريم نقضت قولك يحتمل وجوهاً :

الاول : أن يكون المراد أن نفيك للصانع مبني على أنك تزعم أن لعلية بين الأشياء ونسبة الوجود والعدم إليها على السواء ، والاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنما يكون بالعلية والمعلولية ، فكيف حكمت بعدم حصول الشيء في المستقبل ؟ فيكون المراد بالتقدم والتأخر العلية والمعلولية أو ما يساوقهما .

الثاني : أن يكون مبنيًا على ما لعلمهم كانوا قائلين به ، وربما أمكن إلزامهم بذلك ، بناءً على نفي الصانع من أن الأشياء متساوية غير متفاوتة في الكمال والنقص ، فالمراد : أنك كيف حكمت بتفضيلي على غيري ؟ وهو مناف للمقدمة المذكورة ، فالمراد بالتقدم والتأخر ما هو بحسب الشرف .

الثالث : أن يكون مبنيًا على ما ينسب إلى أكثر الملاحظة من القول بالكمون والبروز أي مع قولك بكون كل حقيقة حاصلة في كل شيء ، كيف يمكنك الحكم بتقدم بعض الأشياء على بعض في الفضل والشرف .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي ذلك زوال وانتقال ، حاصل استدلاله عَلَيْهِ السَّلَامُ إما راجع إلى دليل المتكلمين من أن عدم الانفكاك عن الحوادث يستلزم الحدوث ، أو إلى أنه لا يخلو إما أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيرة قديماً أم لا بل يكون كلها حوادث وكل منهما محال : أما الأول فلما تقرّر عند الحكماء من أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، و أما الثاني فللزوم التسلسل بناءً على جريان دلائل إبطاله في الأمور المتعاقبة ، ويمكن

أن يكون مبنياً على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من أن كل قديم يكون واجباً بالذات ولا يكون المعلول إلا حادثاً ، و رجوب الوجود ينافي التغيُّر ، ولا يكون الواجب محلاً للحدوث لما برهن عليه ، ثم قال ابن أبي العوجاء : لو فرضنا بقاء الأشياء على صغرها لم يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغيُّر ، فأجاب عنه أو لا على سبيل الجدل بأن كلامنا كان في هذا العالم الذي نشاهد فيه التغيرات ، فلوفرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لا يعتبره التغيُّر فزال هذا العالم دل على كونه حادثاً ، و إلا لما زال ، وحدوث العالم الثاني أظهر . ثم قال : ولكن أجيبك من حيث قدرت - بتشديد الدال - أي فرضت لأن تلزمنا ، أو بالتخفيف أي زعمت أنك تقدر أن تلزمنا ، وهو بأن تفرض في الأول مكان هذا العالم عالماً لا يكون فيه التغيُّر ، فنقول : يحكم العقل بأن الأجسام يجوز عليها ضم شيء إليها وقطع شيء منها . و جواز التغيُّر عليه يكفي لحدوثها بنحو مأمراً من التفرير .

٢١ - يد : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام فقيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : بفسخ العزم و نقض الهم ، عزمت ففسخ عزمي ، وهممت فنقض هممي .

٢٢ - يد : المكتب ، عن الأسيدي ، عن البرمكي ، عن محمد بن عبد الرحمن الخزّاز ، عن سليمان بن جعفر ، عن علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم قال : حضرت محمد بن النعمان الأ حول ققام إليه رجل فقال له : بم عرفت ربك ؟ قال : بتوفيقه و إرشاده و تعريفه و هدايته ، قال : فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم فقلت له : ما أقول لمن يسألني فيقول لي : بم عرفت ربك ؟ فقال : إن سألت سائل فقال : بم عرفت ربك ؟ قلت : عرفته الله جل جلاله بنفسه ، لأنها أقرب الأشياء إلي ، و ذلك أنني أجدها أبعاضاً مجتمعة ، وأجزاءً مؤتلفة ، ظاهرة التركيب ، متينة الصنعة ، مبنية على ضروب من التخطيط و التصوير ، زائدة من بعد نقصان ، و ناقصة من بعد زيادة ، قد أنشئ لها حواس مختلفة ، و جوارح متباعدة ، من بصر و سمع و شام و ذائق و لامس ، مجبولة على الضعف و النقص و المهانة ، لا تدرك واحدة منها مدرك صاحبها ، ولا تقوى على ذلك عاجزة عن اجتلاب

المنافع إليها ، ودفع المضار عنها ، واستحال في العقول وجود تأليف لا مؤلف له ، وثبات صورة لا مصور لها ، فعلمت أن لها خالقاً خلقها ، ومصوراً صوّرها ، مخالفاً لها في جميع جهاتها ، ^(١) قال الله جلّ جلاله : وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

٢٣ - يد : الدقاق ، عن الأسيدي ، عن الحسين بن المأمون القرشي ، ^(٢) عن عمر بن عبدالعزیز ، ^(٣) عن هشام بن الحكم قال : قال لي أبو شاكر الديصاني : إن لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فإني قد سألت عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مشبع ، قلت : هل لك أن تخبرني بها فلعلّ عندي جواباً ترتضيه ؟ فقال : إنني أحب أن ألقى بها أبا عبد الله عليه السلام ، فاستأذنت له فدخل فقال له : أتأذن لي في السؤال ؟ فقال له : سل عما بدا لك ، فقال له : ما الدليل على أن لك صناعاً ؟ فقال : وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين : إما أن أكون صنعتها أنا ، فلا أخلو من أحد معنيين : إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة أو صنعتها - وكانت معدومة ، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً ، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صناعاً وهو الله رب العالمين ، فقام وما أجاب جواباً .

بيان : هذا برهان متين مبني على توقّف التأثير و الإيجاد على وجود الموجد والمؤثر ، والضرورة الوجدانية حاکمة بحقيقتها ، ولا مجال للعقل في إنكارها .

٢٤ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن أحمد بن إدريس ، و محمد العطار ، عن الأشعري ، عن سهل ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن يعقوب الهاشمي ، عن مروان بن مسلم قال : دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه السلام : فقال : أليس تزعم أن الله خالق كل شيء ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : بلى ، فقال له : أنا أخلق ، فقال له : كيف تخلق ؟ قال : أحدث في الموضوع ثم ألبث عنه فيصير دوابة ، فأكون أنا الذي خلقتها ، فقال أبو عبد الله

(١) وفي نسخة : مخالفاً لها في جميع صفاتها .

(٢) لم نقف على ترجمته .

(٣) لعله هو أبو حفص الملقب بزحل الذي ترجمه النجاشي في رجاله ص ٢٠٢ قال : عربي بصري

مخلط ، له كتاب .

عليه السلام : أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه ؟ قال له : بلى ، قال : فتعرف الذكركم منها من الأُنثى وتعرف كم عمرها ؟ فسكت .

٢٥ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن هاشم ، عن محمد بن حماد ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن يونس بن يعقوب قال : قال لي علي بن منصور : (١)
 قال لي هشام بن الحكم : كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها ، فقيل له : هو بمكة فخرج الزنديق إلى مكة ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام فقاربنا الزنديق - ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام - في الطواف فضرب كتفه كتف أبي عبدالله عليه السلام ، فقال له جعفر عليه السلام : ما اسمك ؟ قال : اسمي عبد الملك ، قال : فما كنيته ؟ قال : أبو عبدالله ، قال : فمن الملك الذي أنت له عبد ، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض ؟ وأخبرني عن ابنك ، أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض ؟ فسكت ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : قل ماشئت تخصم . قال هشام بن الحكم : قلت للزنديق : أما ترد عليه ؟ فقبّح قولي ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : إذا فرغت من الطواف فأتنا ، فلما فرغ أبو عبدالله عليه السلام أتاه الزنديق فقعده بين يديه ونحن مجتمعون عنده ، فقال للزنديق : أتعلم أن للأرض تحت وفوق ؟ قال : نعم ، قال : فدخلت تحتها ؟ قال : لا ، قال : فما يدريك بما تحتها ؟ قال : لا أدري إلا أنني أظن أن ليس تحتها شيء ، قال أبو عبدالله عليه السلام : فالظن عجز مالم تستيقن ، قال أبو عبدالله عليه السلام : فصعدت إلى السماء ؟ قال : لا ، قال : فتدري ما فيها ؟ قال : لا ، قال : فعجباً لك لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تجز هنالك فتعرف ما خلقهن وأنت جاحد ما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟ فقال الزنديق : ما كلمني بهذا أحد غيرك ، قال أبو عبدالله عليه السلام : فأنت في شك من ذلك فلعل هو ، أو لعل ليس هو ، قال الزنديق : ولعل ذلك : فقال أبو عبدالله عليه السلام : أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ، فلا حجة للجاهل ، يا أبا أهل مصر تفهم عني فإننا لا نشك في الله أبداً ، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان

(١) أورده النجاشي في ص ١٧٦ من رجاله ، قال : علي بن منصور أبو الحسن كوفي ، سكن

بغداد ، متكلم ، من أصحاب هشام ، له كتب : منها كتاب التديير في التوحيد والإمامة .

ليس لهما مكان إلا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا ولا يرجعان فلم يرجعان؟ وإن لم يكونا مضطربين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطرراً والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر منهما، قال الزنديق: صدقت. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا أهل مصر الذي تذهبون إليه وتظنونه بالوهم فإن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردُّهم؟ وإن كان يردُّهم لم لا يذهب بهم؟ الفوم مضطربون يا أخا أهل مصر، السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، لم لا تسقط السماء على الأرض؟ ولم لا تنحدر الأرض فوق طباقها فلا يتما سكان ولا يتما سك من عليهما؟ فقال الزنديق: أمسكهما والله ربهما وسيدهما، فأمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام. فقال له حمران بن أعين: جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمنت الكفار على يدي أيك. فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبد الله عليه السلام: اجعني من تلامذتك. فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام بن الحكم: خذني إليك فعلمه. فعلمه هشام فكان معلماً أهما، مصر وأهل الشام، وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبد الله عليه السلام.

ج: عن هشام بن الحكم مثله.

إيضاح: قوله عليه السلام: فمن الملك لعله عليه السلام سلك أولاً في الاحتجاج عليه مسلك الجدل، لبنائه على الأمر المشهور عند الناس أن الاسم مطابق لمعناه، ويحتمل أن يكون على سبيل المطابقة والمزاح لبيان عجزه عن فهم الواضحات، و ردّ الجواب عن أمثال تلك المطابقات، أو يكون منبهاً على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع وإن أنكره ظاهراً لكفرهم وعنادهم، ثم ابتداء عليه السلام بإزالة إنكار الخصم وإخراجه منه إلى الشك لتستعد نفسه لقبول الحق، فأزال إنكاره بأنه غير عالم بما تحت الأرض وليس له سبيل إلى الجزم بأن ليس تحتها شيء، ثم زاده بياناً بأن السماء التي لم يصعدها كيف يكون له الجزم والمعرفة بما فيها وما ليس فيها؟ وكذا المشرق والمغرب، فلماعرف قبح إنكاره وتنزل عنه وأقر بالشك بقوله: ولعل ذلك، أخذ عليه السلام في هدايته وقال: ليس للشاك دليل وللجاهل حجة، فليس لك إلا طلب الدليل فاستمع وتفهم فإننا لا نشك فيه أبداً، والمراد بولوج الشمس والقمر غروبهما، أو دخولهما بالحر كات

الخاصة في بر وجهها ، وبولوج الليل والنهار دخول تمام كل منهما في الآخر ، أو دخول بعض من كل منهما في الآخر بحسب الفصول .

وحاصل الاستدلال أن لهذه الحركات انضباطاً و اتساقاً و اختلافاً و تركباً و الانضباط يدل على عدم كونها إرادية كما هو المشاهد من أحوال ذوي الإرادات من الممكنات ، و الاختلاف يدل على عدم كونها طبيعية ، فإن الطبيعة العادمة للشعور لا تختلف مقتضياتها كما نشاهد من حركات العناصر ، كما قالوا : إن الطبيعة الواحدة لا تقتضي التوجه إلى جهة والانصراف عنه ، ويمكن أن يقال : حاصل الدليل راجع إلى ما يحكم به الوجدان ، من أن مثل تلك الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لا يصدر عن الدهر والطبائع العادمة للشعور والإرادة ، وإلى هذا يرجع قوله **بِسْمِ اللَّهِ** : إن كان الدهر يذهب بهم أي الدهر العديم الشعور كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة ولا يصدر عنه بدله الرجوع ؟ أو المراد أنه لم يقتضي طبعه ذهاب شيء ، ولا يقتضي رده وبالعكس ، بناء على أن مقتضيات الطبائع تابعة لتأثير الفاعل القادر القاهر ، ويمكن أن يكون المراد بالذهاب بهم إعدامهم ، وبردتهم إيجادهم ، والمراد بالدهر الطبيعة ، كما هو ظاهر كلام أكثر الدهرية ، أي نسبة الوجود و العدم إلى الطبائع الإمكانية على السواء ، فإن كان الشيء يوجد بطبعه فلم لا يعدم ؟ فترجح أحدهما ترجيح بلا مرجح يحكم العقل باستحالته . ويجري جميع تلك الاحتمالات في قوله **بِسْمِ اللَّهِ** : السماء مرفوعة إلى آخر كلامه **بِسْمِ اللَّهِ** . وقوله **بِسْمِ اللَّهِ** : لم لا تسقط السماء على الأرض أي لا تتحرك بالحركة المستقيمة حتى تقع على الأرض . وقوله : ولم لا تنحدر الأرض ؟ أي تتحرك إلى جهة التحت حتى تقع على أطباق السماء ، أو المراد الحركة الدورية فيغرق الناس في الماء ، فيكون ضمير طباقها راجعاً إلى الأرض وطباق الأرض : أعلاها أي تنحدر الأرض بحيث تصير فوق ما علامتها الآن . قوله **بِسْمِ اللَّهِ** : فلا يتما سكان أي في صورة السقوط والانحدار ، أو المراد فظهر أنه لا يمكنهما التمسك بأنفسهما بل لا بد من ماسك يمسكهما .

أقول : تفصيل القول في شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضي مقاماً آخر ، وإنما

نشير في هذا الكتاب إلى ما علله يتبصر به أولوا الأذهان الثاقبة من أولي الأبواب ،

وسنبسط الكلام فيها في كتاب مرآة العقول إن شاء الله تعالى .

٢٦ - م : قال الإمام عليه السلام : لما توعد^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله اليهود والنواصب في جحد النبوة والخلافة ، قال مردة اليهود وعتاة النواصب^(٢) : من هذا الذي ينصر محمداً وعلياً على أعدائهما ؟ فأنزل الله عز وجل : « إن في خلق السموات والأرض بلا عمد من تحتها ، ولا علاقة من فوقها ، تحبسها من الوقوع عليكم ، وأنتم يا أيها العباد والإماء أسرائي وفي قبضي ، الأرض من تحتكم لا منجى لكم منها إن هربتم ، والسماء من فوقكم ولا محيص لكم عنها إن ذهبتم ، فإن شئت أهلكتكم بهذه ، وإن شئت أهلكتكم بتلك ، ثم ما في السماوات من الشمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معاشكم ، ومن القمر المضيء لكم في ليالكم لتبصروا في ظلماته وإجاءكم بالاستراحة بالظلمة إلى ترك مواصلة الكد الذي ينهك^(٣) أبدانكم » واختلاف الليل والنهار المتتابعين الكادين عليكم بالعجائب التي يحدثها ربكم في عالمه من إسعاد وإشقاء ، وإعزاز وإذلال ، وإغناء وإفقار ، وصيف وشتاء ، وخريف وربيع ، وخصب وقحط ، وخوف وأمن « و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس » التي جعلها الله مطاياكم لا تهدأ^(٤) ليلاً ولا نهاراً ، ولا تقتضيكم علفاً ولا ماءً ، وكفاكم بالرياح مؤونة تسيرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لو ركبت عنها الرياح لتمام مصالحكم و منافعكم و بلوغ الحوائج لأنفسكم « وما أنزل الله من السماء من ماء ، و ابلأ و هطلاً و رذاذاً^(٥) لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معاشكم لكنه ينزل متفرقاً من علا حتى تعم الأوهاد والتلال والتلاع ،^(٦) فأحيى به الأرض بعد موتها » فيخرج نباتها وثمارها وحبوبها « وبث فيها

(١) أي هدود .

(٢) العتاة . جمع للعاتى وهو المستكبر ومن جاوز الحد .

(٣) أي يذنف ويضنى .

(٤) المطايا جمع للمطية وهي الدابة التي تركب . ولا تهدأ أي لا تسكن .

(٥) الوايل : المطر الشديد . الهطل - بفتح الهاء - : المطر الضعيف الدائم . وتتابع المطر

المتفرق العظيم القطر . الرذاذ كسحاب : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار ، أو هو بحد الطل .

(٦) جمع للتلة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ، من الاضداد . و لعل المراد في الخبر

المعنى الثاني .

من كل دابة منها ما هوأكلكم ومعاشكم، ومنها سباع ضارية حافظة عليكم لأنعامكم لئلا تشد عليكم خوفاً من افتراسها لها، «وتصريف الرياح» المربية لحبوبكم، المبلغة لثماركم، النافية لركد الهواء والأقتار عنكم، «والسحاب المسخر بين السماء والأرض» يحمل أمطارها، ويجري بإذن الله ويصّبها من حيث يؤمر «آيات» دلائل واضحات «لقوم يعقلون» يتفكرون بعقولهم أن من هذه العجائب من آثار قدرته قادر على نصرته محمد وعلي وآلهما عليهما السلام على من يشاء.

بيان : الكاذب من الكد بمعنى الشدة والإجحاح في الطلب كناية عن عدم تخلفهما والباء في قوله عليه السلام : بالعجائب بمعنى مع . وقوله : والأقتار كأنه جمع القتره بمعنى الغبرة أي يذهب الأغبرة والأبخرة المجمععة في الهواء الموجبة لكثافتها وتعفنها . والضمير في قوله : أمطارها إما راجع إلى الأرض ، أو إلى السحاب للجمعية .

٢٧ - جمع : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع ، فقال : البعرة تدل على البعير ، والروثة تدل على الحمير ، و آثار القدم تدل على المسير ، فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير ؟ .

٢٨ - وقال عليه السلام : ب صنع الله يستدل عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالتفكر تثبت حجته ، معروف بالدلالات ، مشهور بالبيّنات .

٢٩ - جمع : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ما الدليل على إثبات الصانع ؟ قال : ثلاثة أشياء : تحويل الحال ، وضعف الأركان ، ونقض الهمة .

أقول : سيأتي ما يناسب هذا الباب في أبواب الاحتجاجات ، وأبواب المواظ و الخطب والحكم إن شاء الله تعالى . ولنذكر بعد ذلك توحيد المفضل بن عمر ، ورسالة الإهليلجة المرويتين عن الصادق عليه السلام لاشتمالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع تعالى ، ولا يضر إرسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضل ، وقد شهد بذلك السيد ابن طاووس وغيره .^(١) ولاضعف محمد بن سنان والمفضل لأنه في محل المنع بل يظهر من الأخبار

(١) قال ابن طاووس في ص ٩ من كتابه كشف المحجة : وانظر كتاب المفضل بن عمر الذي أملاه

عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق الله جل جلاله من الآثار ، وانظر كتاب الإهليلجة وما فيه من

الكثيرة علو قدرهما وجلالتهما ، مع أن متن الخبرين شاهدا صدق علي صحتهما ،^(١) وأيضاً هما يشتملان على براهين لاتتوقف إفادتها العلم على صحة الخبر .

• الاعتبار ، فإن الاعتناء بقول سابق الانبياء والاوصياء والاولياء عليهم أفضل السلام موافق لفطرة العقول والاحلام . وقال في ص ٧٨ من كتابه الامان من أخطار الاسفار والازمان : ويصحب معه كتاب الاهليلجة وهو كتاب مناظرة مولانا الصادق عليه السلام الهندي في معرفة الله جل جلاله بطريق غريبة صعبة ضرورية ، حتى أقر الهندي بالالهية والوحدانية ، ويصحب معه كتاب المفضل بن عمر الذي رواه عن الصادق عليه السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي وأسراره ، فانه عجيب في معناه . أقول : وعد النجاشي من كتبه كتاب الفكر كتاب في بدء الخلق والحث على الاعتبار وصية المفضل ، وذكر طريقه إليه هكذا : أخبرني أبو عبد الله بن شاذان ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه ، عن عمران بن موسى ، عن ابراهيم بن هاشم ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل انتهى . ولعل المراد منه هو كتاب توحيدة هذا .

(١) أما متن الخبر الاول المشتهر بتوحيد المفضل فهو مطابق لجل الاخبار الروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام المطابقة لمعارف الكتاب العزيز وما يشتمل عليه من الادلة براهين تامة لا غبار عليها . وأما خبر الاهليلجة فمحصل ما فيه إثبات جعية حكم العقل وعدم كفاية الحواس في الاحكام ، وإثبات وجود الصانع من طريق السببية ، وإثبات وحدته من طريق اتصال التدبير وهذا لا شك فيه من جهة المن والامن جهة مطابقتها لسائر النقل ، غير أنه مشتمل على تفاصيل لا شاهد عليها من النقل العقل بل بالامر بالعكس ، كاشتماله على كون علوم الهيئة وأحكام النجوم مستنداً إلى الوحي ، وكذا كون علم الطب والقرابادين مستندين إلى الوحي مستدلاً بأن إنساناً واحداً لا يقدر على هذا التتبع العظيم والتجارب الواسع . مع أن ذلك مستند الى أرصاد كثيرة ومحاسبات علمية وتجارب ممتدة من امم مختلفة في أعصار وقرون طويلة تراكت حتى تكونت في صورة فن أنتج مجموع تلك المجاهدات العظيمة ، والدليل عليه أن النهضة الاخيرة سبكت على الهيئة والطب في قالب جديد أوسع من غالبها القديم بما لا يقدر من الوسعة ، ولا مستند له الا الارصاد والتجارب والمحاسبات العلمية ، وكذا ما هو مثلها في الوسعة كالكيمياء والطبيعات وعلم النبات والحيوان وغير ذلك ، نعم من الممكن استناد أصلها الى الوحي وبيان النبي .

ومما يشتمل عليه الخبر كون البحار باقية على حال واحدة دائماً من غير زيادة ونقص مع أن التغيرات الكلية فيها ما هو اليوم من الواضحات . على أن الكتاب والسنة يساعده أيضاً .

والذي أظنه - والله أعلم - أن أصل الخبر مما صدر عنه عليه السلام لكنه لم يغفل عن تصرف المتصرفين فزادوا ونقصوا بما أخرجوه عن استقامته الاصلية ، ويشهد على ذلك النسخ المختلفة العجيبة التي سينقلها المصنف رحمه الله فان النسخ يمكن أن تختلف بالكلمة والكلمتين والجملة والجملتين لسهول من الراوي في ضبطه أو من الكاتب في استنساخه ، و أما بنحو الورقة والورقتين وخمسين سطراً ومائة سطر فمن المستبعد جداً ، الا أن يستند الى تصرف عمدي ، وما يشهد على ذلك أيضاً الاندماج وعسر البيان الذي يشاهد في أوائل الخبر وأواسطه . والله أعلم . ط

﴿باب ٤﴾

﴿الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر﴾

روى محمد بن سنان قال : حدثنا المفضل بن عمر قال : كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر ، وأنا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمد ﷺ من الشرف والفضائل ، وما منحه وأعطاه وشرّفه به وحباه^(١) مما لا يعرفه الجمهور من الأمة ، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته ،^(٢) فأني لكَذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العوجاء فقال : لقد بلغ صاحب هذا القبر العزّ بكماله ، وحاز الشرف بجميع خصاله ، ونال الحظوة في كل أحواله ، فقال له صاحبه : إنه كان فيلسوفاً ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى ، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول ، وضلت فيها الأحلام ، وغاصت الأبواب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير ، فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجاً فقرن اسمه باسم ناموسه ، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان ، والمواضع التي انتهت إليها دعوته ، وعلت بها كلمته ، وظهرت فيها حجته برّاً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كل يوم وليلة خمس مرّات ، مردداً في الأذان والإقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره ، لتلايخمل أمره . فقال ابن أبي العوجاء : دع ذكر محمد ﷺ - فقد تحير فيه عقلي ، وضلّ في أمره فكري ، وحدثنا في ذكر الأصل الذي يمشى به . ثم ذكر ابتداء الأشياء وزعم أن ذلك باهمال لاصنعة فيه ولا تقدير ، ولا صانع له ولا مدبر ، بل الأشياء تتكون من ذاتها بلامدبر ، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال .

بيان : الحوز : الجمع وكل من ضم إلى نفسه شيئاً فقد حازه . والحظوة بالضم والكسر والحاء المهملة والطاء المعجمة : المكانة والمنزلة . والفيلسوف : العالم . وخساً

(١) أي أعطاه .

(٢) العطر : الشرف ، وارتفاع القدر والمرتبة .



البصر أي كلِّ. و الناموس : صاحب السرِّ المطلع على أمرك ، أو صاحب سرِّ الخير ، و جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والعاذق ومن يلطف مدخله ، ذكرها الفيروز آبادي ، ومراده هنا الربُّ تعالى شأنه . وخمل ذكره : خفي . والخامل : الساقط الذي لانباهة له . وقوله : الذي يمشى به أي يذهب إلى دين محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وغيره بسببه ، أو يهتدى به كقوله تعالى : نوراً يمشي به في الناس .^(١) و في بعض النسخ « يسمي » إمّا بالتشديد أي يذكر اسمه ، أو بالتخفيف أي يرتفع الناس به ويدعون الانتساب إليه .

قال المفضل : فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً^(٢) فقلت : يا عدو الله أحدث في دين الله ، وأنكرت الباري جلَّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم ، وصورك في أتم صورة ، ونقلك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حيث انتهيت ، فلوتفكرت في نفسك و صدقك لطيف حسك لو وجدت دلائل الربوبية و آثار الصنعة فيك قائمة ، وشواهد - جلَّ وتقدس - في خلقك واضحة ، وبراهينه لك لائحة . فقال : يا هذا إن كنت من أهل الكلام كالمناك ، فإن ثبت لك حجة تبغناك ، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك ، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ، ولا يمثل دليلك يجادلنا ، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت ، فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا ، وإنه للمحليم الرزين العاقل الرصين ، لا يعتربه^(٣) خرق ولا طيش ولا تزق ، ويسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف حجتنا حتى استفرغنا ما عندنا وظننا أننا قد قطعناه أدحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ، ويقطع العذر ، ولا نستطيع لجوابه ردّاً ، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه .

بيان : و صدقك بالتخفيف أي قال لك صدقاً . لطيف حسك أي حسك اللطيف أي لم يلتبس على حسك غرائب صنع الله فيك لمعاندتك للحق ، وفي بعض النسخ حسنك فالمراد بصدق الحسن ظهور ما أخفى الله فيه منه على الناظر ، وعلى الوجهين يمكن أن يقرأ صدقك بالتشديد بتكلف لا يخفى على المتأمل . والرزين : الوقور ، والرصين بالصاد

(١) الانعام : ١٢٢

(٢) العنق : شدة الاغتيال .

(٣) أي لا يصيبه .



المهملة : الحكم الثابت . والخرق بالضم : ضد الرفق . والنزق : الطيش والخفة عند الغضب . وقوله : استفرغنا لعله من الإفراغ بمعنى الصب ، قال الفيروز آبادي : استفرغ مجهوده : بذل طاقته ، والإدحاض : الإبطال .

قال المفضل : فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصاة و تعطيها ،^(١) فدخلت على مولاى صلوات الله عليه فرآني منكسراً ، فقال : مالك ؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين^(٢) وبما رددت عليهما ، فقال : لألقين إيلك من حكمة الباري - جل وعلا وتقدس اسمه - في خلق العالم والسباع والبهائم و الطير والهوام ، وكل ذي روح من الأنعام ، والنبات والشجرة المشمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ، ويسكن إلى معرفته المؤمنون ، ويتحير فيه الملحدون فبكر علي غداً .

قال المفضل : فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت علي تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به ، فلما أصبحت غدوت فاستوذنت لي فدخلت و قمت بين يديه ، فأمرني بالجلوس فجلست ، ثم نهض إلى حجرة كان يخلو فيها ، فنهضت بنهوضه فقال : اتبعني فتبعته فدخلت ودخلت خلفه ، فجلس وجلست بين يديه ، فقال : يا مفضل : كأنني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك ؟ فقلت : أجل يا مولاى ، فقال : يا مفضل إن الله كان ولاشيء قبله ، وهو باق ولا نهاية له ، فله الحمد على ما ألهمنا ، وله الشكر على ما منحننا ، وقد خصنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها ، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه ، وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه ، فقلت : يا مولاى أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه ؟ - وكنت أعدت معي ما أكتب فيه - فقال لي : افعل .

بيان : أسناها أي أرفعها أوأضوأها . والمهيمن : الأمين والمؤمن والشاهد .

يا مفضل إن الشكك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلق ، وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة ، فيما ذرأ^(٣) الباري جل قدسه وبراً^(٤) من صنوف خلقه في

(١) العصاة : الجماعة من الرجال .

(٢) الدهري : الملحد القائل : بأن العالم موجود أزلا وأبداً ، لا صانع له .

(٣) أي خلق .

(٤) أي خلقه من الدم .



البرّ والبحر، والسهل والوعر^(١) فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود، و بضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود، حتى أنكروا خلق الأشياء، وأدّعوا أن كونها بالإهمال لا صنعة فيها ولا تقدير، ولا حكمة من مدبّر ولا صانع، تعالى الله عما يصفون، وقاتلهم الله أننى يؤفكون. فهم في ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بنا، وأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة و الملابس والمآرب^(٢) التي يحتاج إليها لا يستغنى عنها، ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها يميناً وشمالاً ويطوفون بيوتها إداراً وإقبالاً، محجوبة أبصارهم عنها، لا يبصرون بنية الدار^(٣) وما أعدّ فيها، وربما عثر بعضهم بالشئ الذي قد وضع موضعه وأعدّ للحاجة إليه، وهو جاهل بالمعنى فيه ولما أعدّ ولماذا جعل كذلك فتذمروا وتسخط وذمّ الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلق و ثبات الصنعة،^(٤) فإنهم لما غربت^(٥) أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى، ولا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيته، وربما وقف بعضهم على الشئ، لجهل سببه والإرب فيه فيسرع إلى ذمّه ووصفه بالإحالة والخطأ، كالذي أقدمت عليه المانوية الكفرة، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال، المعللين أنفسهم بالمحال، فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه، ووقفه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق، والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة بالدالة على صانعها، أن يكتر حمد الله مولاه على ذلك، بل يفتخر به في الثبات عليه و الزيادة منه فإنه جلّ اسمه يقول: لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد.

(١) وعرا الارض : صلب وصعب السير فيه ، ضد السهل .

(٢) المآرب : الحوائج .

(٣) وفي نسخة : هيئة الدار .

في نسخة : إثبات الصنعة .

في نسخة عزبت ، وفي نسخة اخرى : غبت ، وفي ثالثة . وعرت .



بيان : قاتلهم الله أي قتلهم ، أولعنهم . أنتى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق ؟
وقال الجوهري : ظلَّ يتذمَّر على فلان إذا تنكَّر له وأوعده . انتهى . وغربت بمعنى غابت .
والإرب بالفتح والكسر : الحاجة . ووصفه بالإحالة أي بأنه يستحيل أن يكون له
خالق مدبِّر أو يستحيل أن يكون من فعله تعالى . والمانويَّة فرقة من الثنويَّة أصحاب
مانى الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية ،
وكان يقول بنبوَّة المسيح - على نبينا وآله وعليه السلام - ولا يقول بنبوَّة موسى - على
نبينا وآله وعليه السلام - و زعم أن العالم مصنوع مرَّكب من أصلين قديمين أحدهما
نور و الآخر ظلمة ، وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور ، والشروء إلى الظلمة ، وينسبون
خلق السباع والموذيات والعقارب والحيات إلى الظلمة ، فأشار عليه السلام إلى فساد وهمهم
بأن هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيات التي يزعمون أنها من الشرور
التي لا يليق بالحكيم خلقها . قوله عليه السلام : المعللين أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربهم
بأُمور يحكم العقل السليم باستحالتها ، قال الفيروز آبادي : علله بطعام وغيره تعليلاً :
شغله به .

يا مفضل : أوَّل العبر والآدنة على الباري جلَّ قدسه تهيئة هذا العالم و تاليف
أجزائه ونظمها على ما هي عليه ، فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته
كالبيت المبنيَّ المعدَّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض
ممدودة كالبساط ، والنجوم منضودة كالمصاييح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكلُّ
شيء فيها لشأنه معدُّ ، والإنسان كالمملك ذلك البيت ، والمخول جميع ما فيه ، وضروب
النبات مهياةً لما ربه ، وصنوف الحيوان مصروفةً في مصالحه ومنافعه ، ففي هذا دلالة
واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ، ونظام وملائمة ، وأن الخالق له واحد
وهو الذي ألفه ونظمه بعضاً إلى بعض ، جلَّ قدسه ، وتعالى جدُّه ، وكرم وجهه ،
ولا إله غيره ، تعالى عما يقول الجاحدون ، وجلَّ وعظم عما ينتحله الملحدون .

بيان : قال الفيروز آبادي : نضد متاعه ينضده : جعل بعضه فوق بعض فهو منضود
انتهى . و التخويل : الإعطاء و التمليك . قوله عليه السلام : وإن الخالق له واحد

أقول : أشار ﷺ بذلك إلى أقوى براهين التوحيد ،^(١) وهو أن ائتلاف أجزاء العالم واحتياج بعضها إلى بعض وانتظام بعضها ببعض ، يدلُّ على وحدة مدبرها كما أن ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام بعض أعضائه مع بعض يدلُّ على وحدة مدبره . وقد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لا يسع المقام ذكرها ، وربما يستدلُّ عليه أيضاً بما قد تقرر من أن المتلازمين إما أن يكون أحدهما علّة للآخر ، أو هما معلولا علّة ثالثة ، وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد .

نبتدىء ، يا مفضل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به ، فأول ذلك ما يدبره الجنين في الرحم ، وهو محجوب في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى ، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة ، فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذوا الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه ، وقوي أديمه على مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقات الضياء هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ إزعاج ، وأعنفه حتى يولد ، وإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء ، وهو أشدّ موافقةً للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع فهو يجد ثديي أمّه كالأوتين المعلقين لحاجته إليه ، فلا يزال يغتذي باللبن مادام رطب البدن ، رقيق الأمعاء ، لين الأعضاء ، حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابةً ليشتدّ ويقوي بدنه طلعت له الطواحين من الأسنان والأضراس ، ليمضغ به الطعام فيلين عليه ، ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعزُّ الرجل الذي يخرج به من حدِّ الصبا وشبه النساء ، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر ، لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه .

(١) الذي وصف عليه السلام به هذا الدليل هو أنه أول الأدلة أي أقرب الأدلة منا إذا أردنا التفهم بالاستدلال ، وأما كونه أقوىها كما ذكره رحمه الله فلعل هناك ما هو أقوى منه وإن كان أبعد من أفهامنا كما يتبين في محله . ط

بيان : الأديم : الجلد . والطلق : وجع الولادة . ويقال : أزعجه أي قلعه عن مكانه ويقال : تلمّظ إذا أخرج لسانه فمسح به شفّتيه ، وتلمّظت الحية إذا أخرجت لسانها كتلمّظت الأكل . والإداوة بالكسر : إناء صغير من جلد يتخذ للماء . و الطواحن : الأضراس ، ويطلق الأضراس غالباً على المآخير ، والأسنان على المقادير كما هو الظاهر هنا ، وإن لم يفرّق اللغويون بينهما ، والمراد بالطواحن هنا جميع الأسنان . والإساعة : الأكل والشرب بسهولة .

اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة ، هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال ؟ أفرأيت لولم يجري إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات إذا فقد الماء ؟ ولولم يزعه المخاض^(١) عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود في الأرض ؟ ولولم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً ، أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ؟ ولولم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام و إساعته ، أو يقيمه على الرضاع فلا يشدّ بدنه ولا يصلح لعمل ؟ ثم كان تشتغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ، ولولم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى له جلالته ولا وقاره ؟ فقال المفضل : فقلت : يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر ، فقال : ذلك بما قدّمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد ، فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأ خلقاً بعد أن لم يكن ، ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان فإن كان للإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتیان بالخطأ والمحال لأنهما ضدّ الإهمال ، وهذا فظيع^(٢) من القول وجهل من قائله ، لأن الإهمال لا يأتي بالصواب ، والتضاد لا يأتي بالنظام ، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً ، ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل^(٣) إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه

(١) المخاض : وجع الولادة وهو الطلق .

(٢) فظع الامر : اشتدت شناعته وجاوز المقدار في ذلك .

(٣) أي ضايح العقل .



هالم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطيور إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم ، واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبي صغيراً غير عاقل ، ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً ، معصباً بالخرق ، مسجى في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد ، ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غيباً غافلاً عما فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ، ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء ، و حالاً بعد حال ، حتى يألف الأشياء و يتمرن^(١) و يستمر عليها ، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطراب إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية ، وفي هذا أيضاً وجوه آخر فإنّه لو كان يولد تامّ العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد ، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة ، وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكلفات^(٢) بالبرّ والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم ، ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياتهم^(٣) فيتفرقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمه ، ولا يمنع من نكاح أمه وأخته وذوات المحارم منه إذا كان لا يعرفهنّ ، وأقل ما في ذلك من القباحة - بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع - لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه . أفلا ترى كيف أقيم كل شيء من الخلق على غاية الصواب ، و خلا من الخطأ دقيقه وجليله ؟ .

بيان : أفرايت أي أخبرني ، قال الزمخشري : لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها استعملوا رأيت بمعنى أخبر . انتهى . و يقال : ذوى العود أي يبس . والموؤود الذي دفن في الأرض حياً كما كان المشركون

(١) أي يتعود ويتدرّب .

(٢) وفي نسخة : من المكافاة

(٣) أي حفظهم وتمهيدهم .



يفعلون في الجاهلية ببناتهم . قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : أو يقيمه أي عدم طلوع الأسنان . قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : ذلك بما قدمت أيديهم ، يحتمل أن يكون هذا لتعذيب الآباء وإن كان الأولاد يوجرون لفباحة منظرهم ، أو للأولاد لما كان في علمه تعالى صدوره عنهم باختيارهم . ويرصده أي يرقبه . قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : فإن كان الإهمال أي إذالم يكن الأشياء منوطة بأسبابها ، ولم ترتبط الأمور بعلمها ، فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التام بلا سبب فجاز أن يصير التدبير في الأمور سبباً لاختلالها ، وهذا خلاف ما يحكم به عقول كافة الخلق لما نرى من سعيهم في تدبير الأمور ودمهم من يأتي بها على غير تأمل وروية ، ويحتمل أن يكون المراد أن الوجدان يحكم بتضاد آثار الأمور المتضادة ، وربما أمكن إقامة البرهان عليه أيضاً ، فإذا أتى الإهمال بالصواب يجب أن يأتي ضدّه وهو التدبير بالخطأ وهذا أفضح وأشنع ، والمراد بالمحال الأمر الباطل الذي لم يأت على وجه الذي ينبغي أن يكون عليه ، قال الفيروز آبادي : المحال من الكلام بالضم : ما عدل عن وجهه . انتهى . والتهيه : الضلال والحيرة . والغضاضة بالفتح : الذلّة والمنقصة . وقوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : معصياً أي مشدوداً . والتسجية : التغطية بثوب يمدّ عليه . والغبي على فعيل : قليل الفطنة . والاعتبار من العبرة ، و ذكر في مقابلة السهو والغفلة . وقوله : ما قدر وما يوجب كلاهما معطوفان على موضع . وقوله : من المكلفات بيان لما يوجب أي لذهب التكاليف المتعلقة بالأولاد بأن يبرأ وآباءهم ويعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم ، وإعانتهم لكبرهم وضعفهم ، جزاء لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم . قوله : أن يرى خبر لقوله : أقل ما في ذلك . اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة ، واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلاً ، وعلا عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم ، فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم ، والسلامة في أبصارهم ، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ، والداه لا يعرفان ذلك ، فهما دائبان ليسكتاه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي ، وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة ، فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون

بالإهمال ، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء ، أنه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون ،^(١) وكثير مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته ، فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لوبقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة ، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البله^(٢) والجنون والتخليط ،^(٣) إلى غير ذلك من الأمراض المختلفة كالفالج واللقوة^(٤) وما أشبههما ، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم طالهم في ذلك من الصحة في كبرهم ، ففضل على خلقه بما جهلوه ، ونظر لهم بما لم يعرفوه ، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التماذي في معصيته ، فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه ، وتعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً .

بيان : الدؤب : الجد والتعب . والتوخى : التحري والقصد . وقوله **عَبَسَ** : كل ما لا يعرفه أي مما لا يقصر عنه علم المخلوقين . ويقال : أبطل أي جاء بالباطل .
انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك ، فجعل للذكر آلة ناشزة^(٥) تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره ، وخلق للأنثى وعاء أقر ليشتمل على المائين جميعاً ، ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم ، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون .

بيان : المشاكلة : المشابهة والمناسبة ، واسم الإشارة راجع إلى ما مضى من التدبير في الخلق ، ويحتمل إرجاعه إلى الجماع .

(١) وفي نسخة : يعرفه العارفون .

(٢) أي ضعف العقل وعجز الرأي .

(٣) أي اضطراب العقل واختلاله

(٤) اللقوة : علة يجذب لها شق الوجه إلى جهة غير طبيعية ، فيخرج النفخة والبرقة من جانب

واحد ، ولا يحسن النقاء الشفتين ، ولا ينطبق إحدى العينين .

(٥) أي رافعة . وفي نسخة ناشزة .



فكرياً مفضل في أعضاء البدن أجمع و تدبير كل منها للإرب ، فاليدان للعلاج ، والرجلان للسعي ، والعينان للاهتداء ، و الفم للاغتذاء ، والمعدة للهضم ، والكبد للتخليص ،^(١) والمنافذ لتنفيذ الفضول ،^(٢) والأوعية لحملها ، والفرج لإقامة النسل ، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأملت وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة .

قال المفضل : فقلت : يامولاي إن قوماً يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة ، فقال : سلمهم عن هذه الطبيعة ، أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال ، أم ليست كذلك ؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق ؟ فإن هذه صنعته ، وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد و كان في أفعالها ما قد تراها من الصواب و الحكمة علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم ، وأن الذي سمّوه طبيعة هو سنة في خلقه الجارية على ما أجزاها عليه .

ايضاح : قوله ﷺ : فما يمنعهم ؟ لعل المراد أنهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع فلم يسمّونه بالطبيعة وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة ؟ . قوله ﷺ : علم أن هذا الفعل أي ظاهر بطلان هذا الزعم ، والذي صار سبباً لذهولهم أن الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك ، وبعبارة أخرى أن سنة الله وعادته قد جرت لحجكم كثيرة أن تكون الأشياء بحسب بادي النظر مستندة إلى غيره تعالى ، ثم يعلم بعد الاعتبار والتفكر أن الكل مستند إلى قدرته و تأثيره تعالى ، وإنما هذه الأشياء و سائل و شرائط لذلك ، فلذا تحيروا في الصانع تعالى ، فالضمير المنصوب في قوله : أجزاها راجع إلى السنة ، و ضمير « عليه » راجع إلى الموصول .

فكرياً مفضل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير ، فإن الطعام يصير

(١) التخليص : التصفية والتمييز عن غيره ، وذلك لان الكبد يحيل الكيلوس الى الغلظ ، و

يعنى الاخلاط كل واحد عن الاخر ، وينفذها الى البدن ، كلها في مجارى مهيأة له .

(٢) أي لاخراج الفضول .

إلى المعدة فتطبخه ، و تبعث بصفوه إلى الكبد في عروق رقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفي للغذاء ، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها ، و ذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً ، وينفذ إلى البدن كله في مجاري مهيباً لذلك ، بمنزلة المجاري التي تهيؤ للماء حتى يطرد في الأرض كلها ، و ينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفايض قد أعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى إلى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال ، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة ، فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ، و وضع هذه الأعضاء منه مواضعها ، و إعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول ، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه ، فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير ، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه .

قال المفضل : فقلت : صف نشؤ^(١) الأبدان ونموها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال . فقال عائشة :

أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ، ويدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه و صلاحه من الأحشاء و الجوارح و العوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم والمنح والعصب والعروق والغضاريف ، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمي بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مدّ في عمره أو يستوفي مدته قبل ذلك ، هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة .

يا مفضل انظر إلى ما خص به الإنسان في خلقه تشرiffاً وتفضيلاً على البهائم ، فإنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ، ويمكنه العلاج والعمل بهما ، فلو كان مكبوباً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال .

(١) بالنون المفتوحة والشين الساكنة ثم الهزة . أو بالنون والشين المضمومتين والواو الساكنة

ثم الهزة .

بيان : قال الفيروز آبادي : وشجت العروق والأغصان : اشتبكت . وقال : نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت . انتهى . والمفائض في بعض النسخ بالفاء أي مجاري من فاض الماء ، وفي بعضها بالغين من غاض الماء غيضاً ، أي نضب^(١) وذهب في الأرض والمفيض : المكان الذي يفيض فيه . و «إلى» في قوله : إلى ما في تركيب بمعنى «مع» . وقال الفيروز آبادي : الغضروف : كل عظم رخو يؤكل ، وهو مارن الأنف ،^(٢) وبعض الكتف ، ورؤوس الأضلاع ، ورهابة الصدر ، وداخل فوق الأذن . انتهى . وقوله : تتزايد ولا تنقص أي النسبة بين الأعضاء . وبلوغ الأشد وهو القوة أن يكتهل ويستوفي السن الذي يستحكم فيها قوته وعقله وتميزه .

انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه وشرف بها على غيره ، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصاييح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن كاليدبن و الرجلين فتعرضها الآفات ، و تصيبها من مباشرة العمل و الحركة ما يعللها و يؤثر فيها وينقص منها ، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبدن والظهر فيعسر ثقلها واطلاعها نحو الأشياء ، فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس ، وهو بمنزلة الصومعة لها ؛ فجعل الحواس خمساً تلقي خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات ، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصريدركها لم يكن منفعة فيها ، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب^(٣) وكذلك سائر الحواس ، ثم هذا يرجع متكافئاً ، فلو كان بصر ولم يكن ألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع ، فانظر كيف قد بعضها يلقي بعضاً فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ، ولكل محسوس حاسة تدركه ، و مع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات ، لا يتم الحواس إلا بها ، كمثل الضياء والهواء فإنه لو لم يكن ضياءً يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ،

(١) أي جرى وسال . غارفي الارض .

(٢) أي طرف الأنف ، أو ما لان من طرفه

(٣) الارب : العاجة .



ولولم يكن هواءٌ يؤدّي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت ، فهل يخفى على من صحّ نظره وأعمل فكره أن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً وتهيئة أشياء آخرها تتم الحواس لا يكون إلا بعمد وتقدير من لطيف خبير ؟ .

بيان : قوله ﷻ : بعضها يلقي بعضاً حال أو صفة بتأويل أو تقدير .

فكّرياً مفضّل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أموره ، فإنّه لا يعرف موضع قدمه ، ولا يبصر ما بين يديه ، فلا يفرق بين الألوان ، و بين المنظر الحسن والقيح ، ولا يرى حفرة إن هجم عليها^(١) ولا عدواً إن أهوى إليه بسيف ، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتى أنّه لو لا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى ، وكذلك من عدم السمع يختل في أمور كثيرة فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ، ويعدم لذّة الأصوات واللحون الشجيّة المطربة ، ويعظم المؤونة على الناس في محاورته ، حتى يتبرّ موا به^(٢) ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم ، حتى يكون كالغائب وهو شاهد ، أو كالميت وهو حي ؛ فأما من عدم العقل فإنّه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً ممّا يهتدي إليه البهائم ، أفلاترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال^(٣) التي بها صلاح الإنسان والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها ، فلم كان كذلك إلا لأنّه خلق بعلم و تقدير ؟^(٤)

بيان : روح المخاطبة بالفتح أي راحتها ولذتها . والشجو : الحزن . ولا يتوهم جواز الاستدلال به على عدم حرمة الغناء مطلقاً لاحتمال أن يكون المراد الأفراد المحللة منها كما ذكرها الأصحاب ، وسيأتي ذكرها في بابها ، أو يكون فائدة إدراك تلك اللذّة عظم الثواب في تركها لوجهه تعالى . وقوله ﷻ : يوافي خلقه ، خبر صارت .

قال المفضّل : فقلت : فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في

(١) أي انتهى إليها بغتة على غفلة منه .

(٢) أي حتى يملتوا ويضجروا به .

(٣) جمع الخلة وهي الخصلة .

(٤) وفي نسخة : إلا لانه خلق بعلم وبقدر .



ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟ قال ﷺ: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه، كما قديودب الملوك الناس للتنكيل^(١) والموعظة فلانكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيتهم و يصوب من تديبرهم، ثم للذين ينزل بهم هذه البلايا من الثواب بعدالموت إن شكروا وأنابوا ما يستصغرون معه ماينالهم منها، حتى أنهم لوخيروا بعدالموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

فكريا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً، وما في ذلك من الحكمة والتقدير، والصواب في التدبير، فالرأس مما خلق فرداً ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون أكثر من واحد، الأتري أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه، لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد، ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً لاإرب فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلم بأحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأي ذلك يأخذ، و أشباه هذا من الأخلاط، واليدان مما خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء الأتري أن النجار والبنّاء لو شلت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته، وإن تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل.

أطل الفكر بامفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان، فالحنجرة كالأنبوبة^(٢) لخروج الصوت، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم، الأتري أن من سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة يشبه قصبه المزمار والرية يشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرية ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار، والشفتان

(١) نكتل به : صنع به صنيعاً يحذر غيره ويجعله عبرة له

(٢) وزان ارجوزة : ما بين المقدين من القصب .



والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي يختلف في فم المزممار فتصوغ صفيه أحياناً، غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزممار بالدلالة والتعريف فإن المزممار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت .

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف؛ وفيها مع الذي ذكرت لك ما أرب أخرى، فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الربة فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو احتبس^(١) شيئاً يسيراً لهلك الإنسان، وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرّها، وحامضها من مزّها، وما لحها من عذبها، وطيبها من خبيثها، وفيه مع ذلك معونة على إساعة الطعام والشراب، والأسنان تمضغ الطعام حتى تلين ويسهل إساعته، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم^(٢)، واعتبر ذلك بأنك ترى من سقطت أسنانه مسترخى الشفة ومضطربها، وبالشفتين يترشّف الشراب^(٣) حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقد لا يشجّ نجاً فيغصّ به الشارب أو ينكا في الجوف، ثمّ هما بعد ذلك كاللباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء، ويطبقهما إذا شاء، فقيما وصفنا من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرّف وينقسم إلى وجوه من المنافع، كما تتصرّف الأداة الواحدة في أعمال شتى، وذلك كالفاس^(٤) يستعمل في النجارة^(٥) والحفر وغيرهما من الأعمال، ولورأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيت قدفاً بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفتّته هدّ الصدمة والصكّة^(٦) التي ربّما وقعت في الرأس، ثمّ قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للرأس^(٧) يستره من شدة الحرّ

(١) وفي نسخة : لو حبس .

(٢) دعم الشيء : أسنده لتلايميل .

(٣) رشف الماء أي بالغ في معته .

(٤) الفاس : آلة لقطع الخشب وغيره .

(٥) وزان الكتابة : حرفة النجار .

(٦) الصكّة : الضرب الشديد أو اللطم .

(٧) الفرو: شئ كالجبة يبطن من جلود بعض الحيوانات كالواضب والسمور .



والبرد ، فمن حصّن الدماغ هذا التحصين إلاّ الذي خلقه وجعله ينبوع الحسن والمستحقّ للحياة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته ؟ .

بيان : المز : بين الحلو والحامض . والثج : السيلان . والغصص : أن يقف الشيء في الحلق فلم يكد يسيغه . والجمجمة : عظم الرأس المشتمل على الدماغ . والبيضة : هي التي توضع على الرأس في الحرب . والفت : الكسر . وهدّ البناء : كسره وضعفه ، وهدّته المصيبة أي أوهنت ركنه . والحيفة بالكسر : الحياطة والرعاية .

تأمل يا مفضل الجفن على العين ، كيف جعل كالغشاء ، والأشجار كالأشراج ، وأولجها في هذا الغار ، وأظلمها بالحجاب وما عليه من الشعر .

بيان : الجفن : غطاء العين من أعلا وأسفل . والأشجار : هي حروف الألفان التي عليها الشعر . والأشراج : العرى . وكأنه عَلَيْهَا شبه الأشجار بالعرى والخيط المشدود بها ، فإنّ بهما ترفع الأستار وتسدل عند الحاجة إليهما ، أو بالعرى التي تكون في العيبة من الأدم^(١) وغيره ، يكون فيها خيط إذا شدّت به يكون ما في العيبة محفوظاً مستوراً ، وكلاهما مناسب ، والأوّل أنسب بالغشاء . قال الجزري : في حديث الأحنف : فأدخلت ثياب صوني العيبة فأشرجتها . يقال : اشرجت العيبة وشرجتها : إذا شدتها بالشرح وهي العرى . انتهى . وأولجها يعني أدخلها .

يا مفضل من غيّب الفؤاد في جوف الصدر ، وكساه المدرعة التي هي غشاؤه ، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل إليه ما ينكؤه ؟ من جعل في الحلق منفذين ؟ أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتّصل بالرية ، والآخر منفذ الغذاء وهو المريء المتّصل بالمعدة الموصل للغذاء إليها ، وجعل على الحلقوم طبقة يمنع الطعام أن يصل إلى الرية فيقتل ؛ من جعل الرية مروحة الفؤاد ؟ لا تفر ولا تخل لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدّي إلى التلف . من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطهما ؟ لئلا يجريا جرياناً دائماً فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا ؟ بل الذي لا يحصي منه ولا يعلمه الناس أكثر ، من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدّرها

(١) العيبة الزنبيل من ادم . ما تجعل فيه الثياب كالصندوق . الادم : الجلود المدبوغة .

لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفوا للطيف من الغذاء، ولتهضم وتعمل ما هو أطف من عمل المعدة إلا الله القادر؟ أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك؟^(١) كلاً، بل هو تدبير من مدبر حكيم، قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إياها، لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير.

تبيان: الجوانح: الأضلاع التي مما يلي الصدر. وقوله **تَبَيَّنَ**: لا تخل من الإخلال بالشئ، بمعنى تركه. وقوله تتحيز إماماً من الحيز أي تسكن، أو من قولهم: تحيزت الحية: أي تلوت.

فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصناً في أنابيب العظام؟ هل ذلك إلا ليحفظه ويصونه؟ لم صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلا لتضبطه فلا يفيض؟ لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها ومعونة على العمل؟ لم صار داخل الأذن ملتويًا كهيئة الكوكب^(٢) إلا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع وليتكسر حمة الريح فلا ينكأ في السمع؟ لم حمل الإنسان على فخذه وإليته هذا اللحم إلا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليهما، كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه إذ ألم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها؟ من جعل الإنسان ذكراً وأنثى إلا من خلقه متناسلاً؟ ومن خلقه متناسلاً إلا من خلقه مؤملاً؟ ومن أعطاه آلات العمل إلا من خلقه عاملاً؟ ومن خلقه عاملاً إلا من جعله محتاجاً؟ ومن جعله محتاجاً إلا من ضربه بالحاجة؟ ومن ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويمه؟ من خصه بالفهم إلا من أوجب له الجزاء؟ ومن وهب له الحيلة إلا من ملكه الحول؟ ومن ملكه الحول إلا من ألزمه الحجمة؟ من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لم يبلغ مدى شكره؟ فكر وتدبر ما وصفته، هل تجد الإهمال على هذا النظام والترتيب؟ تبارك الله عما يصفون.

(١) في نسخة: أترى من الإهمال يأتي بشيء من ذلك

(٢) أقول: في بعض النسخ «اللؤلؤ» مكان الكوكب وهو آلة من خشب أو حديد ذات محور،

ذى دوائر ناتئة، وهو الذكر، أوداخلة وهو الأنثى.

بيان : الكوكب : المحبس . و اطرد الشيء ، تبع بعضه بعضاً و جرى . و قال الجوهري : حمة الحر معظمه . و قوله ﷺ : إلا من خلقه مؤملاً إشارة إلى أن الأمل و الرجاء في البقاء هو السبب لتحصيل النسل ، و لذا جعل الإنسان ذا أمل لبقاء نوعه . قوله ﷺ : إلا من ضربه بالحاجة أي سبب له أسباب الاحتياج و خلقه بحيث يحتاج . قوله ﷺ : إلا من توكل بتقويمه أي تكفل برفع حاجته و تقويم أوده .
والحول : القوة .

أصف لك الآن يا مفضل الفؤاد ، اعلم أن فيه ثقباً موجّهة نحو الثقب التي في الرية تروح عن الفؤاد ، حتى لو اختلفت تلك الثقب و تزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد و لهلك الإنسان ، أفيستجيز ذو فكر و روية أن يزعم أن مثل هذا يكون بالإهمال و لا يجد شاهداً من نفسه ينزعه عن هذا القول ؟ لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلوب أكنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى ؟ بل كنت تعلم ضرورة أنه مصنوع يلقي فرداً آخر فبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة ، وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهياً^(١) من فرد أنثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل و بقاءه ، فتباً و خيبة و تعساً لمنتحلي الفلسفة ، كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير و العمد فيها ؟ لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ؟ و لو كان منعظاً أبداً كيف كان الرجل يتقلب في الفراش أو يمشي بين الناس و شيء شاخص أمامه ؟ ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال و النساء جميعاً ، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ، و لا يكون على الرجال منه مؤونة ، بل جعل فيه القوة على الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدّر أن يكون فيه دوام النسل و بقاءه .

توضيح : قال الجوهري : وزعته أزعه وزعاً : كفته^(٢) . انتهى . و الكلوب بالتشديد : حديدة معوجة الرأس ، و في بعض النسخ «كلون» وهو فارسي . قوله ﷺ مهياً في بعض النسخ بالياء فلفظة «من» تعليلية ، و في بعضها بالنون فمن تعليلية أو

(١) وفي نسخة : كأنه فرد من زوج مهياً .

(٢) لم نجد في كلامه عليه السلام لفظة وزعته .

ابتدائية أي إنما يتم عيشه بأُنْثَى ، وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى «مع» إن جَوَّز استعماله فيه . وقال الجوهرى : تَبَّأَ لفلان ، تنصبه على المصدر با ضمائر فعل أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً . وقال : التعس : الهلاك ، يقال : تعساً لفلان أي ألزمه الله هلاكاً .

اعتبر الآن يا مفضل بعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى ، أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها؟^(١) فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيباً للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه ، فلم يجعله بارزاً من خلفه ، ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيَّب في موضع غامض من البدن ، مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان ، وتحجبه الإليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألقى ذلك المنفذ منه منصباً مهيباً لانحدار الثقل ، فتبارك الله من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعمائه .

بيان : ألقى أي وجد . وقوله **لَيْسَ** : منصّباً إماماً من الانصباب ، كناية عن التدلّي أو من باب التفعيل من نصب قال الفيروز آبادي : نصب الشيء ، وضعه ورفعته ضد ، كنبه فانتصب وتنصب .

فكّر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه ، وبعضها عراض لمضغه ورضه^(٢) فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً .

تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج إلى تخفيفه أو لا فأولاً جعل عديمي الحس لئلا يولم الإنسان الأخذ منهما ، ولو كان قص الشعر وتقليم الأظفار مما يوجد له مس من ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين : إما أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه ، وإما أن يخففه بوجع وألم يتألم منه .

(١) وفي نسخة : في أستر موضع منها .

(٢) رضه : دق وجرشه .



قال المفضل : فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقةً لاتزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه ؟ فقال عليه السلام : إن لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمد عليها ، اعلم أن آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامته ،^(١) وبخروج الأظفار من أناملها ، ولذلك أمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس وقص الأظفار في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات ، فتخرج الآلام والأدواء بخروجها ، وإذا طالا تخيراً وقلَّ خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً ، ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي يضرُّ بالإنسان ويحدث عليه الفساد والضرر ، لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمى البصر ؟ ولو نبت في الفم ألم يكن سيغصُّ على الإنسان طعامه وشرابه ؟ ولو نبت في باطن الكف ألم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الأعمال ؟ فلو نبت في فرج المرأة أو على ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع ؟ فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ، ثم ليس هذا في الإنسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فإنك ترى أجسامهنَّ مجللةً بالشعر وترى هذه المواضع خاليةً منه لهذا السبب بعينه ؛ فتأمل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطأ والمضرة ، وتأتي بالصواب والمنفعة ، إن المانوية^(٢) وأشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين^(٣) ولم يعلموا أن ذلك من رطوبة تنصبُّ إلى هذه المواضع فينبت فيها الشعر ، كما ينبت العشب في مستنقع المياه ؛ أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهياً لقبول تلك الفضلة من غيرها ؟ ثم إن هذه تعدُّ^(٤) مما يحمل الإنسان من مؤونة هذا البدن وتكاليفه لماله في ذلك من المصلحة فإن اهتمامه بتنظيف بدنه ، أخذ ما يعلوه من الشعر مما يكسر به شرته ، ويكف عاديته ، ويشغله عن بعض ما يخرج به إليه الفراغ من الأشر والبطالة . تأمل الريق وما فيه من المنفعة فإنه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم ليبل الحلق واللهاوت فلا يجف ،

(١) المسامة : ثقبه ومنافذ كمنابت الشعر .

(٢) وفي نسخة : المانوية .

(٣) الإبطين : باطن الكتفين .

(٤) وفي نسخة بعد .



فإن هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان ، ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً إذا لم يكن في الفم بلة تنفذه . تشهد بذلك المشاهدة .

وأعلم أن الرطوبة مطيئة الغذاء . وقد تجري من هذه البلة إلى موضع آخر من المرّة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان ، ولو دبست المرّة لهلك الإنسان ، ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التميز و قصور العلم : لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطيب إذا شاء فيعابن ما فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد ، لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وحسّ العرق وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سبباً للموت . فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو كان هكذا كان أوّل ما فيه أنه كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت ، وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشر ، ثم كانت الرطوبات التي في البطن ترشح وتتحلب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته ، بل كان يفسد عليه عيشه ، ثم إن المعدة والكبد والفؤاد إنما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف ، فلو كان في البطن فرج يفتح حتى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه لوصل برد الهواء إلى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الأحشاء فكان في ذلك هلاك الإنسان . أفلا ترى أن كل ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت به الخلقه خطأ وخطل ؟ .

ايضاح : الركب بالتحريك منبت العانة . ومستنقع الماء بالفتح : مجتمع . وشرة الشباب بالكسر : حرصه ونشاطه . والعادية : الظلم والشر . والأشرب بالتحريك : البطر وشدة الفرح . والكهوات جمع كهات وهي اللحمية في سقف أقصى الفم . وقوله عَلَيْتُ : من المرّة بيان لموضع آخر . وعتا عتواً : استكبر وجاوز الحد . ويقال : تحلب العرق أي سال . والخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

فكرياً مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرّك يقتضيه ويستحث به

فالجوع يقتضي الطعام الذي به حياة البدن وقوامه ، والكرى تقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه ، والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ، ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفة حاجته بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطره إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالتثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك ، كما يحتاج الواحد إلى الدواء بشيء مما يصلح ببدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت ، وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالتفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثقل عن ذلك فيدمغه حتى ينهك بدنه ، ولو كان إنما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتى يقل النسل أو ينقطع ، فإن من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به ، فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه^(١) واعلم أن في الإنسان قوى أربعة : قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة ، وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها ، وقوة هاضمة وهي التي تطبخه^(٢) وتستخرج صفوه وتبشه في البدن ، وقوة دافعة تدفعه وتحدّر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها ، تفكر في تقدير هذه القوى الأربعة التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والإرب فيها ، وما في ذلك من التدبير والحكمة ، ولولا الجاذبة كيف يتحرك الإنسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن ؛ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ؛ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذوا البدن ويسد خلله ؛ ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلّفه الهاضمة يندفع ويخرج أولاً فأولاً ؛ أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه ؛ وسأمثل لك في ذلك مثلاً : إن البدن بمنزلة دار الملك ، وله فيها حشم وصيية وقوام هو كلون بالدار ، فواحد لإقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم ، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج

(١) أي يبعثه ويسوقه إليه .

(٢) وفي نسخة : وهي التي تطحنه .



ويهيئاً، و آخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، و آخر لتنظيف ما في الدار من الأقدار و إخراجها منها؛ فاملِك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين، و الدار هي البدن، والحشم هي الأعضاء، والقوَام هي هذه القوى الأربع، ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الذي وصفت فضلاً وتزداداً، وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء، ولا قولنا فيه كقولهم، لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي، كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

تبيان : الطعم بالضم : الأكل . و الكرى : السهر . والجمام بالفتح : الراحة ، يقال : جمَّ الفرس جمًّا وجماماً إذا ذهب إعياءه . والشبق بالتحريك : شدة شهوة الجماع . وتوانى في حاجته أي قصر . ولا يحفل به أي لا يبالي به . وتحدر الثقل كتنصر أي ترسل . وقوله **عَبَّالٌ** : ولولا الجاذبة يدلُّ على أن لها مدخلاً في شهوة الطعام . قوله **عَبَّالٌ** : خلله كأنه بالضم جمع الخلة وهي الحاجة ، أو بالكسر أي الخلال والفرج التي حصلت في البدن بتحلل الرطوبات . قوله **عَبَّالٌ** : ولعلك ترى يحتمل أن يكون الغرض دفع توهم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى و منافعها على الوجه الذي ذكره الأطباء و اكتفوا به إطناباً وتكراراً ، وحاصله أن الأطباء إنما ذكروها على ما يحتاجون إليه في صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى وسبب تعطُّلها ، و لذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل ، ونحن إنما ذكرنا هذا التمثيل لتتضح دلالتها على صانعها ومدبرها ، إذ هذه مقصودنا من ذكرها . ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهم أن ذكره هذه القوى بعد كونها مذكورة في كتب الأطباء فضل لا حاجة إليه بأن الغرض مختلف في بياننا و بيانهم ، وبذلك يختلف التقرير أيضاً فلذا ذكرنا ههنا بهذا التقرير الشافي ، فالضمير في قوله : وصفت على بناء المجهول راجع إلى القوى ، و العائد مخذوف ، أي وصفت به لكنه بعيد .

تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس و موقعها من الإنسان ، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ و غير ذلك ، أفرايت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ

وحده كيف كانت تكون حاله؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وعليه، وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع، وما قال وما قيل له، ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به، وما نفعه مما ضره، ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ماضى، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية أصلاً فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع؟ وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان، فإنه لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكري الآفات، ولا رجا غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد؛ أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان، وهما مختلفان متضادان، وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة؟ وما عسى أن يقول الذين قسّموا الأشياء بين خالقيين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباعدة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة؟

بيان: دون الجميع أي فضلاً عن الجميع. ويقال: سلا عنه أي نسيه. وقد مضى منا ما يمكن أن يستعمل في فهم آخر الكلام في موضعين فتذكر.

انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره، العظيم غناؤه، أعني الحياء فلولا له لم يقر ضيف، ولم يوف بالعدا، ولم تقض الحوائج، ولم يتحرر الجميل،^(١) ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء، حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما يفعل للحياء، فإن من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه، ولم يصل ذارحم، ولم يؤد أمانة، ولم يعف عن فاحشة؛^(٢) أفلا ترى كيف وفق للإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره؟

بيان: إقراء الضيف: ضيافتهم وإكرامهم. والتنكب: التجنب. ووفقني على بناء المجهول من التوفية وهي إعطاء الشيء وافياً.

(١) تحرّى: طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن: أو طلب أحرى الأمرين أي أولاهما.

(٢) أئع لم يكف ولم يمتنع عن فاحشة.

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره ، وما يخطر بقلبه ، ونتيجة فكره ، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ، ولا تفهم عن مخبر شيئاً ، وكذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضين للباقيين ، وأخبار الباقيين للآتين ، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها ، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، وأخبار الغائبين عن أوطانهم ، ودرست العلوم ،^(١) وضاعت الآداب ، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم ، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم ، وما روي لهم مما لا يسعهم جهله ، ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفتنة ، وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه ؛ وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطلىح عليه الناس فيجري بينهم ، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة ؛ وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم ، إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام ، فيقال لمن ادعى ذلك : إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية رغبة من الله عز وجل في خلقه^(٢) فإنه لو لم يكن له لسان مهيب للكلام وذهن يهتدي به للأموال لم يكن ليتكلم أبداً ، ولو لم يكن له كف مهيب وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً ، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة ، فأصل ذلك فطرة الباري جل وعزّ وما تفضل به على خلقه ، فمن شكراً ثيب ومن كفر فإن الله غني عن العالمين .

بيان : كلامه هنا مشعر بأن واضع اللغات البشر فتدبر .^(٣)

ذكريامفضل^(٤) فيما أعطى الإنسان علمه وما منع فإنه أعطى علم جميع ما فيه

(١) أي ذهب أثرها وانسحق .

(٢) وفي نسخة : في خلقته .

(٣) و أهم منه دلالة على كون الاوضاع تعيينية لا تعيينية ، وكذا إشارته بأن هذه وأمثالها

اصطلاحات واعتبارات تضطر إليها البشر . ط

(٤) وفي نسخة فكر يا مفضل .



صلاح دينه ودنياه ، فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافةً وبر الوالدين ، و أداء الأمانة ، ومواساة أهل الخلة ، وأشياء ذلك مما قد توجد معرفته و الإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل أمة موافقة أو مخالفة ، وكذلك أُعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس ،^(١) واستخراج الأرضين ، واقتناء الأغنام والأنعام ، واستنباط المياه ،^(٢) ومعرفة العقاقير^(٣) التي يستشفى بها من ضروب الأَسقام ، والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر ، و ركوب السفن والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحش والطيور والحيتان ، والتصرف في الصناعات ، ووجوه المتاجر والمكاسب ، وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده مما فيه صلاح أمره في هذه الدار ، فأُعطي علم ما يصلح به دينه و دنياه ، ومنع ما سوى ذلك مما ليس في شأنه ولاطاقته أن يعلم ؛ كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضاً كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض وما في لجج البحار^(٤) وأقطار العالم^(٥) وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشياء هذا مما حجب على الناس علمه ، وقد أدعت طائفة من الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما بين من خطائهم^(٦) فيما يقضون عليه و يحكمون به فيما ادَّعوا علمه ، فانظر كيف أُعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه و دنياه ، وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه ، وكلا الأمرين فيهما صلاحه .

تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته فإنّه لو عرف مقدار عمره و كان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه ،

(١) الغراس جمع المفروس : ما يفرس من الشجر .

(٢) أي استخراجها .

(٣) جمع للعقار : ما يتداوى به من النبات ، الدواء مطلقاً .

(٤) اللجج جمع اللجة : منظم الماء .

(٥) أي جهاتها الأربع .

(٦) وفي نسخة : ما بين من خطائهم .



بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أوقارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحکم عليه اليأس وإن كان طویل العمر، ثم عرف ذلك وثق بالبقاء^(١) وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل، على أنه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله.

الأتري لو أن عبداً لك عمل على أنه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً ثم تقبل ذلك منه، ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضم طاعتك ونصحك في كل الأمور وفي كل الأوقات على تصرف الحالات^(٢).

فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته؟ قلنا: إن ذلك شيء، يكون من الإنسان لغلبة الشهوات وتركه مخالفتها من غير أن يقدرها في نفسه ويبني عليه أمره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة، فأما من قدر أمره على أن يعصي ما بدا له ثم يتوب آخر ذلك فإنما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلف التلذذ في العاجل ويعد ويمني نفسه التوبة في الآجل، ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك فإن النزوع من الترفه والتلذذ^(٣) ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب، ولا يؤمن على الإنسان مع مدافعتة بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب؛ كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر على قضاءه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل وقد نفذ المال فيبقى الدين قائماً عليه، فكان خيراً الأشياء للإنسان أن يستتر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيتراك المعاصي ويؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقب الموت في كل ساعة يقارف^(٤) الفواحش وينتهك المحارم، قلنا: إن وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى

(١) كذا في النسخ والظاهر: ثم لو عرف ذلك وثق بالبقاء.

(٢) وفي نسخة: على تصرف الآيات.

(٣) أي الكف من التمتع والتلذذ.

(٤) أي يكتسر.



عليه الأمر فيه ، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي^(١) ولا ينصرف عن المساوي فإنما ذلك من مرحه^(٢) ومن قساوة قلبه لا من خطأ في التدبير ؛ كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما ينهيه عنه لم ينتفع بصفته ولم يكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ، ولئن كان الإنسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فإنه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة ، فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ، ثم إن ترقب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم ، وينزعون عن المعاصي ، ويؤثرون العمل الصالح ، و يجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء ، والمساكين ، فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظهم منها .

بيان : انهمك الرجل في الأمر أي جدّ ولجّ . والتسلف : الاقتراض ، كأنه يجري معاملة مع ربه بأن يتصرف في اللذات عاجلاً ، و بعد ربه في عوضها التوبة ليؤدي إليه آجلاً . وفي بعض النسخ : يستسلف ، وهو طلب بيع الشيء سلفاً .

والمعانة : مقاساة العناء والمشقة . ويرهقه أذ ييغشاه ويلحقه . وانتهاك المحارم : المبالغة في خرقها وإتيانها . والارعواء : الكف عن الشيء ، وقيل : الندم على الشيء ، والانصراف عنه وتركه . والمرح : شدة الفرح . وقال الفيروز آبادي : العقيلة من كل شيء : أكرمه ، وكريمة الإبل . وقال : العقال ككتاب : زكاة عام من الإبل .

فكرى بامفضل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها فه زج صادقها بكاذبها فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء ، ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلاً لا معنى له ، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها ، أو مضرّة يتحذّر منها ،^(٣) وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد .

(١) أي لا يكف .

(٢) مرح الرجل : اشتد فرحه ونشاطه حتى جاوز القدر ، وتبخر واختال .

(٣) وفي نسخة : يتحرز منها .



فكّر في هذه الأشياء التي تراها موجودة معدّة في العالم من مآربهم ، فالتراب للبناء ، والحديد للصناعات ، والخشب للسفن وغيرها ، والحجارة للأرحاء^(١) وغيرها ، والنحاس للأواني ، والذهب والفضة للمعاملة ، والجوهر للذخيرة ، والحبوب للغذاء ، والثمار للتفكّه ، واللحم للمأكل ، والطيب للتلذّذ ، والأدوية للتصحيح ، والدوابّ للحمولة ، والحطب للتوقّد ، والرماد للكلس ، والرمل للأرض ، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه ، أرايت لو أنّ داخلاً دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوّة من كلّ ما يحتاج إليه الناس ورأى كلّ ما فيها مجموعاً معدّاً لأسباب معرفة لكان يتوهم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير عمد؟ فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا في العالم وما أعدّ فيه من هذه الأشياء .

بيان : التفكّه : التنعم . الكلس بالكسر : الصاروج . قوله تعالى : للأرض أي لفرشها .

اعتبريا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير فإنّه خلق له الحبّ لطعامه ، وكلف طحنه وعجنه وخبزه ، وخلق له الوبر^(٢) لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه ، وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها ، وخلقت له العقاقير لأدويته فكلف لقطها وخلطها وصنعها ؛ وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال ، فانظر كيف كفي الخلقه التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح ؛ لأنّه لو كفي هذا كلّه حتّى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حملته الأرض أشراً وبطراً ، وبلغ به كذلك إلى أن يتعاطي أموراً فيها تلف نفسه ، ولو كفي الناس كلّ ما يحتاجون إليه لما تهنّؤوا بالعيش ولا وجدوا له لذة ؛ ألا ترى لو أنّ امرأاً نزل بقوم فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم و مشرب وخدمة لتبرّم^(٣) بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء؟ فكيف لو كان طول

(١) جمع للرحى وهي الطاحون .

(٢) الوبر للابل والارانب ونحوها كالصوف للغنم .

(٣) أي لتضجتر .



عمره مكفياً لا يحتاج إلى شيء؛ وكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان أن جعل له فيها موضع شغل لكي لا تبرمه البطالة وتكفئه عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه إن ناله .

و اعلم يا مفضل أن رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء ، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما ، فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز؛ وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش ، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز؛ لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه ، فجعل الماء مبدولاً لا يشتري لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلفه ، وجعل الخبز متعذراً لا ينال إلا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفئه عما يخرج به إليه الفراغ من الأشر والعبث؛ ألا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدّب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربّما جنبا عليه وعلى أهله المكروه العظيم ، وهكذا الإنسان لو خال من الشغل لخرج من الأشر والعبث والبطر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه ، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفيه والكفاية وما يخرج به ذلك إليه .

اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر كما يتشابه الوحوش والطيور وغير ذلك؟^(١) فإنك ترى السرب من الطباء والقطا^(٢) تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الأخرى ، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد إثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة ، والعلّة في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحالاتهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته ، ألا ترى أن التشابه في الطير والوحش لا يضرّهما شيئاً ، وليس كذلك الإنسان فإنه ربّما تشابه التوأمان تشابهاً شديداً فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما

(١) المراد بالتشابه التشابه العرفي كما يدل عليه بيانه الآتي ، وأما التشابه الحقيقي فليس منه أن ترلا في

الإنسان ولا في غيره وقد قام عليه البرهان وساعده التجارب العلمي . ط

(٢) السرب - بكسر السين وسكون الراء - : القطيع من الطباء والطيور وغيرها . والقطا جمع

للقطاة : طائر في حجم الحمام .

حتى يعطى أحدهما بالآخر و يؤخذ أحدهما بذنب الآخر ، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلاً عن تشابه الصورة ، فمن لطف لعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب إلامن وسعت رحمته كل شيء ؛ لورأيت تمثال الإنسان مصوراً على حائط فقال لك قائل : إن هذا ظهر مهينا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك ؟ بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جاد ولا تنكر في الإنسان الحي الناطق ؟ لم صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي أبدأ لا تنمي ، بل تنتهي إلى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها لولا التدبير في ذلك ؛ فإن من تدبير الحكيم فيها أن يكون أبدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير ،^(١) وصارت تنمي حتى تصل إلى غايتها ثم يقف ثم لا يزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ، ولو كانت تنمي نموأ دائماً لعظمت أبدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف ؛ لم صارت أجسام الإنسان خاصة تثقل عن الحركة والمشى ويجفوع عن الصناعات اللطيفة إلا لتعظيم المؤونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك ، لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس ؛ أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورجب إلى ربه في العافية وبسط يديه بالصدقة ؛ ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار^(٢) ويذل العصاة المرردة ؛ وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات ؛ وبم كان العبيد يذآون لأربابهم و يذعنون لطاعتهم ؛ أفليس هذا توبيخ لابن أبي العوجاء و ذويه اللذين جحدوا التدبير ، والمانوية الذين أنكروا الألم والوجع ؛ لو لم يولد من الحيوان إلا ذكر^(٣) فقط أو أنث فقط ألم يكن النسل منقطعاً ، وبأدمع ذلك أجناس الحيوان ؛ فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً و بعضها يأتي أنثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع . لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا نبتت لهما العانة ثم نبتت اللحية للرجل وتخلفت عن المرأة لولا التدبير في ذلك ؛ فإنه لما جعل الله تبارك

(١) وفي نسخة : في الكبير والصغر .

(٢) وفي نسخة : الدغار .

(٣) وفي نسخة : ذكوراً .



وتعالى الرجل قيماً ورقيباً على المرأة وجعل المرأة عرساً وخولاً للرجل أعطى الرجل اللحية لما له من العزّة والجلالة والهيبة ، ومنعها المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة و المضاجعة ؛ أفلا ترى الخلقة كيف يأتي بالصواب في الأشياء و تتخلّل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الا رب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل .؟

بيان : جنى الذنب عليه يجنيه جنابة : جرّه إليه . والجدة بالتخفيف : الغناء .
قوله **عَلَيْهِ** : في تشابه الأثنياء أي قد يشبهه مال شخص بمال شخص آخر كثوب أو نعل أو دينار أو درهم فيصير سبباً للاشتباه والتشاجر والتنازع ، فضلاً عن تشابه الصورة فإنه أعظم فساداً ، والمراد أن الناس كثيراً ما يشتبه عليهم أمر رجلين لتشابه لباسهما ومر كوبهما وغير ذلك فيؤخذ أحدهما بالآخر فكيف مع تشابه الصورة ؟ . قوله **عَلَيْهِ** : واشتبهت مقاديرها أي لم يعرف غاية ما ينتهي إليه مقدارها فيشتبه الأمر عليه فيما يريد أن يبيته لنفسه من دار ودابة و ثياب وزوجة . قوله **عَلَيْهِ** : ويجفو أي يبعد ويجتنب ولا يداوم على الصناعات اللطيفة ، أي التي فيها دقة ولطافة ؛ قال الجزري : وفي الحديث : اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه . أي تعاهدوه وتبعدوا عن تلاوته . انتهى .

والحاصل أن الله تعالى جعل الإنسان بحيث تثقل عن الحركة والمشى قبل سائر الحيوانات وتكلم عن الأعمال الدقيقة لتعظم عليه مؤونة تحصيل ما يحتاج إليه فلا يبطر ولا يبطغى أو ليكون لهذه الأعمال أجر فيصير سبباً لمعايش أقوام يزاولونها . والدعار في بعض النسخ بالمهملة من الدعرجرة الفساد والفسق والخبث ، و في بعضها بالمعجمة من الدغرة وهي أخذ الشيء اختلاساً . والعرس بالكسر : امرأة الرجل . والخول محرّكة ما أعطاك الله من النعم و العبيد و الإماء . و المفاكهة : الممازحة و المضاحكة . قوله عليه السلام : وتخلّل مواضع الخطأ يحتمل أن تكون الجملة حالية أي تأتي بالصواب مع أنها تدخل مواضع هي مظنة الخطأ ، من قولهم : تخلّلت القوم أي دخلت خلالهم و يحتمل أن يكون المراد بالتخلّل التخلف أو الخروج من خلالها لكن تطبيقهما على المعاني اللغوية يحتاج إلى تكلف .

قال المفضل : ثم حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال : بكر إلى غدأ

إن شاء الله ؛ فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفتة ، مبتهجاً بما أوتيته ، حامداً لله على ما أنعم به عليّ ، شاكراً لأنعمه عليّ ما منحني بما عرفنيهِ مولاي وتفضل به عليّ ، فبت في ليلتي مسروراً بما منحنيهِ ، محبوراً بما علمنيهِ .

تمّ المجلس الأوّل ويتلوهُ المجلس الثاني من كتاب الأدلّة على الخلق و التدبير والردّ على القائلين بالاهمال ومنكري العمد برواية المفضل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه .

قال المفضل : فلما كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستوذنت لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست ؛ فقال : الحمد لله مدير الأديار^(١) و معيد الأكوار طبقاً عن طبق و عالماً بعد عالم ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، عدلاً منه تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه ، لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جلّ قدسه : فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره ؛ في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ولذلك قال سيّدنا محمد صلوات الله عليه وآله إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم . ثمّ أطرق هنيئة ثمّ قال : يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يتردّون ، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون ، بصراء عمي لا يبصرون ، نطقاً بكم لا يعقلون ، سمعاً صم لا يسمعون ، رضوا بالدون وحسبوا أنّهم مهتدون ، حادوا عن مدرجة الأكياس ، ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس ، كأنّهم من مفاجاة الموت آمنون وعن المجازات مزحزون ، يا ويلهم ما أشقاهم وأطول غناهم وأشدّ بلاهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون إلا من رحم الله .

قال المفضل : فبكيت لما سمعت منه ، فقال : لاتبك تخلّصت إذ قبلت ، ونجوت إذ عرفت ، ثمّ قال : أبتدىء لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضح لك من غيره . ففكر في أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها على ماهي عليه ، فلاهي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لاتنتهي ولاتتصرف في الأعمال ، ولاهي على غاية اللين والرخاوة فكانت

(١) وفي نسخة : الحمد لله مدير الادوار .

لا تتحامل ولا تستقل بأنفسها ، فجعلت من لحم رخوتنشي ، تتداخله عظام صلاب ، يمسكه عصب و عروق تشدّه ويضمّ بعضه إلى بعض ، و غلفت ^(١) فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كلّه ، ومن أشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان ^(٢) و تلف بالخرق و تشدّ بالخيوط و يطلى فوق ذلك بالصمغ ^(٣) فيكون العيدان بمنزلة العظام ، و الخرق بمنزلة اللحم ، و الخيوط بمنزلة العصب و العروق ، و الطلا بمنزلة الجلد ، فإن جازأن يكون الحيوان المتحرّك حدث بإلهمال من غير صانع جازأن يكون ذلك في هذه التماثيل الميئة ، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري أن لا يجوز في الحيوان .

وفكر بعد هذا في أجساد الأنعام فإنها حين خلقت على أبدان الإنس من اللحم و العظم و العصب أعطيت أيضاً السمع و البصر ليبلغ الإنسان حاجته ، فإنها لو كانت عمياً صمياً لما انتفع بها الإنسان ، و لا تصرف في شيء من مآربه ، ثم منعت الذهن و العقل لتدل للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدّها الكد الشديد و حملها الحمل الثقيل .

فإن قال قائل : إنّه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلّون و يذعنون بالكد الشديد و هم مع ذلك غير عديمي العقل و الذهن ، فيقال في جواب ذلك : إن هذا الصنف من الناس قليل ، فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تدعّن به الدواب من الحمل و الطحن و ما أشبه ذلك ، و لا يغرون بما يحتاج إليه منه ، ^(٥) ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال ، لأنّه كان يحتاج مكان الجمل الواحد و البغل الواحد إلى عدّة أناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات ، مع ما يلحقهم من التعب الفادح في أبدانهم ، و الضيق و الكد في معاشهم .

ايضاح : مدير الأ دوار لعل فيه مضافاً محذوفاً أي ذوي الأ دوار ، أو الإ سناد مجازي

(١) وفي نسخة : وعليت فوق ذلك .

(٢) جمع العود وهي الخشب .

(٣) أي يلطخ فوق ذلك بالصمغ .

(٤) وفي نسخة : فإنها لو كانت عمياً صمياً .

(٥) وفي نسخة : و لا يغرون بما يحتاج إليه منه .



وفي بعض النسخ بالباء الموحدة وهو أظهر . والأكوار جمع كور بالفتح ، وهو الجماعة الكثيرة من الإبل والقطيع من الغنم ، ويقال : كلُّ دور كور . والمراد إما استيناف قرن بعد قرن وزمان بعد زمان ، أو إعادة أهل الأكوار والأدورا جميعاً في القيامة ، والأوّل أظهر . وقال الجزري : قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون فيأتي طبق آخر . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : في نظائر أي قالها في ضمن نظائرها أو مع نظائرها . قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنما هي أي المثوبات والعقوبات أعمالكم أي جزاؤها والعمه التحير والتردد . والعيد : الميل . والمدرجة : المذهب والمسلك . وزحزحه : أبعد . والائثاء : الانعطاف والميل . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ولا يغرون في بعض النسخ بالغين المعجمة و الراء المهملة على بناء المفعول من قولهم : أغريت الكلب بالصيد ؛ أي لا يؤثر فيهم الإغراء ، والتحريض على جميع الأعمال التي يحتاج إليها الخلق من ذلك العمل الذي تأتي به الدواب ، وفي بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة من عزي من باب تعب أي صبر على ما نابه ، والأوّل أظهر . والفادح من قولهم : فدحه الدين أثقله . ثم أعلم أنه ينبغي حمل السؤال على أنه كان يمكن أن يكتبي بخلق الحيوانات لأن بعضهم ينتقادون ويطيعون بعضاً فالجواب منطبق من غير تكلف .

فكر يا مفضل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كل واحد منها ، فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصيد^(١) وغير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ، ليتمكنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات ، وآكلات اللحم لما قدر أن يكون معاشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدمجة^(٢) ذوات برائن ومخالب تصلح لأخذ الصيد ، ولا تصلح للصناعات ، وآكلات النبات لما قدر أن يكونوا لا ذات صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف^(٣) تقيها خشونة الأرض

(١) وفي نسخة : والخياطة .

(٢) وفي نسخة : أكف لطاف مذبحة .

(٣) جمع الظلف - بكسر الظاء وسكون اللام - وهو لما اجتر من الحيوانات كالبقرة والغنم

بمنزلة الحافر للفرس .

إذا حاول طلب الرعي ، ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض ليتهيأ للركوب والحمولة ؛ تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد ،^(١) وبرائن شداد ، وأشداق وأفواه واسعة ، فإنه لما قدر أن يكون طعامها اللحم خاقت خلقة تشاكل ذلك وأعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيأة لفعلها ، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا يحتاج إليه لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم ، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعني السلاح الذي به تصيد و تتعیش ، أفلا ترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه و طبقته بل ما فيه بقاؤه وصالحه .

انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمهاتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس ، فمن أجل أنه ليس عند أمهاتها ما عند أمهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالأكل والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها ، وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثلك الدجاج والدرّاج والقبج^(٢) تدرج و تلتقط حين ينقاب عنها البيض . فأما ما كان منها ضعيفاً لانهوض فيه كمثلك فراخ الحمام واليمام والحمير فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعد ما توغى حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرةً مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلُّ أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير .

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً لتتهيأ للمشي ، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك لأن الماشي ينقل قوائمه^(٣) ويعتمد على بعض ؛ فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة ، وذو الأربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين ، وذلك من خلاف لأن ذوالأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر

(١) وفي نسخة : حيث جعلت ذوات أسنان .

(٢) بالقاف والباء المفتوحين : طائر يشبه الحجل .

(٣) كذا في النسخ والظاهر أن الصحيح : ينقل بعض قوائمه .



لما ثبتت على الأرض كما لا يثبت السير وما أشبهه فصار ينقل اليمين من مقاديمه مع اليسرى من ما خيره ، و ينقل الأخرين أيضاً من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى .

أما ترى الحمار كيف يندلُّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً ، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى ، كيف كان ينقاد للصبيّ؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرق به؟ والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه ، والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها ، وكذلك جميع الأصناف مسخرة للإنسان فبم كانت كذلك؟ إلا بأنها عدمت العقل والروية فإنها لو كانت تعقل وتروى في الأمور^(١) كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه ، حتى يمتنع الجمل على قائده ، والثور على صاحبه ، وتتفرق الغنم عن راعيها ، وأشباه هذا من الأمور ، وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تجتاحهم^(٢) فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمورة والديبة لوتعاونت وتظاهرت على الناس؟ أفلا ترى كيف حبر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من إقدامها ونكايتها بهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنشر لطلب قوتها إلا بالليل؟ فهي مع صولتها كالخائف للإنس بل مقموعة ممنوعة منهم ، ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم^(٣) ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه ، وذب الدغار عنه^(٤) ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ، ويألفه غاية الألف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذا

(١) أي نظر في الامور وتفكر فيها .

(٢) أي تستأصلهم وتهلكهم .

(٣) وفي نسخة : وضيق عليهم .

(٤) وفي نسخة : وذب الدغار عنه .



الألف إلا ليكون حارساً للإنسان ، له عين بانياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفيها .

بيان : وأوكدها أي أو كد الأ أشياء وأوجهها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أي ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات ولا يبعد إرجاعه إلى الأ كف أيضاً . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : مدمجة أي انضم بعضها إلى بعض . قال الجوهري : دمج الشيء ، دمجاً إذا دخل في الشيء ، واستحكم فيه ، و أدمجت الشيء ، إذا لفتته في ثوب ، وفي بعض النسخ : مدمجة بالباء ، والهاء المهملة ، ولعل المراد معوجة من قولهم : دبح تدبيحاً أي بسط ظهره و طأطأ رأسه ، وهو تصحيف . و البرائن من المباع والطيور بمنزلة الأصابع من الإنسان . والمخلب : ظفر البرتن . و الململم بفتح اللامين : المجتمع المدور المصموم . والأخمص من باطن القدم ما لا يصيب الأرض . و الشدق : جانب الفم . والطعم بالضم : الطعام . والأمت جمع الأم ، وقيل : إنما تستعمل في البهائم ، وأمتا في الناس فيقال : أمهات . ويقال : قاب الطير بيضته فلقتها فانتابت . واليمام حمام الوحش . والحمر بضم الحاء وفتح الميم طائر وقد يشدد الميم . ويقال : معج الرجل الطعام من فيه : إذا رمى به . والمودع من الخيل بفتح الدال : المستريح . ونير الفدان بالكسر : الخشبة المعترضة في عنق الثورين . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : يركب السيوف أي يستقبلها بجرأة كأنه يركبها أو بمعنى يرتكب مواجهتها . والمواتاة : الموافقة . و الدبية كعنبه جمع الدب . ويقال : أحجم القوم عنه أي نكصوا وتأخروا وتهيّبوا أخذه . و ساوره : واثبه . و يقال : حاميت عنه أي منعت منه . والعين بالفتح : الغلظ في الجسم والخشونة . والخفر : المنع .

يا مفضل تأمل وجه الدابة كيف هو ، فإنك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطاً أو تتردى في حفرة ، و ترى الفم مشقوقاً شقاً في أسفل الخطم ، ولو شق كمكان الفم من الإنسان في مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض ألا ترى أن الإنسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمه له على سائر الآكلات ؟ فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خطمها مشقوقاً من أسفله

لتقبض به على العلف ثم تقضمه ، وأُعينت بالجحفة تتناول بها ما قرب وما بعد . اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فإنه بمنزلة الطبق على الدبر والحياً جميعاً يواريهما ويسترهما ، ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضربجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبذبة تذبذبها عن ذلك الموضع ؛ ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه و تصريفه يمناً ويسرة فإنه لما كان قيامها على الأربعة بأسرها و شغلت المقدّمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريك الذنب راحة ؛ وفيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم يعرف موقعها في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أن الدابة ترتطم في الوحل^(١) فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها ، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في ما ربههم ، ثم جعل ظهرها مسطحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها ، وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ، ولو كان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها ، ألا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها كفاحاً كما يأتي الرجل المرأة .

تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فإنه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما^(٢) إلى جوفه ، ولولا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنه ليست له رقبة يمدّها كسائر الأنعام ، فلمّا عدم العنق أُعِين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله^(٣) فيتناول به حاجته ، فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه إلا الرؤوف بخلقه ؛ وكيف يكون هذا بالإهمال كما قالت الظلمة ؟

فإن قال قائل : فما باله لم يخلق ذائع كسائر الأنعام ؟ قيل له : إن رأس الفيل وأذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل ، ولو كان ذلك على عنق عظيمة لهدّها وأوهنها فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفنا ، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته .

انظر الآن كيف جعل حياً الأُنثى من الفيلة في أسفل بطنها فإذا هاجت للضراب

(١) أي تسقط في الوحل .

(٢) الازداد : البلع .

(٣) أي ليرسله ويرخيه .



ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها ، فاعتبر كيف جعل حياً الأثنى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثم جعلت فيه هذه الخلقة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل و دوامه .

فكّر في خلق الزرافة و اختلاف أعضائها و شبهها بأعضاء أصناف من الحيوان ؛ فرأسها رأس فرس ، و عنقها عنق جمل ، و أظلافها أظلاف بقرة ، و جلدها جلد نمر ؛ و زعم ناس من الجهال بالله عزّ وجلّ أن نتاجها من فحول شتى ؛ قالوا : و سبب ذلك أن أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزّو على بعض السائمة و ينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى ، و هذا جهل من قائله و قلّة معرفته بالبارئ ، جلّ قدسه ، و ليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف ؛ فلا الفرس يلقح الجمل ، و لا الجمل يلقح البقر ، و إنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله و يقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمامة فيخرج بينهما البغل ، و يلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السيمع ، على أنّه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس ، و عضو من الجمل ، و أظلاف من البقرة ، بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل ، فإنك ترى رأسه و أذنيه و كفله و ذنبه و حوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس و الحمامة ، و شحيجه كالممتزج من صهيل الفرس و نهيق الحمامة ، و هذا دليل على أنّه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون ، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء ، و ليعلم أنّه خالق أصناف الحيوان كلّها ، يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيّها شاء و يفرّق ما شاء منها في أيّها شاء ، و يزيد في الخلقة ما شاء ، و ينقص منها ما شاء ، دلالة على قدرته على الأشياء ، و أنّه لا يعجزه شيء ، أرادته جلّ و تعالّى ، فأما طول عنقها و المنفعة لها في ذلك فإن منشأها و مرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهمة ذاهبة طولاً في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول بغيرها أطراف تلك الأشجار فتتقوّت من ثمارها .

تأمل خلق القرد و شبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس و الوجه و المنكبين و الصدر ، و كذلك أحشائه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان ، و خصّ من ذلك بالذهن

والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي إليه ، و يحكي كثيراً مما يرى الإنسان يفعله حتى أنه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم و نسخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب ، وأنه لو لافضيلة فضله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان لبعض البهائم ، على أن في جسم القرد فضولاً أخرى يفرق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدال والشعر المجمل للجسم كله ، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه . والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان بالصحة هو النقص في العقل والذهن والنطق .

بيان : شخص البصر : ارتفع ، وشخص الرجل بصره : إذا فتح عينيه . والخطم بالفتح من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم أنفه وفمه . وقضم كضمه : أكل بأطراف أسنانه . والجحفلة بمنزلة الشفة للبغال والحمير والخيول ، وهي بتدبير الجيم على أنحاء المهمة . والطبع محرّكه : غطاء كل شيء . والحيأ : الفرج . والمراد بمراقبي البطن ما ارتفع منه من وسطه أو قرب منه . والوضر : الدرر . والمذبذبة بكسر الميم : ما يذب به الذباب . وبطحه : ألقاه على وجهه . وكفحته كفحاً وكفاحاً : إذا استقبلته . والمشفر من البعير كالجحفلة من الفرس . وقال الجوهري : الزرارة والزرة بفتح الزاي وضمها مخففة الفاء : دابة يقال لها بالفارسية : اشتركاو بلنك . وقال الفيروز آبادي : السمع بكسر السين وسكون الميم : ولد الذئب من الضبع لا يموت حتف أنفه كالحيّة ، وعدوه أسرع من الطير ، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً . وقال : شحيج البغل والحمار : صوته والغياطل : جمع الغيطل وهو الشجر الكثير الملتف . قوله **بأنه** : أن يكون أي خدق كذلك لأن يكون عبرة للإنسان . والسنخ بالكسر : الأصل . قوله : بالصحة هو النقص في العقل أي الفصل الصحيح الذي يصلح واقعاً أن يكون فاصلاً . وفي أكثر النسخ : « وهو » وعلى هذا لا يبعد أن تكون تصحيف القحة أي قلة الحياء .

انظرياً مفضل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقبها من البرد وكثرة الآفات ، وألبست قوائمها الأطراف و

الحوافر والأخفاف ليقبها من الحفا ، إذ كانت لأيدي لها ولا أكفٌ ولا أصابع مهيبّة للغزل والدج فكفّوا بأن جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدّها والاستبدال بها ، فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف مهيبّة للعمل فهو ينسج و يغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ، ويستبدل بها حالاً بعد حال ، وله في ذلك صلاح من جهات ؛ من ذلك : أنه يشتغل بصناعة اللباس عن العبث وما يخرجه إليه الكفاية ؛ ومنها : أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء ؛ ومنها : أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها . وكذلك يتخذ بالرفق من الصناعة ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه ، وفي ذلك معاش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ، ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم ، فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر ، والأخفاف مقام الحذاء .

بيان : قال الجوهري : قال الكسائي : رجل حاف بين الحفوة والحفاء بالمد ، وهو الذي يمشي بلاخف ولا نعل ، وقال : وأما الذي حفي من كثرة المشي أي رقت قدمه أو حافره فإنه حف بين الحفا مقصوراً ، وأحفاء غيره . انتهى . قوله **عَلَيْهَا** : وروعة من قولهم : راعني الشيء ، أعجبني .

فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم ، فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم ، وإلا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء ؛ وليست قليلة فتخفى لقلتها ؛ بل لو قال قائل : إنها أكثر من الناس لصدق ، فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الطبا والمها والحمير والوعول والأياثل وغير ذلك من الوحوش ، وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئب والنمور وغيرها ، وضروب الهوام والحشرات و دواب الأرض ، وكذلك أسراب الطير من الغربان^(١) و القطا^(٢) والإوز^(٣) والكراكي^(٤) والحمام وسباع الطير جميعاً وكلها لا يرى منها شيء ، إذا

(١) جمع الغراب .

(٢) جمع القطة : طائر في حجم الحمام .

(٣) جمع الوزمة : طائر مائي يقال له : الوزمة أيضاً .

(٤) جمع الكراكي : طائر كبير أغبر اللون ، طويل العنق والرجلين ، أبترا الذنب ، قليل اللحم ،

بأوى إلى الماء أحياناً .

ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبعاً فإذا أحسوا بالموت كمنوا^(١) في مواضع خفية فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء، ويحدث الأمراض والوباء، فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وادكاراً في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرفة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد.

توضيح : السرب - بالكسر - والسربة : القطيع من الظباء، والقطا والخيل ونحوها والجمع أسراب . والمهابة : البقرة الوحشية والجمع مها . والوعل - بالفتح و ككتف - : تيس الجبل والجمع : وعال ووعول . والأيل بضم الهمزة وكسرها وفتح الياء المشددة وكسيد : الذكر من الأوعال ، ويقال : هو الذي يسمى بالفارسية : «گوزن» والجمع أيائل . والقانص : الصائد . وخلص إليه : وصل . والمراد بالتمثيل ما ذكره الله تعالى في قصة قاييل . والمعرة : الأذى .

فكر يامف نزل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عز وجل لهم ، لئلا يخلو من نعمه جل وعز أحد من خلقه لا بعقل وروية فإن الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدب السم في جسمه فيقتله ، ويقف على الغدير وهو مجهود عطشاً ، فيعج عجباً عالياً ولا يشرب منه ولو شرب مات من ساعته ، فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظماء الغالب خوفاً من المضرة في الشرب ، و ذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه ؛ والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتاً فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها ؛ فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة إلا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه ؛ فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما يقوى عليه السباع من مساورة الصيد أعين بالدهاء^(٢) والفتنة والاحتيال لمعاشه ، والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله و

(١) أي تواروا واختفوا .

(٢) الدهاء، جودة الرأي والحنق ، المكر والاحتيال .



يشرحه^(١) حتى يطفوا على الماء ، يكمن تحته و يشور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه ، فاذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها ، فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة ؟ .

قال المفضل : فقلت : خبرني يا مولاي عن التنين والسحاب ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : إن السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه ، كما يختطف حجر المغناطيس الحديد ؛ فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب ولا يخرج إلا في القيظ مرةً إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة ؛ قلت : فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده ؟ قال : ليدفع عن الناس مضرته .

بيان : قوله : لا بعقل وروية ، لعل المراد أن هذه الأمور من محض لطفه تعالى حيث يلهمهم ذلك لا بعقل وروية . وفي أكثر النسخ : لا يعقل ومروته ؛ وهو تصحيف و المراد معلوم . و الجهد : الطاقة و المشقة أي أصابته مشقة عظيمة من العطش . و العجيج : الصياح ورفع الصوت . و أعوزه الشيء أي احتاج إليه . و التماوت : إظهار الموت حيلة . و المساورة : هي الوثوب على وجه الصيد . وقال الفيروز آبادي : الدلفين بالضم دابة بحرية تنجي الغريق^(٢) وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : يشور الماء أي يهيجه و يحركه . و التنين : حية عظيمة معروفة . و ثقفه أي وجده . و القيظ : صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل . و الصحو : ذهاب الغيم .

قال المفضل : فقلت : قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة^(٣) والنمل والطير ؛ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يا مفضل تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عما فيه صلاحها ؟

(١) أي يقطعه .

(٢) وقيل : هو خنزير البحر ، وهو دابة تنجي الغريق ، وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح ، لأنه يقذف به البحر إلى النيل ، وصفته كصفة الزرق المنفوخ ، وله رأس صغير جداً ، وليس في دواب البحر ماله رئة سواه ، فلذلك يسمع منه النفخ والنفس ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته ، لأنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه ، ولا يؤذي أحداً ، و من طبعه الانس بالإنسان وخاصة بالصبيان .

(٣) الذرة : النحلة الصغيرة الحمراء .

فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة إلا من التدبير القائم في صغير الخلق و كبره ؟ .

انظر إلى النمل واحتشادها في جمع القوت وإعداده ، فإنك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحب إلى زبيبتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره ، بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله ؛ أما تربيهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ؟ ثم يعمدون إلى الحب فيقضعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم^(١) فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف ؛ ثم لا يتخذ النمل الزبية إلا في نشر من الأرض كي لا يفيض السيل فيغرقها^(٢) فكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقه خلقاً عليها لمصلحة لطفاً من الله عز وجل .

انظر إلى هذا الذي يقال له : الأيـث ، وتسميه العامة أسد الذباب ، وما أُعطي من الحيلة والرفق في معاشه ، فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه تركه ملياً حتى كأنه موات لا حراك به ، فإذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب ديبياً دقيقاً^(٣) حتى يكون منه بحيث يناله وثبه ثم يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيى بذلك منه ؛ فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فيتخذ شراكاً ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب^(٤) أجال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فكذلك يحكي صيد الكلاب والفهود ، وهكذا يحكي صيد الأشرار والحبائل .

(١) ويقطع الكسفرة ويقسمها أرباعاً ، لما ألهم من أن كل نصف منها ينبت .

(٢) قال الدميري : يحفر قرينه بقوائمه وهي ست ، فإذا حفرها جعل فيها تعاريج ، لئلا يجرى إليها ماء المطر ، وربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك ، وإنما يفعل ذلك خوفاً على ما يدخره من البلل ، ومن عجائبه اتغاذ القرية تحت الأرض ، وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة ، يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء .

(٣) وفي نسخة : دب ديبياً رقيقاً .

(٤) أي وقع فيه .



فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه إلا إنسان إلا بالحيلة واستعمال آلات فيها، فلا تزدرب بالشيء، إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الخفير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمقال من حديد .

بيان : الاحتشاد : الاجتماع . والزبية بالضم . الحفرة . والنشر بالفتح وبالتحريك : المكان المرتفع . وقال الجوهري : الليث : الأسد و ضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب : انتهى . والموات بالفتح : ما لا روح فيه . ويقال : ما به حراك كسحاب أي حركة . والشرك بالتحريك : حباله الصائد . ويقال : أحال عليه بالسوط يضربه أي أقبل . قوله (سبح) : فكذلك أي كعمل الليث . وقوله : هكذا أي كالعنكبوت . والازدراء : الاحتقار . قوله (سبح) : فلا يضع منه أي لا ينقص من قدر المعنى النفيس تمثله بالشيء الخفير ، قال الفيروز آبادي : وضع عنه : حط من قدره .

تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فإنه حين قدر أن يكون طائراً في الجوّ خفف جسمه و أدمج خلقه ، فاقصر به من القوائم الأربع على اثنتين ، ومن الأصابع الخمس على أربع ، ومن منقذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ، ثم خلق ذا جؤجؤ مسهر غيبه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه ، كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتطف فيه . وجعل في جناحيه وذيبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران ، وكسى كلّه الريش ليداخله الهواء فيقلّه ، ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقه الأسنان ، وخلق له متقارصلب جاس يتناول به طعمه فلا ينسجح من لقط الحب ، ولا يتقصّف من نهش اللحم ، ولما أعدم الأسنان وصار يزدرد الحب^(١) صحيحاً واللحم غريصاً أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ ؛ واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحاً ، ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر ، ثم جعل مما يبيض ويضأ ولا يلد ولادة لكيلا يتقل عن الطيران فإنه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحکم لأثقلته وعاقته عن النهوض

(١) أي يشتمه و يسرع .

والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الذي قدّر أن يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعاً ، وبعضها أسبوعين ، وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلة للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه أن يلقط الطعام ويستخرجه بعد أن يستقر في حوصلة ويغذوه فراخه ؟ ولأي معنى يحتمل هذه الماشقة وليس بذى روية ولا تفكر ؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العزّ والرّفد^(١) وبقاء الذكر ؟ فهذا هو فعل^(٢) يشهد بأنه معطوف على فراخه ، لعله لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره .

انظر إلى الدجاجة كيف تهيّج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر^(٣) موطن بل تنبت وتنتفخ وتقوى وتمتنع من الطعام حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها إلا لإقامة النسل ؟ ومن أخذها بإقامة النسل ولا روية ولا تفكر لولا أنّها مجبولة على ذلك ؟ .

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من الملح الأصفر الخائر ، والماء الأبيض الرقيق ، فبعضه لينتشر منه الفرخ ، وبعضه ليغذي به^(٤) ، إلى أن تنقاب عنه البيضة ، وما في ذلك من التدبير فإنّه لو كان نشؤ الفرخ في تلك القشرة المستحصنة التي لا مساغ لشيء إليها لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكفي به إلى وقت خروجه منها ، كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكفي به إلى وقت خروجه منه .

فكر في حوصلة الطائر وما قدر له ، فإن مسلك الطعام إلى القانصة^(٥) ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلا قليلاً قليلاً ، فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه ، ومتى كان يستوفي طعامه ؟ فإنّما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر ،

(١) الرّفد : النصيب ، المعاونة .

(٢) وفي نسخة : فهذا من فعله يشهد بأنه معطوف على فراخه .

(٣) الوكر - بفتح الواو وسكون الكاف - : عش الطائر .

(٤) وفي نسخة : ليغذي به .

(٥) القانصة للطير : كالمعدة للإنسان .



فجعلت الحوصلة كالمخللة المعلقة أمامه ليعي فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثم تنفذه إلى القانصة على مهل ، وفي الحوصلة أيضاً خلّة أخرى ، فإن من الطائر ما يحتاج إلى أن يزق فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه .

توضيح : أقله أي حملة ورفعه . وجسا كدعا : صلب ويدس . و يقال : سحجت جلده فإن سحج أي قشرته فانقشر . و التقصف : التكرس . والغريض الطري ، أي غير مطبوخ . والعجم بالتحريك : النوى و حزن الطائر بيضته يحضنه : إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه . وزق الطائر فرخه يزقه أي أطعمه بفيه . و تقوقى أي تصيح . والملح بضم الميم والحاء المهملة : صفرة البيض ، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة . وقال الأصمعي : اخشرت الزبد : تركته خائراً ، و ذلك إذا لم تذبه . وتنقاب أي تنفلق .

قال المفضل : فقلت يا مولاي إن قوماً من المعطلة يزعمون أن اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها بالمرج والإهمال . فقال :

يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدرّاج والتدارج^(١) على استواء ومقابلة كنهو ما يخط بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف ؛ ولو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكن مختلفاً .

تأمل ريش الطير كيف هو ؟ فإنك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك دقاق قد ألفت بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة ، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته يفتح قليلاً ولا ينشق لتداخله الريح فيقل الطائر إذا طار ، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته ، وهو القصبه التي هو في وسط الريشة ، وهو مع ذلك أجوف ، ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران .

(١) قال الدميري : التدرج كعرج : طائر كالدرّاج يفر في البساتين بأصوات طيبة ، يسمن عند صفاء الهواء ، وهبوب الشمال ، و يهزل عند كدورته وهبوب الجنوب ، يتخذ داره في التراب اللين ، ويضع البيض فيها لئلا يتعرض للافات . وقال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس .

بيان : المرجح بالتحريك : الفساد والاضطراب والاختلاط . وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة والأول أظهر والوشى : نقش الثوب ويكون من كل لون . والسلوك : جمع السلك وهو جمع السلكة - بالكسر - : الخيط يخاط بها .

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين ؟ وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه ؟ فإنه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنه ربيبة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى شيئاً مما يتقوت به خطا خطوات رقيقاً^(١) حتى يتناوله ، ولو كان قصير الساقين و كان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور و يذعر منه فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليذكر بهما حاجته ولا يفسد عليه مطالبه . تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق و ذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض ، و ربما أعين مع طول العنق^(٢) بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولة له وإمكاناً أفلا ترى أنك لا تفتش شيئاً من الخلق إلا وجدتته على غاية الصواب والحكمة ؟ .

توضيح : ماء ضحضاح أي قريب القعر . والربيبة بالهمز : العين والطليلة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شرف . والمرقب : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب . والذعر : الخوف .

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده ؟ ولا هي تجده مجموعاً معداً بل تناله بالحركة والطلب ، وكذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف قوته ؟^(٣) فلم يجعل مما لا يقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه ولم يجعله مبدولاً وينال بالهويناء إذ كان لاصلاح في ذلك فإنه لو كان يوجد مجموعاً معداً كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنقلع حتى تبشم فتهلك ، و كان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر والبطر حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش .

(١) وفي نسخة : خطوات رقيقات .

(٢) وفي نسخة : اعين على طول العنق .

(٣) وفي نسخة : كيف قدره .



أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلا بالليل كمثالبوم والهامة^(١) والخفّاش؟ قلت: لا يا مولاي، قال: إن معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من البعوض والفرّاش وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أن هذه الضروب مبنوثة في الجو لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كله إلا من القرب؟

فإن قال قائل: إنه يأتي من الصحاري والبراري: قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد؟ وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه؟ مع أن هذه عياناً تهافت على السراج^(٢) من قرب فيدل ذلك على أنها منتشرة في كل موضع من الجو، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوت بها.

فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو؛ واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظن ظان أنها فضل لا معنى له؛ خلق الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع أقرب، وذلك أنه ذوا ذنين ناشزتين وأسنان ووبر^(٣) وهو يلد ولا دأ ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع، وكل هذا خلاف صفة الطير، ثم هو أيضاً مما يخرج بالليل ويتقوت مما يسري في الجو من الفرائش وما أشبهه؛ وقد قال قائلون: إنه لا طعم للخفّاش، وإنّ غذاءه من النسيم وحده، وذلك يفسد ويبطل من جهتين: إحداهما خروج ما يخرج منه من الثقل والبول فإن هذا لا يكون من غير طعم، والأخرى أنه ذو أسنان ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى، وليس في الخلقه شيء لا معنى له؛ وأما المآرب فيه فمعروفة

(١) جمع الهامة: نوع من البوم الصغير، تألف القبور والاماكن الخربة، وتنظر من كل مكان أينما درت أدارت رأسها. وتسمى أيضاً العدى.

(٢) أي تساقط عليه وتتابع.

(٣) أضاف الديميري له خصيصتين، وقال: يحيض ويظهر، ويضحك كما يضحك الإنسان.

حتى أن زبله يدخل في بعض الأعمال ،^(١) ومن أعظم الإرب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل شأنه ، وتصرفها فيما شاء ، كيف شاء لضرب من المصلحة . فأمّا الطائر الصغير الذي يقال له : « ابن تمرّة » فقد عسّش في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرةً فاها لتبلعه فبينما هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذا وجد حسكة فحملها فألقاها في فم الحيّة ، فلم تنزل الحيّة تلتوي وتتقلّب حتى ماتت . أفرايت لو لم أخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة ؟ اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلاّ بحادث يحدث به أو خبر يسمع به .

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل ، وتهيئة البيوت المسدّسة وما ترى في ذلك اجتماعه من دقائق الفطنة^(٢) فإنك إذا تأملت العمل رأيت عجيبة لطيفاً ، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس ، وإذا رجعت إلى الفاعل أفيتته غيباً جاهلاً بنفسه فضلاً عما سوى ذلك ، ففي هذا أوضح الدلالة على أن الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخّره فيها لمصلحة الناس .

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنك إذا تأملت خلقه رأيت كآضعف الأشياء ، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه ألا ترى أن ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك ؟ أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه ؟ انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشي السهل و الجبل والبدو والحضر ، حتى يستر نور الشمس بكثرتة فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي

(١) قد ذكر الدميري لاجزائه خواصاً كثيرة : منها ان طبخ رأسه في إناء نديس أو حديد بدهن زنبق ويفر فيه مرارا حتى يتهرى ويصفى ذلك الدهن عنه ، ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم والارتعاش ، والتورم في الجسد فانه ينفعه ذلك ويبرئ ، ومنها ان زبله اذا طلى به على القوابي قلها . وغير ذلك من الفوائد .

(٢) وفي نسخة وما ترى في اجتماعه من دقائق الفطنة .

متى كان يجتمع منه هذه الكثرة ، وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدلّ بذلك على القدرة التي لا يؤودها شيء، ويكثر عليها .

تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قد رُأى أن يكون عليه فإنه خلق غير ذي قوائم لأنه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء ، وخلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجّة ، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة ، وكسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات فأعين بفضل حس في الشم لأنّ بصره ضعيف والماء يحجبه ، فصار يشمّ الطعام من البعد البعيد فينتجعه ، وإلا فكيف يعلم به وبموضعه ؟ واعلم أنّ من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعبّ الماء بفيه^(١) ويرسله من صماخيه^(٢) فتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسّم هذا النسيم .

فكر الآن في كثرة نسله وما خصّ به من ذلك فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة ، والعلّة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى أن السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك فإذا مرّ بها خطفته فلما كانت السباع تأكل السمك والطيور تأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة .

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ، و دوابّ الماء والأصداف ، والأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء ، يدركه الناس بأسباب تحدث ؛ مثل القرمز فإنه إنما عرف الناس صبغه بأنّ كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمّى الحلزون فأكلته فاخترض خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغاً ، و أشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان .

(١) أي شربه أو كرهه بلاتنفس .

(٢) الصمغ : خرق الاذن الباطن الماضي إلى الرأس .



قال المفضل : حان وقت الزوال فقام مولاي ﷺ إلى الصلاة ، وقال : بكر إليّ غداً إن شاء الله تعالى فأنصرفت وقد تضاعف سروري بما عرف فيه ، مبتهجاً بما منحنيهِ ، حامداً لله على ما آتانيهِ فبت لي ليلي مسروراً مبتهجاً .

بيان : البشم محرّكة : التخمة والسامة . بشم كفرح وأبشمه الطعام . و الفراش هي التي تقع في السراج . واليعسوب : أمير النحل وطائر أصغر من الجراداة أو أعظم . وقوله ﷺ : ناشرتين بالمعجمة أي مرتفعتين ، وفي بعض النسخ بالمهملة أي مبسوطتين . والسرى : السير بالليل . وقال الفيروز آبادي : والتمرة كقبرة وابن تمرة طائر أصغر من العصفور . انتهى .^(١) وفغرفاه أي فتحه . والحسك محرّكة : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم . قوله ﷺ : غيباً جاهلاً أي ليس له عقل يتصرّف في سائر الأشياء على نحو تصرّفه في ذلك الأمر المخصوص فظهر أن خصوص هذا الأمر إلهام من مدبّر حكيم ، أو خلقه وطبيعة جبله عليها ، ليصدر عنه خصوص هذا الأمر لما فيه من المصلحة مع كونه غافلاً عن المصلحة أيضاً ، ولعلّ هذا يؤيد ما يقال : إن الحيوانات العجم غير مدركة للكليات^(٢) ويقال : دلفت الكتيبة في الحرب أي تقدّمت ، ويقال : دلفناهم : فالعساكر تحتل الرفع وال نصب . والرجل بالفتح جمع راجل : خلاف الفارس . وانساب : جرى ومشى مسرعاً . ولا يؤودها أي لا يثقلها . ولجّة الماء : معظمه . والمجذاف : ما تجرى به السفينة . وانتجع : طلب الكلاء في موضعه . وحافات الآجام : جوانبها . وعكف على الشيء : أقبل عليه مواظباً . وقال الفيروز آبادي : القرمز : صبغ أرمني يكون من عصارة دود في آجامهم . وقال : الحلزون - محرّكة - دابة تكون في الرمث أي بعض مراعي الابل ، ويظهر من كلامه ﷺ اتحادهما ، ويحتمل أن يكون المراد أن من صبغ الحلزون تفتّنوا بأعمال القرمز للصبغ لتشابههما . تمّ المجلس الثاني .

(١) قال الدميري : التمر : طائر نحو الاوز في منقاره طول ، وعنقه أطول من عنق الاوز . وفي المنجد : التمر : طائر مائي شبيه بالاوز أطول منه عنقاً . أقول : الظاهر أنه غلط وصحيحه كما في القاموس وغيره : التمر بالراء .

(٢) فيه ما لا يخفى فان إدراك الكليات غير الفكر الذي بمعنى الانتقال من النتيجة إلى المقدمات ومنها إلى النتيجة ، وكذا هو غير قوة الفكر ؛ والذي يلوح منه نفي قوة الفكر كالإنسان وأما أصل الفكر وإدراك الكليات فلا . ط

المجلس الثالث : قال المفضل : فلما كان اليوم الثالث بگرت إلی مولاي فاستوذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست ، فقال ﷺ : الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا ، اصطفانا بعلمه ، وأيدنا بحلمه ، من شد عنا^(١) فالنار مأواه ، ومن تقياً بظل دوحتنا فالجنة مثواه ، قد شرحت لك يا مفضل خلق الإنسان وما دبربه و تنقله في أحواله وما فيه من الاعتبار ، وشرحت لك أمر الحيوان ، و أنا أبتدىء الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح و الجواهر الأربعة : الأرض والماء والهواء والنار ؛ والمطر والصخر والجبال والطين و الحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر وما في ذلك من الأدلة والعبر .

فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر وتقوية حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد ،^(٢) وقد وصف الجذاق منهم لمن كل بصره الإطلاع في إجمانة^(٣) خضراء مملوءة ماء ؛ فانظر كيف جعل الله جل وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المنقلبة عليه فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفرغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ، ويفكر فيها الملحدون ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

بيان : اصطفانا بعلمه أي اختارنا وفضلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه ما لم يعط أحداً . و أيدنا بحلمه أي قوانا على تبليغ الرسالة بما حالنا به من حلمه لنصبر على ما يلقانا من أذى الناس وتكذيبهم . والدوحة : الشجرة العظيمة . والصخر : الحجر العظام . و أديم السماء : وجهها ، كما يطلق أديم الأرض على وجهها ، ويمكن أن يكون ﷺ شبهها بالأديم . وقوله ﷺ : حكمة بالغة بالرفع خبر مبتدئ محذوف ؛ أو بالنصب بالحالية أو بكونه مفعولاً لأجله .

(١) أي تحزب وانفرد عنا .

(٢) إدمان النظر : إدامته .

(٣) الاجتانة : إناء . تغسل فيه الثياب .



فكرياً مفضل في طلوع الشمس و غروبها لإقامة دولتي النهار و الليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في أمورهم و الدنيا مظلمة عليهم ، ولم يكونوا يتهنئون بالعيش مع فقدهم لذة النور و روحه ، و الإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره و الزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها ؛ فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء و الراحة لسكون أبدانهم وجموع حواسهم و انبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل و مطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإن كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء و لا قرار حرصاً على الكسب و الجمع و الادخار ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها و تحمي كل ما عليها من حيوان و نبات فقد رها الله بحكمته و تدبيره تطلع وقتاً و تغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقتضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا و يقرؤوا فصار النور و الظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه .

ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس و انحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة و ما في ذلك من التدبير و المصلحة ؛ ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر و النبات فيتولد فيهما مواد الثمار ، و يستكثف الهواء فينشأ منه السحاب و المطر ، و تشد أبدان الحيوان و تقوي ، و في الربيع تتحرك و تظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات ، و تنور الأشجار ، و يهيج الحيوان للسفاد ، و في الصيف يحتدم الهواء فتضج الثمار ، و تتحلل فضول الأبدان ، و يجف وجه الأرض فتتهيأ للبناء و الأعمال ؛ و في الخريف يصفو الهواء ، و يرتفع الأمراض ، و يصح الأبدان و يمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ، و يطيب الهواء فيه إلى مصالحي أخرى لو تفصّيت لذكرها لطلال فيها الكلام .

فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الإثني عشر لإقامة دور السنة ، و ما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة : الشتاء ، و الربيع ، و الصيف ، و الخريف ؛ و يستوفى فيها على التمام ، و في هذا المقدار من دوران الشمس تدرك

الغلات والثمار ، وتنتهي إلى غاياتها ، ثم تعود فيستأنف النشوء والنمو ، ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام ، وبها يحسب الناس الأعمال^(١) والأوقات الموقوتة للديون والإجازات والمعاملات وغير ذلك من أمورهم ، وبمسير الشمس يكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة .

انظر إلى شروقها على العالم كيف دبّر أن يكون فإنها لو كانت تبرز في موضع من السماء فتقف لاتعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة^(٢) منها ، والإرب التي قدرت له ، ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم ؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء ؟ أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة^(٣) التي لم تكن عندهم فيها حيلة ؟ فصار تجري على مجاريها لاتعتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصالح العالم وما فيه بقاءه .

استدلّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ، ولا يقوم عليه حساب السنة ، لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرّمها ، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها ، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف .

فكر في إنارته في ظلمة الليل والإرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدى الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لاضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل ؛ لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصي الأعمال بالنهار^(٤) أو لشدة الحر وإفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالاً

(١) وفي نسخة : وبها يحسب الناس الاعمار .

(٢) أي بحصته ونصيبه من المنفعة .

(٣) وفي نسخة : كيف كان يكون للناس هذه الامور الجليلة .

(٤) وفي نسخة : في تقضي بعض الاعمال بالنهار .



شتى كحراث الأرض ، وضرب اللبن ، وقطع الخشب ، وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك ، وأنساً للسائرين ، وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ، ونقص مع ذلك من نور الشمس وضياؤها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار ، ويمتنعوا من الهدوء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في مهله^(١) ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصروف له هذا التصريف لصالح العالم ما يعتبر به المعتبرون .

ايضاح : الدولة بالفتح والضم : انقلاب الزمان ، ودالت الأيام : دارن ، والله يداولها بين الناس . وهدأ كمنع هدهأ وهدوءاً : سكن . ويقال : نكيت في العدو نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت . وجثم الإنسان والطائر والنعام ، يجثم جثماً وجثوماً : لزم مكانه لم يبرح ، والمراد جثومهم في الليل . والتظاهر : التعاون . ونور الشجر أي أخرج نوره . وخدم النار : شدة احتراقها . والتقصى : بلوغ أقصى الشيء ، ونهايته . والغابر الباقي والماضي ؛ والمراد هنا الثاني . وبزغت الشمس بزوغاً : شرقت ، أو البروغ ابتداء الطلوع . وقال الجوهري : اعتل عليه واعتلته : إذا اعتاقه عن أمر . انتهى . وليلة داجية أي مظلمة .

فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة ، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفرق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين : أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب ، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق ؛ كالنملة التي تدور على الرحي فالرحي تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك تتحرك حركتين مختلفتين : إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها ، والأخرى مستكرهة مع الرحي تجذبها إلى خلفها ؛ فاسئل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صناع لها ما منعها أن تكون كلها راتبة ؛ أو تكون كلها منتقلة ؛ فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحر كتين مختلفتين على وزن وتقدير ؛ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير ، وليس بإهمال كما تزعم المعطلة .

(١) وفي نسخة : خاصة في تهله .



فإن قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً ؟ قلنا : إنها لو كانت كلها راتباً لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج من البروج ؛ كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ، ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لأنه إنما يوقف بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبه كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ، ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ، ولساغ لقائل أن يقول : إن كينونتها ^(١) على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها .

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعرين وسهيل فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت ، واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته ، وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة ، وذلك أنها لاتغيب ولا تتوارى ؛ فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شأؤوا وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة ، وفيهما مآرب أخرى : علامات و دلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر ؛ وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد ، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار ^(٢)

(١) في نسخة : ان كينونتها

(٢) جمع القفر : الغلاء من الأرض ، لأماء فيه ولا ناس ولا كلاء .



الموحشة ، واللجج الهائلة ، مع ما في ترددها في كبد السماء^(١) مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فإنها تسير أسرع السير وأحشّه .

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ماهي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها؟^(٢) كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجوّ ، وكذلك أيضاً لو أنّ أناساً كانوا في قبة مكّلة بمصاييح تدور حولهم دوراناً حيثاً لحارت أبصارهم^(٣) حتى يخرثوا لوجوههم فانظر كيف قدّر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار وتنكأ فيها ، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها ، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر ، ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل ، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة حاجة إليها ، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا .

فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار ، وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض ، وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت^(٤) لك آنفاً ، وهل يخفى على ذي لب أنّ هذا تقدير مقدر ، وصواب وحكمة من مقدر حكيم ؟ .

فإن قال قائل : إن هذا شيء ، اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات ؟ فترى كل شيء من آله مقدرأ بعضه يلقي بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها ، وبم كان يثبت هذا القول لوقاله ؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له - وسمعوه منه ؛ أفينكر أن يقول في دولاب خشب^(٥)

(١) أي وسط السماء .

(٢) أي ستهب بها بتوقدها .

(٣) حارت العين : اشتد بياض بياضها وسواد سوادها .

(٤) وفي نسخة : كالذي بينت ولخصت لك آنفاً .

(٥) وفي نسخة : في دولاب خيس .



مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض : إنه كان بلاصانع ومقدر ، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصالح جميع الأرض وما عليها : إنه شيء اتفق أن يكون بلاصنعة ولا تدير ؛ لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء ، كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه ؟ .

بيان : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا تفارق مراكزها لعل المراد أنه ليس لها حركة بينة ظاهرة كما في السيارات ، أو لا تختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسرة لها ، ويحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذات تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها ، وعليه ينبغي أن يحمل قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وبعضها مطلقه تنتقل في البروج ؛ أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بينة يعرفه كل أحد ، والأول أظهر كما سيظهر من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله : فإن الإهمال معنى واحد يحتمل أن يكون المراد أن الطبيعة أو الدهر الذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثرين كل منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة ، ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مر ؛ أو المراد أن العقل يحكم بأن مثل هذين الأمرين المتسقين الجارين على قانون الحكمة لا يكون إلا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم ؛ أو المراد أن الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلة وترجيح الأمر الممكن من غير مرجح كما تزعمون أمر واحد حاصل فيهما ، فلم صارت إحداهما راتبة ؛ والأخرى منتقلة ؛ ولم لم يعكس الأمر ؛ والأول أظهر ^(١) كما لا يخفى . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لبطلت الدلالات ظاهره كون الأوضاع النجومية علامات للحوادث قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : في البروج الراتبة يدل ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ راعى في انتقال البروج محاذات نفس الأشكال ، وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بطؤ الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج ولو بقربها منها لكنه بعيد . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والشعيرين قال الجوهري : الشعري : الكوكب الذي يطلع

(١) وظاهر الخبر المعنى الأخير .

بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر وهما الشعريان والشعري العبور التي في الجوزاء ،
والشعري : القميصاء التي في الذراع تزعم العرب أنهما أختا سهيل . انتهى . والقفار جمع
قفر ، وهو الخلاء من الأرض . وخطف البرق البصر : ذهب به . ووهج النار - بالتسكين - :
توقدها . وقوله : حثيثاً أي مسرعاً . وتجا في أي لم يلزم مكانه . وبرح مكانه : زال عنه .
فكراً مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق
فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتد إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك ، أفرايت
لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار^(١) كل
ما في الأرض من حيوان ونبات ؟ .

أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ، ولا البهائم كانت تمسك عن
الرعي لودام لهاضوه النهار ، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة ، وكان ذلك
سيهلكها أجمع ويؤديها إلى التلف ؛ وأما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج
الشمس حتى يجف ويحترق ، وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف
الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعاً ، وتخمد الحرارة
الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد ، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع
لا تطلع عليه الشمس .

اعتبر بهذه الحر والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف من الزيادة
والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما
بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فإنه لولا الحر والبرد وتداولهما
الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت .

فكر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل فإنك ترى أحدهما
ينقص شيئاً بعد شيء ، والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في
الزيادة والنقصان ، ولو كان دخول أحدهما على الأخرى مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان
وأسقمها كما أن أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة لضره ذلك وأسقم

(١) البوار : الهلاك والكساد .

بدنه فلم جعل الله عزَّ وجلَّ هذا الترسُّل في الحرِّ والبرد إلا للسلامة من ضرر المفاجأة؛ ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة لولا التدبير في ذلك؛ فإن زعم زاعم أن هذا الترسُّل في دخول الحرِّ والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها؛ فإن اعتلَّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول حتى استقرَّ على العمد والتدبير؛ لولا الحرُّ لما كانت الثمار الجاسية المرَّة تنضج فتلين و تعذب حتى يتفكَّ بها رطبة ويابسة، ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا، ويربع الربيع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر أفلاترى ما في الحرِّ والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يولم الأبدان ويمضها، وفي ذلك عبرة لمن فكَّر، ودلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه.

بيان: قوله ﷺ: لا يجاوز ذلك أي في معظم المعمورة. وقال الفيروز آبادي: خوت الدار: تهدمت، والنجوم خياً: أمحلت فلم تمطر كأخوت. وقال: المنتكث: المهزول. وقال: الترسُّل: الرفق والتؤدة. انتهى. قوله ﷺ: ببعد ما بين المشرقين أي المشرق والمغرب، كناية عن عظم الدائرة التي يقطع عليها البروج أو مشرق الصيف والشتاء، والأول أظهر. قوله ﷺ: الجاسية أي الصلبة. ويتفكَّ بها أي يتمتع بها. والربيع: النماء والزيادة. وقال الجوهري: أمضني الجرح إمضاضاً: إذا أوجعك، وفيه لغة أخرى: مضني الجرح؛ ولم يعرفها الأصمعي.

وأُنْبِهَكَ يا مفضل على الريح وما فيها أَلست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس، ويحرِّض الأَصحاء وينهك المرضى، ويفسد الثمار، ويعفن البقول، ويعقب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلات؟ ففي هذا بيان أن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق.

وأُنْبِهَكَ عن الهواء بخلة أخرى فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤديه إلى المسامع، والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول

نهارهم وبعض ليلهم ، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلا العالم منه ، فكان يكر بهم ويفدحهم ، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأن ما يلقي من الكلام أكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحي فيعود جديداً نقياً ، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع ، وحسبك بهذا النسيم المسمى «هواء» عبرة وما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ، ومن خارج بما تباشر من روحه ، وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدي بها من البعد البعيد ، وهو الحامل لهذه الأرياح ينقلها من موضع إلى موضع .

الأثرى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت ، وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ،^(١) ومنه هذه الريح الهابطة فالريح تروح عن الأجسام و تزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعم نفعه حتى يستكشف فيمطر ، وتفضعه حتى يستخف فيتفشى ، وتلقح الشجر ، وتسير السفن ، وترخي الأطعمة^(٢) وتبرّد الماء ، وتشب النار ، وتجفف الأشياء النديّة ، وبالجملة أنها تحيي كلما في الأرض فلولا الريح لذوى النبات^(٣) ومات الحيوان وحمّت الأشياء وفسدت .

توضيح : ركود الريح : سكونها ، والحرص : فساد البدن . ويقال : نهكته الحمى اي أضنته وهزلته . وقوله ﷺ : والهواء يؤدّيه يدلّ على ما هو المنصور من تكييف الهواء بكيفية الصوت على ما فصل في محله . ويقال : كربه الأمر أي شقّ عليه وفدحه الدين أي أثقله . وريثما فعل كذا أي قدر مفعله . ويبلغ إما على بناء المجرّد فالعالم فاعله أو على التفعيل فالهواء فاعله والرّوج بالفتح : الراحة ونسيم الريح . واطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً و جرى . والأرياح جمع للريح . و تزجي السحاب - على بناء الإفعال -

(١) وفي نسخة اللذين : يقبان على العالم لصلاحه .

(٢) أي صيرها رخواً أي منسماً .

(٣) ذوى النبات : ذبل ونشف ماؤه .



أي تسوقه . وتفضّه أي تفرّقه . والتفشي : الانتشار . وترخي الأظعمة - على التفعيل أو الإفعال - أي تصيرها رخوة لطيفة . وتشب النارأي توقدها .

فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجلّ عليه هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها ، فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنازل أخشابهم وأحطابهم ، والعقاير العظيمة ، والمعادن الجسمة غنائرها ، ولعلّ من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول : ما المنفعة فيها ؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها ثمّ فيها بعد متنفس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم ؛ فكم يبدأ ، وكم فدحالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزبه أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه .

ثمّ فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطناً مستقراً للأشياء فيتمكّن الناس من السعي عليها في مآربهم ، والجلوس عليها لراحتهم ، والنوم لهدئهم ، والإيقان لأعمالهم فانّها لو كانت رجراجة متكفّئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك ، بل كانوا لا يتهنّون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم ؛ واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكثها حتّى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها .

فان قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له : إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعوا وينزعوا عن المعاصي ، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجرى في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ، ويدّخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا ، وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للخاصّة والعامة .

ثمّ إنّ الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة و إنّما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يابس في الحجارة ، أفرايت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتّى تكون حجراً صلداً أكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان ؟

وكان يمكن بها حرث أو بناء؟ أفلا ترى كيف تنصب^(١) من يبس الخجارة و جعلت على ماهي عليه من اللين والرخاوة ولتهيأ للاعتماد؟ .

ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عز وجل كذلك إلا لينحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها و ترويتها؟ ثم تفيض آخر ذلك إلى البحر فكأنما يرفع أحد جانبي السطح^(٢) و يخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها، ولولا ذلك لبقى الماء متحيراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من إعمالها^(٣) ويقطع الطرق والمسالك؛ ثم الماء لولا كثرتة وتدفقه في العيون والأودية و الأنهار لضاق عما يحتاج الناس إليه لشربهم و شرب أنعامهم وهو اشبههم، وسقي زروعهم وأشجارهم و أصناف غلاتهم، و شرب ما يرده من الوحوش والطيور والسبأ وتتقلب فيه الحيتان و دواب الماء؛ وفيه منافع آخر أنت بها عارف وعن عظم موقعها غافل فإنه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج بالأشربة فتلين وتطيب لشاربها، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها، وبه يبلى التراب فيصلح للاعمال^(٤) وبه يكف عادية النار إذا اضطربت وأشرف الناس على المكروه، وبه يسيغ الغصان ما غص به، وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من أوصابه، إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها .

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت: ما الإرب فيه؟ فاعلم أنه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى: من أصناف السمك ودواب البحر، ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر، وأصناف شتى تستخرج من البحر، وفي سواحله منابت العود والبلنجوج، وضروب من الطيب والعقاقير؛ ثم هو بعد مراكب الناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق، ومن العراق

(١) وفي نسخة : نقصت .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : فكما يرفع أحد جانبي السطح .

(٣) وفي نسخة : فكان يمنع الناس من اعمالها .

(٤) وفي نسخة : فيصلح للاعمال .



إلى العراق^(١) فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محل إلا على الظهر لبارت^(٢) وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها لأن أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها؛ وهكذا الهواء لو لا كثرته وسعته لاختنق^(٣) هذا الأنام من الدخان والبخار التي يتحير فيه، ويعجز عما يعول إلى السحاب والضباب أو لا، ولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية.

والنار أيضاً كذلك فإنها لو كانت مبعوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه، ولم يكن بد من ظهورها في الأحيان لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الأنشاب،^(٤) تلمس عند الحاجة إليها، وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبو،^(٥) فلا هي تمسك بالمادة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك، ولا هي تظهر مبعوثة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها. ثم فيه خلة أخرى وهي أنها مما خص به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فأما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها، ولما قدر الله عز وجل أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفاً وأصابع مهياة لقدح النار واستعمالها، ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها أعييت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان.

وأنبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الذي يتخذونه الناس فيقضون به حوائجهم ماشأوا من ليالهم، ولولا هذه الخلة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور؛ فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج

(١) وفي نسخة: إلى الصين.

(٢) بارت أي كسدت.

(٣) خنق: شد على حلقه حتى يموت. واخنق مطاوع خنق.

(٤) وفي نسخة في الاجسام.

(٥) أي لئلا تنعد وتطفأ.



في ظلمة الليل؟ وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج أن يعالج ضماداً، أو سفوفاً أو شيئاً يستشفى به؟^(١) فأما منافعها في نضج الأطعمة ودفء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشياء ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى.

تبيان: العقاقير: أصول الأدوية. والغناء بالفتح: المنفعة. والخاوية: الخالية. والدفد: الفلاة، والمكان الصلب الغليظ والمرتفع، والأرض المستوية. والفسحة بالضم: السعة. ويقال: نبي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة. وحزبه أمر أي أصابه. والراتبة: الثابتة. والراكنة: الساكنة. وهدأهدأ أو هدوءاً: سكن. وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: رجراجة أي متزلزلة متحركة. والتكفيء: الانقلاب والتمايل والتحرك. والارتجاج الاضطراب. والإرعواء: الرجوع عن الجهل والكف عن القبيح والصلد - ويكسر - : الصلب الأملس. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف تنصب كذا في أكثر النسخ، والنصب يكون بمعنى الرفع والوضع، ولعل المراد هنا الثاني، والظاهر أنه تصحيف نقصت أو نحوه. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن مهب الشمال أرفع أي بعد ما خرجت الأرض من الكروية الحقيقية صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع مما يلي الجنوب، ولذا ترى أكثر الأنهار كدجلة و الفرات وغيرهما تجري من الشمال إلى الجنوب، ولما كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المتفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى تجري على وجه الأرض؛ ولذا حكموا بفوقية الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البر والبحر، وإذا تأملت فيما ذكرنا يظهر لك ما بينه عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحكيم في ذلك، وأنه لا ينافي كروية الأرض. والتدفق: التصبب. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: فإنه سوى الأمر الجليل الضمير راجع إلى الماء وهو إسم إن ويمزج خبره أي للماء سوى النفع الجليل المعروف - وهو كونه سبباً لحياة كل شيء - منافع أخرى؛ منها: أنه يمزج مع الأشرطة. وقال الجوهري: الحميم: الماء الحار، وقد استحممت إذا اغتسلت به؛ ثم صار كل اغتسال

(١) الضماد بالكسر أن يخلط الادوية بمائع وبلين و يوضع على العضو، و أصل الضماد الشد من باب ضرب، يقال: ضمد رأسه وجرحه: إذا شده بالضمد، وهي خرقة يشد بها العضو المؤوف ثم قيل لوضع الدواء على الجرح وغيره وان لم يشد. و السفوف بفتح السين: الادوية المسحوقه اليابسة التي تطرح في الضماد.

استحماماً بأي ماء كان . انتهى . والوصب محرّكة : المرض . والمكتنف بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ و الاحاطة ، واكتفه أي أحاط به ، ويظهر منه أن نوعاً من الياقوت يتكوّن في البحر، وقيل : أطلق على المرجان مجازاً ، ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه . و اليلنجوج : عود البخور . ومن العراق أي البصرة . وإلى العراق أي الكوفة أو بالعكس . قوله **نَبِيَّهُ** : ويعجز أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عما يستحيل الهواء إليه من انسحاب والضباب التي تتكوّن من الهواء . أوّلاً أي تدريجاً أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتسع لذلك . الضباب بالفتح : ندى كالغيم أو سحاب رقيق كال دخان . والأحيان جمع أحيان ، وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان . قوله **يُنْبِتُهُ** : فلاهي تمسك بالمادّة والحطبات أي دائماً بحيث إذا انطفت لم يمكن إعادتها . والمادّة : الزيادة المتصلة ، والمراد هنا الدهن ومثله . ودفاء الأبدان بالكسر : دفع البرد عنها .

فكربياً مفضل في الصحو^(١) والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ، ولودام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده الأتري أن الأمطار إذا توالى عفت البقول والخضر ، واسترخت أبدان الحيوان ، وخصر الهواء فأحدث ضرراً من الأمراض ، وفسدت الطرق والمسالك ، وأن الصحو إذا دام جفّت الأرض ، واحترق النبات ، وغيض ماء العيون والأودية فأضرّ ذلك بالناس ، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضرراً أخرى من الأمراض فإذا تعاقب على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الآخر^(٢) فصلحت الأشياء واستقامت .

فإن قال قائل : ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرّة ألبتة ؟ قيل له : ليمضّ ذلك الإنسان^(٣) ويومله بعض الألم فيرعوي عن المعاصي ، فكما أن الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرّة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك إذا طعم وأشّر

(١) صحا يصحو صحواً وصحى يصحى صحاً اليوم : صفا ولم يكن فيه غيم .

(٢) أي ضرر الاخر .

(٣) وفي نسخة : يمض ذلك الانسان



احتاج إلى ما يعضه ويولمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حفظه و رشده ، ولو أن ملكاً من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت ؟ فأين هذا من مطرة رواء ؟ ^(١) إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلها .

أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها و أعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون ! وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيندمر ^(٢) ويسخط إيثار اللخسيس قدره على العظيم نفعه جهلاً بمحمود العاقبة وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها . تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك ، فإنه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشي ما غلظ و ارتفع منها فيرويه ، ولو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لماعلا على المواضع المشرفة منها و يقل ما يزرع في الأرض .

ألا ترى أن الذي يزرع سيحاً ^(٣) أقل من ذلك فالأقطار هي التي تطبق الأرض ؛ وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها ^(٤) فتغل الغلة الكثيرة ، ^(٥) وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع ، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العزة والقوة ويحرمه الضعفاء .

ثم إنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرش ليغور في قطر الأرض فيرويه ، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً ^(٦) فينبت الحب المزروع ، و يحيي الأرض والزرع القائم ، وفي نزوله أيضاً مصالح أخرى فإنه يلين الأبدان ، ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ، ويغسل ما يسقط على

(١) على زنة «حيا» : الماء الكثير المشبع .

(٢) في بعض النسخ «يتدمر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جيلاً محمود العاقبة

وقلة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها .

(٣) السبخ : الماء الجاري على وجه الأرض .

(٤) سفح الجبل : أصله وأسفله . عرضه ومضطجعه الذي ينصب الماء . وذرو الجبل : أعلاه .

(٥) وفي نسخة : فتغل الغلة الكثيرة .

(٦) وفي نسخة : فصار ينزل نزولاً رقيقاً .



الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان،^(١) إلى أشباه هذا من المنافع .
فإن قال قائل : أو ليس قديكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطيم الغلات و بخورة يحدثها في الهواء فيولد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلات ؟ قيل : بلى قديكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفه عن ركوب المعاصي و التمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزأ في ماله .

بيان : يعتقبان أي يأتي كل منهما عقيب صاحبه . وخصر الهواء بكسر الصاد المهملة ، يقال : خصر يوماً أي اشتد برده ، وماء خاصر : بارد ، وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة و السين من حسر أي كثر ، وهو لا يستقيم إلا بتكلف وتجوز ، وفي بعضها بالخاء المعجمة والثاء المثلثة من قولهم : خثر اللبن خثراً إذا غلاظ . والبشع : الكريه الطعم الذي يأخذ بالحلق . والقنطار : معيار ، ويروى أنه ألف ومائتا أوقية ، ويقال : هومائة و عشرون رطلاً ، ويقال : هوملء مسك الثور ذهباً . قوله **لَيْتَشِي** : ويذهب له به الصوت ، أي يملأ صيت كرمه وجوده الآفاق . والذمر : الملامة و التهديد . قوله : ليتفشى التفشي : الاتساع ، و الأظهر «ليغشي» بالغين المعجمة كما في بعض النسخ . والحطم : الكسر . والاندفاق : الانصباب . و اليرقان : آفة للزرع . وقوله : مما عسى أن يرزأ من الرزء : المصيبة .

انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة^(٢) من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها ، والمنافع فيها كثيرة : فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج فيبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ، و يذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام ، وينبت فيها ضروب من النبات و العقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل ، ويكون فيها كهوف ومقاييل للوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون

(١) اليرقان : آفة للزرع أودود يسطو على الزرع .

(٢) المركومة : المعجمة من الطين والحجارة بعضها فوق بعض .



والقلاع المنيعة للتحريز من الأعداء، وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء،^(١) ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر، وفيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه.

تفسير : المقاييل في بعض النسخ بالقاف، وكأنه من القيلولة، وفي بعضها بالعين، ولعله من الغيل : الشجر الملتف. وفي بعض كتب اللغة : المغالة : العُش. وفي بعض النسخ معاقل جمع المعقل وهو الملجأ.

فكر يامفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبس^(٢) والزرانينخ، والمرتك، والقونيا^(٣) والزيبق، والنحاس، والرصاص، والفضة، والذهب، والزرجد، والياقوت، والزمرد، وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط، وغير ذلك مما يستعمله الناس في ما ربهم، فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها؛ ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فأنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الذهب والفضة ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشرى والبيع والمعاملات، ولا كان يجيب، السلطان الأموال، ولا يدخرهما أحد للأعقاب، وقد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل، والفضة من الرصاص، والذهب من الفضة، وأشبه ذلك مما لا مضره فيه.

فانظر كيف أعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه، ومنعوا ذلك فيما كان ضاراً لهم لو نالوه؛ ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلاً بماء غزير، لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة.

تفكر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد

(١) أي الطواحين .

(٢) أي حجر الجص .

(٣) في نسخة : القونيا . وفي أخرى : التوتيا .



قدرته وسعة خزائنه ، ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل ، لكن لاصلاح لهم في ذلك ، لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلّة انتفاعهم به ؛ و اعتبر ذلك بأنه قديظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني و الأمتعة فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسّت قيمته ؛ ونفاسة الأشياء من عزّها .

بيان : الكلس بالكسر : الصاروج . والجبس بالكسر الجص . وفي أكثر النسخ الجبسين ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة لكن في كتب الطب كما في أكثر النسخ . والمرتك كمقعد : المر داسنج . والقونيا بالباء الموحدة أو الباء المشددة من تحت ، ولم أجدهما في كتب اللغة ، لكن في القاموس : القونة : القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء ؛ وفي بعض النسخ : والتوتيا ، وفي كتب اللغة أنه حجر يكتحل به .^(١) والقار : القير . وجبى الخراج جباية : جمعه . والإيغال : المبالغة في الدخول والذهاب . وانصلت : مضى وسبق .

فكريا مفضل : في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب ، فالثمار للغذاء ، و الأتبان للعلف ، والحطب للوقود ، و الخشب لكل شيء من أنواع النجارة وغيرها ، و اللحاء والورق والأصول والعروق و الصمغ لضروب من المنافع . أرايت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وإن كان الغذاء موجوداً فإن المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عدّناه كثيرة ، عظيم قدرها ، جليل موقعها ؛ هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيّه .

بيان : لحاء الشجرة بالكسر : قشرها .

فكريا مفضل : في هذا الرّيع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف

(١) نقل في كتب الطب عن الشيخ أنه قال : أصل التوتيا دخان يرتفع حيث يغلي النحاس من

العجارة التي تغالطه والإناك الذي يغالطه ، وربما صعد الإقليميا فكان مصعده توتيا جيداً ورسوبه قليميا .

مائة حبة وأكثر وأقل، وكان يجوز أن يكون الحبة تأتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع إلا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الأرض من البذر، وما يتقوت الزراع إلى إدراك زرعها المستقبل؟ .

الأتري أن الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم، وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثل قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فإنك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً، فلم كان كذلك إلا ليكون فيه ما يقطع الناس ويستعملونه في ما ربهم وما يرد فيغرس في الأرض؟ ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً لا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف .

تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلا وما أشبه ذلك فإنها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه؛ فأما البر وما أشبهه فإنها تخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها مثال الأسننة من السنبيل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع .

فإن قال قائل: أوليس قد ينال الطير من البر والحبوب؟ قيل له: بنى على هذا قدر الأمر فيها لأن الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى له فيما تخرج الأرض حظاً، ولكن حضنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكّن فيعيب فيها ويفسد الفساد الفاحش فإن الطير لو صادف الحب بارزاً ليس عليه شيء، يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه أصلاً فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، ويخرج الزراع من زرعه صفراً فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوت به، ويبقى أكثره للإنسان فإنه أولى به إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به، وكان الذي يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير .

تأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات فإنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء

الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت أصولها مركزاً في الأرض لتتزع منها الغذاء فتؤدبه إلى الأغصان وما عليها من الورق والشرفصارت الأرض كالأم المربية لها ، و صارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض^(١) لتتزع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمهاتها .

الأتري إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبه فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الأرض ممتدة إلى كل جانب لتمسكه وتقيمه ، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف ، فانظر إلى حكمة الخلق كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر لأن خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم الأتري عمدها وعيدانها من الشجر ؛ فالصناعة مأخوذة من الخلق .

بيان : ينسفه بالكس رأي يقلعه . وبشم الحيوان بشماً من باب تعب : اتخم من كثرة الأكل . والكدح : العمل والسعي . والشقا : الشدة والعسر شقى كرضى . والدوح بفتح الدال وسكون الواو جمع الدوحة ، وهي الشجرة العظيمة

تأمل يا مفضل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع فمئها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ، ومنها دقاق تتخلل الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً لو كان مما يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ، ولا احتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلها بلا حركة ولا كلام إلا بالارادة النافذة في كل شيء والأمر المطاع .

واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقاق فإنها جعلت تتخلل الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل الماء إليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كل جزء منها وفي الغلاظ منها معنى آخر فإنها تمسك الورقة بصلابتها ومئاتها لئلا

(١) التقم الطعام : ابتله أوفى مهلة .

تنهتك وتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقه وإن كانت لا تدركها على الحقيقة .

فكّر في هذا العجم والنوى والعلّة فيه فإنّه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق ، كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع آخر ، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وُجد في موضع آخر ، ثمّ بعدُ يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقّتها ، ولولا ذلك لتشدّخت وتفسّخت وأسرع إليه الفساد ، وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح ، وقد تبيّن لك موضع الإرب في العجم والنوى .

فكّر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطوبة وفوق العجم من العنبة فما العلّة فيه ؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة ؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه ما أكل كمثل ما يكون في السرو والدلب وما أشبه ذلك ، فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة إلا ليستمتع بها الإنسان ؟

فكّر في ضروب من التدبير في الشجر فإنك تراه يموت في كل سنة موتة ، فيحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتوالد فيه مواد الثمار ثمّ تحيي وتنتشر فتأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع كما تقدّم إليك أنواع الأطبخة^(١) التي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد ، فترى الأغصان في الشجر تتلقّاك شمارها حتى كأنّها تناولكها عن يد ، وترى الرياحين تلقّاك في أفنانها كأنّها تجيئك بأنفسها ، فلمن هذا التقدير إلا لمقدّر حكيم ؟ وما العلّة فيه إلا تفكية الإنسان بهذه الثمار والأنوار؟^(٢) والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها !:

اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير فإنك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها ، وحباً مرصوفاً رصفاً كنجوماً ينضد بالأيدي^(٣)

(١) وفي نسخة : كما تقدم إليك أنواع الاخبصة .

(٢) وفي نسخة : تفكّه الانسان بهذه الثمار والانوار .

(٣) أي كنجوماً يضم بعضه إلى بعض متسقا بالأيدي .



وترى الحبّ مقسوماً أقساماً ، وكلّ قسم منها ملفوفاً بلفاف من حجب منسوجة أعجب النسيج و الطفه ، و قشره يضمّ ذلك كله ، فمن التدبير في هذه الصنعة أنّه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحبّ وحده ، وذلك أنّ الحبّ لا يمدُّ بعضه بعضاً فجعل ذلك الشحم خلال الحبّ ليمدّه بالغذاء ، ألا ترى أنّ أصول الحبّ مر كوزة في ذلك الشحم ؛ ثمّ لفّ بتلك اللفاف لتضمّه وتمسكه فلا يضرب ، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة ليصونه و يحصّنه من الآفات ، فهذا قليل من كثير و هي وصف الرمانة و فيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرع في الكلام ، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار .

بيان : قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : معجماً لعلّ المراد شدة ارتباطها قال الفيروز آبادي : باب معجم كمكرم : مقفل . انتهى . ويحتمل أن يكون كناية عن خفائها كقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : صلاة النهار عجماء . وقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : إن عاق دون الغرس أي غرس الأغصان عائق تغرس النوى بداها . والشدخ : الكسر والغمز ، والمشدخ هو بسريغمز ويبيس للشتاء . والداب بالضمّ : الصنار ^(١) قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : فيحتبس الحرارة الغريزية يدلّ على أنّ الحرارة الغريزية لا يختصّ بالحيوان ، بل يوجد في النبات أيضاً كما صرّح به جماعة من المحققين . ويقال : رصفت الحجارة في البناء رصفاً أي ضمنت بعضها إلى بعض . واستحصف : استحكم . والتذرع : كثرة الكلام والإفراط فيه .

فكرباً مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقنأ و البطيخ ، وما في ذلك من التدبير والحكمة فإنّه حين قدّر أن يحتمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسّطاً على الأرض ، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع و الشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ، ولينتصف قبل إدراكها و انتهائها إلى غايتها . فانظر كيف صار يمدّ على وجه الأرض ليلقى عليها ثمارها فتحملها عنه فتري الأصل من القرع و البطيخ مفترشاً للأرض ، ثماره مبعثرة عليها وحواليه كأنه هرّة ممتدة وقد اكتنفتها أجراءها لترضع منها .

(١) الصنار معرّب بجنار .



و انظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارة الصيف ، ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانسراح و تشوق إليها ، ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراد أمنها مع ما يكون فيها من المضرة للأبدان . الأترى أنه ربّما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضره وليستوخم مغبته .

توضيح : قال الفيروز آبادي : اليقطين : ما لسانق له من النبات ونحوه . والقصف : الكسر . وقال الجوهري : الجبرو والجرو والجرو : ولد الكلب والسباع ، و الجمع أجري ، وأصله أجرو على أفعال ، وجرا ، وجمع الجراء أجرية ، والجرو والجرو والصغير من القشاء . انتهى . والحمارة بتخفيف الميم وتشديد الراء وقد يخفف في الشعر : شدة الحر . وفي الأساس : مالي أراك تشرح إلى كل رتبة ؛ وهو إظهار الرغبة إليها ، وفيه : هوشه العين يطمع في كل ما يراه يرمي نفسه عليه ويتمناه . انتهى . واستوخمه : لم يجده مريئاً موافقاً . والمغبة : العاقبة .

فكرباً مفضل في النخل فإنه لما صار فيه أنثى يحتاج إلى التلقيح^(١) جعلت فيه ذكورة لللقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الأنثى لتحمل وهو لا يحمل .

تأمل حلقة الجذع^(٢) كيف هو فإِنَّكَ تراه كالمسوج نسجاً من غير خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللحمة^(٣) كنعو ما ينسج بالأيدي ، وذلك ليشتد و يصلب ولا ينقص من حمل القنوان^(٤) الثقيلة ، وهز الرياح العواصب إذا صار نخلة ، و ليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعاً ؛ وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنك ترى بعضه مداخل بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللحم ، وفيه

(١) التلقيح في النخل : وضع طلع الذكر في الإناث .

(٢) الجذع : ساق النخلة .

(٣) السدى من النوب : ما من خيوطه وهو خلاف اللحمة واللحمة ما نسج عرضاً وهو خلاف سدها .

(٤) القنوان جمع القنا والقنى والقنو - بكسر القاف وضبها - : العذق وهو من النخل

كالعقود من العنب .

مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفاً^(١) كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك . ومن جسيم المصالح في الخشب أنه يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالته الأمر فيه ؛ فلولا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة ، وأنسى كان ينال الناس هذا الوفق^(٢) وخفة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد ؛ وكانت تعظم المؤونة عليهم في حملها حتى يلقي كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسراً وجوده .

فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الأدوية فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج ،^(٣) وهذا ينزف المرّة السوداء مثل الأفتيمون ،^(٤) وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج ، وهذا يحلل الأورام وأشباه هذا من أفعالها فمن جعل هذه القوى فيها إلا من خلقها للمنفعة ؛ ومن فطن الناس بها إلا من جعل هذا فيها ؛ ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون ؛ وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها ؛ حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم ، وأشباه هذا كثير . ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا أنس ولا أنيس فتظن أنه فضل لا حاجة إليه و ليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش ، وحبّه علف للطير ، وعوده و أفنانه حطب فيستعمله الناس ، وفيه بعد أشياء تعالج به الأبدان ، وأخرى تدبغ به الجلود وأخرى تصبغ به الأمتعة ، وأشباه هذا من المصالح . ألسنت تعلم أن أحسن النبات وأحقره

(١) أي مستحكما ، والحصيف : كل محكم لا خلل فيه .

(٢) في نسخة : هذا الرفق .

(٣) وفي كتب الطب أنه يزيل الطحال أكلا وضماداً أيضاً ، وتمايقه على الأذن الوجعة يسكن وجعها .

(٤) وله منافع أخرى معدودة في كتب الطب كإسهاله البلغم والصفراء ، ونفعه من الصرع والتشنج

الإملائي ، والنفخ وأصحاب السرطان والجرب وغير ذلك ، كما أن للسكبينج منافع أخرى مبينة في محله .

هذا البردي^(١) و ما أشبهها ؛ ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة ، والحصير التي يستعملها كل صنف من الناس ، ويعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني ، ويجعل حشواً بين الظروف في الأسفاط^(٢) لكيلا تعيب وتنكسر ، وأشياء هذا من المنافع

فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره و بماله قيمة ومالاقيمة له ، وأخر من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة و النجاسة معاً ، و موقعها من الزروع و البقول و الخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى أن كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلا بالزبل والسماذ الذي يستقذره الناس و يكرهون الدنو منه ؛ واعلم أنه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته ، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين ، وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته ، فلو فطنوا طالبوا الكيمياء لما في العذرة لا شتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها .

قال المفهـل : و حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال : بكر إلي غداً إن شاء الله ؛ فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيته مبهتجاً بما آتانيه ، حامداً لله على ما منحنيهِ فبت لي ليلي مسروراً .

بيان : قوله ﷺ : ليصلح بيان لما يتحصل مما مرّ للامتنان فقط . و النزف : النزح : قوله ﷺ : هب الإنسان أي سلمنا أنه كذلك . والحصر بالضم : اعتقال البطن . والسوقة بالضم : الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث . والغلف بضممة وبضممتين و كركع : جمع غلاف . والزبل بالكسر : السرقيين . وقال الفيروز آبادي : السماذ : السرقيين برماد وقال الجزري : هو ما يطرح في أصول الزرع و الخضر من العذرة والزبل ليجود نباته . أقول : يدل ظاهراً على جواز استعمال العذرات النجسة في ذلك و ربما يستدل به على تطهير الاستحالة .

(١) البردي : نبت رخوينبت في ديار مصر كثيراً ، يوضع أصله كقصب السكر و يتخذ منه القراطيس وقيل : له ورق كهوص النخل ، فارسيه نوخ .

(٢) جمع السفت : وعاء كالقفة أو الجوالق .



المجلس الرابع : قال المفضل : فلما كان اليوم الرابع بكرت إلى مولاي فاستوذنت لي فأمرني بالجلوس فجلست ، فقال عليه السلام : منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الإقدم ، والنور الأعظم العليّ العلام ، ذي الجلال والإكرام ، ومنشىء الأنام ، ومفتي العوالم والدهور ، وصاحب السرّ المستور والغيب المحظور ، والاسم المخزون والعلم المكنون ؛ وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ، ومؤدّي رسالته ، الذي ابتعثه بشيراً و نذيراً ، وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة ، فعليه وعلى آله من بارئته الصلوات الطيبات والتحيات الزاقيات الناميات ، وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين والغابرين أبدأ الأبديين ودهر الدهرين وهم أهله ومستحقّه .

قد شرحت لك يا مفضل من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر ؛ وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعة إلى جحود الخالق والخلق والعمد والتدبير ، وما أنكرت المعطلة والمنانية^(١) من المكلاه والمصائب وما أنكروه من الموت والفناء ، وما قاله أصحاب الطبائع ، ومن زعم أن كون الأشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الردّ عليهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ .

اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثّل الوباء واليرقان^(٢) والبرد والجراد ذريعة إلى جحود الخلق والتدبير والخالق ؛ فيقال في جواب ذلك : إنه إن لم يكن خالق ومدبّر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأفظع ؟ فمن ذلك أن يسقط السماء على الأرض ، وتهوي الأرض فتذهب سفلاً ، وتتخلف الشمس عن الطلوع أصلاً ، وتجف الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة ، وتركد الرياح حتى

(١) الظاهر : المنوية .

(٢) اليرقان : مرض معروف يصيب الناس ويسبب اصفرار الجلد ، وآفة للزرع ، أو دود يسطو على الزرع ولعل المراد المعنى الثاني لذكره قبل ذلك .

تحمّ الأشياء وتفسد، و يفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها . ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتدّ حتى تجتاح كل ما في العالم ؛ بل تحدث في الأحياء ، ثم لا تلبث أن ترفع ؛ أفلا ترى أن العالم يمان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء ، منها كان فيه بواره ، و يلذع^(١) أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ، ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فتكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة .

و قد أنكرت المعطلة ما أنكرت المنانيّة^(٢) من المكارة والمصائب التي تصيب الناس ، فكلاهما يقول : إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلم يحدث فيه هذه الأمور المكروهة ؛ والقائل بهذا القول يذهب به إلى أنه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر ، ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج من الأشر والعتوّ إلى ما لا يصلح في دين و دنيا كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه حتى أن أحدهم ينسى أنه بشر وأنه مربوب أو أن ضرراً يمسه ، أو أن مكروهاً ينزل به ، أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً أو يواسي فقيراً . أو يرثي لمبتلى^(٣) أو يتحنن على ضعيف ، أو يتعطف على مكروب ، فإذا عضته المكارة و وجد مضمضها اتعظ وأبصر كثيراً مما كان جهله وغفل عنه ، و رجع إلى كثير مما كان يجب عليه ، و المنكرون لهذه الأمور الموزية بمنزلة الصبيان الذين يذمّون الأدوية المرة البشعة ؛ ويتسخطون من المنع من الأطعمة الضارة ؛ ويتكروهن الأدب والعمل ؛ ويحبّون أن يتفرّغوا للهو والبطالة ؛ وينالوا كل مطعم ومشرب ؛ ولا يعرفون ما تؤدّبهم إليه البطالة من سوء النشوء، والعادة وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارة من الأدواء والأسقام ، وما لهم في الأدب من الصلاح ، وفي الأدوية من المنفعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة .

فإن قالوا : ولم لم يكن الإنسان معصوماً من المساوي حتى لا يحتاج إلى أن

(١) يلذع بالذال المعجمة والعين المهملة : يوجع ويؤلم . وفي بعض النسخ بلذغ بالذال المهملة

والعين المعجمة أي يلسع .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : المانوية .

(٣) أي يرق ويرحم له .



يلذعه بهذه المكارة ؟ قيل : إذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحق للثواب عليها .

فإن قالوا : وما كان يضره أن لا يكون محموداً على الحسنات مستحقاً للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللذة ؟ قيل لهم : اعرضوا على امرء صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعماً ويكفى كل ما يحتاج إليه بلا سعي ولا استحقاق ، فانظر هل تقبل نفسه ذلك ؟ بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعي والحركة أشد اغتباطاً وسروراً منه بالكثير مما يناله بغير الاستحقاق ، وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة ، بأن أعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا ، وجعل له السبيل إلى أن ينال بسعيه واستحقاقه فيكمل له السرور والاعتباط بما يناله منه .

فإن قالوا : أوليس قديكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقه ؟ فما الحجّة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة ؟^(١) قيل لهم : إن هذا باب لو صح للناس لخرجوا إلى غاية الكلب والضراوة على الفواحش و انتهاك المحازم ؛ فمن كان يكف نفسه عن فاحشة أو يتحمل المشقة في باب من أبواب البر ولو وثق بأنه صائر إلى النعيم لا محالة ؟ أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب ؟ فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة ، فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معاً ، وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الأمور غير مواضعها .

وقد يتعلّق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعم البرّ والفاجر ، أو يبتلي بها البرّ ويسلم الفاجر منها ، فقالوا : كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجّة فيه ؟ فيقال لهم : إن هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعاً ، فإن الله جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما : أما الصالحون فإن الذي يصيبهم من هذا يردّهم^(٢) نعم ربّهم عندهم في سالف

(١) وفي نسخة : على هذه الخلة .

(٢) كذا في النسخ والظاهر : يذكرهم .



أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر؛ وأما الطالحون فإن مثل هذا إذا نالهم كسر شرتهم، وردعهم عن المعاصي والفواحش، وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في ذلك: أما الأبرار فإنهم يغتبطون بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة. وأما الفجار فإنهم يعرفون رافة ربهم^(١) وتطوّل له عليهم بالسلامة من غير استحقاقهم^(٢) فيحضّهم ذلك على الرافة بالناس والصفح عمّن أساء إليهم.

و لعلّ قائلاً يقول: إن هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم، فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم فيكون فيه تلفهم، كمثل الحرق والفرق والسيل والخسف؛ فيقال لهم: إن الله جعل في هذا أيضاً صلاحاً للصنفين جميعاً: أما الأبرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها؛ وأما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها. وجملة القول أن الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأمور كلّها إلى الخيرة والمنفعة فكما أنه إذا قطعت الريح شجرة أو قطعت نخلة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضرور من المنافع فكذلك يفعل المدبّر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيرها جميعاً إلى الخيرة والمنفعة.

فإن قال: ولم يحدث على الناس؛ قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي، ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر، فإن هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض^(٣) والدعة^(٤) وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم^(٥) وتنبههم على ما فيه رشدهم، فلو أخلوا منهما لغلوا في الطغيان والمعصية كما على الناس في أوّل الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

(١) وفي نسخة: فإنهم يعرفون رحمة ربهم.

(٢) وفي نسخة: من غير استحقاق.

(٣) خفض العيش: سهل وكان هيناً.

(٤) الراحة وخفض العيش.

(٥) وفي نسخة: وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم.



وَمَا يَنْتَقِدهُ الْجَاهِدُونَ لِلْعَمَدِ وَالتَّقْدِيرِ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ فَإِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُ
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مَخْلُودِينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، مَبْرُومِينَ مِنَ الْآفَاتِ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَسَاقَ
هَذَا الْأَمْرُ إِلَى غَايَتِهِ فَيَنْظُرَ مَا مَحْصُولُهُ أَفَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ الْعَالَمَ وَدَخَلَهُ
يَبْقُونَ وَلَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَلَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ تَضِيقُ بِهِمْ حَتَّى تَعُوزَهُمُ الْمَسَاكِنُ وَالْمَزَارِعُ
وَالْمَعَاشُ ؟ فَإِنَّهُمْ وَالْمَوْتَ يَفْنِيهِمْ أَوْ لَا أَوْ لَا يَتَنَافَسُونَ فِي الْمَسَاكِنِ وَالْمَزَارِعِ حَتَّى يَنْشَبَ
بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُرُوبُ وَيَسْفِكُ فِيهِمُ الدَّمَاءَ ، فَكَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ حَالَهُمْ لَوْ كَانُوا يُولَدُونَ
وَلَا يَمُوتُونَ ؟ وَكَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْحَرَصُ وَالشَّرُّ وَ قَسَاوَةُ الْقُلُوبِ ، فَلَوْ وَثِقُوا بِأَنْفُسِهِمْ
لَا يَمُوتُونَ لَمَّا قَنَعَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ ، يَنَالُ ، وَلَا أَفْرَجَ لِأَحَدٍ عَنْ شَيْءٍ ، يَسْأَلُهُ ، وَلَا سَلَا عَنْ
شَيْءٍ ، مِمَّا يَحْدُثُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ كَانُوا يَمْلِكُونَ الْحَيَاةَ وَكُلَّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَمَا قَدْ يَمَلُّ
الْحَيَاةَ مِنْ طَالَ عَمْرُهُ حَتَّى يَتَمَنَّى الْمَوْتَ وَالرَّاحَةَ مِنَ الدُّنْيَا .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُمْ الْمَكَارَهُ وَالْأَوْصَابَ حَتَّى لَا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ
وَلَا يَشْتَاقُوا إِلَيْهِ ، فَقَدْ وَصَفْنَا مَا كَانَ يَخْرِجُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْعَتُوِّ وَالْأَشْرِ الْحَامِلِ لَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ
فَسَادَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا . وَإِنْ قَالُوا : إِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَوَالِدُوا كَيْلَا تَضِيقَ عَنْهُمْ الْمَسَاكِنُ
وَالْمَعَاشُ قِيلَ لَهُمْ : إِذَا كَانَ يَحْرَمُ أَكْثَرَ هَذَا الْخَلْقِ دُخُولَ الْعَالَمِ وَالِاسْتِمْتَاعَ بِنِعْمِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ
فِي الدَّارِ بَيْنَ جَمِيعًا إِذَا لَمْ يَدْخُلِ الْعَالَمَ إِلَّا قَرْنَ وَاحِدًا لَا يَتَوَالِدُونَ وَلَا يَتَنَاسَلُونَ .

فَإِنْ قَالُوا : كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُقَ فِي ذَلِكَ الْقَرْنِ الْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ مِثْلَ مَا خَلَقَ
وَيَخْلُقَ إِلَى انْقِضَاءِ الْعَالَمِ . يُقَالُ لَهُمْ : رَجِعِ الْأَمْرَ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ ضِيقِ الْمَسَاكِنِ وَالْمَعَاشِ
عَنْهُمْ ثُمَّ لَوْ كَانُوا لَا يَتَوَالِدُونَ وَلَا يَتَنَاسَلُونَ لَذَهَبَ مَوْضِعُ الْأَنْسِ بِالْقَرَابَاتِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ
وَالِانْتِصَارِ بِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَوْضِعُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ وَالسَّرُورِ بِهِمْ . فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى
أَنَّ كَلِمًا تَذْهَبُ إِلَيْهِ الْأَوْهَامُ سِوَى مَا جَرَى بِهِ التَّدْبِيرُ خَطَأً وَسَفَاهًا مِنَ الرَّأْيِ وَالْقَوْلِ .
وَلَعَلَّ طَاعِنًا يَطْعَنُ عَلَى التَّدْبِيرِ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى فَيَقُولُ : كَيْفَ يَكُونُ هَهُنَا
تَدْبِيرٌ وَ نَحْنُ نَرَى النَّاسَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ عَزَّ بَزًّا ؟ فَالْقَوِيُّ يُظْلَمُ وَ يَغْصَبُ ، وَ الضَّعِيفُ
يُظْلَمُ وَ يَسْأَمُ الْخُسْفُ ، وَ الصَّالِحُ فَقِيرٌ مَبْتَلَى ، وَ الْفَاسِقُ مَعَافَى مُوسَّعٌ عَلَيْهِ ، وَ مَنْ رَكِبَ
فَاحِشَةً أَوْ ائْتَهَكَ حَرِّمًا لَمْ يَعْجَلْ بِالْعُقُوبَةِ ؛ فَلَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ تَدْبِيرٌ لَجَرَتْ الْأُمُورُ عَلَى

القياس القائم ، فكان الصالح هو المرزوق ، والطالح هو المحروم ، و كان القوي يمنع من ظلم الضعيف ، والمتهتك للمحارم يعاجل بالعقوبة ؛ فيقال في جواب ذلك : إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذي فضل به الإنسان على غيره من الخلق ، و حمل النفس على البر و العمل الصالح احتساباً للثواب وثقة بما وعد الله منه ، و لصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس^(١) بالعصا والعلف ، و يلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسية إلى حد البهائم ، ثم لا يعرف ما غاب ، ولا يعمل إلا على الحاضر ، و كان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنما يعمل الصالحات للرزق والسعة في هذه الدنيا ، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يعف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى يكون أفعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عند الله ، ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها ؛ مع أن هذه الأمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقير والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه ، بل قد تجري على ذلك أحياناً ، والأمر المفهوم ، فقد ترى كثيراً من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير ، و كما يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون ، والأبرار هم المحرومون ، فيؤثرون الفسق على الصلاح ؛ وترى كثيراً من الفساق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم ، كما عوجل فرعون بالغرق ، و بخت نصر بالتيه ، و بليس بالقتل ؛ و إن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير ، فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم ، بل يكون تأخيرهم ما أخروه أو تعجيلهم ما عجلوه داخل في صواب الرأي والتدبير؛ وإذا كانت الشواهد تشهد بقياسهم يوجب أن للأشياء خالقاً حكيماً قادراً فما يمنع أن يدبر خلقه فإنه لا يصح في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلا بما جرى ثلاث خلال : إما عجز ، وإما جهل ، وإما شرارة ؛ وكل هذه محال في صنعة عز وجل

(١) ساس الدواب أى قام عليها وراضها .

وتعالى ذكره وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة ، والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة ، والشريد لا يتناول لخلقها وإنشائها وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لاحالة وإن كان لا تدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فإن كثيراً من تدير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف أسبابه لأنها لا تعرف دخلة أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه وجد قائماً على الصواب والشاهد المحنة . ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فيتبين لك من جهتين أو ثلاث أنه حارٌّ أو بارد ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك ؟ فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخالق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة ؟ وأكثر منها ما لا يحصى كثرة ، لو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال لأنه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان ما يردع الوهم عن التسرع إلى هذه القضية فكيف وكل ما كان فيه إذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء ، إلا وجد ما عليه الخلقة أصح وأصوب منه ؟

بيان قوله **بِإِسْمِهِ** : للاسم الأقدم لعل المراد بالاسم المسمى ، ^(١) أو المراد الاسم الذي أظهره وأثبتته في اللوح قبل سائر الأسماء ، أو المراد الاسم الذي يخص الذات فهو أسبق الأسماء في الاعتبار وأشرفها كما يظهر من الآثار . قوله : والغيب المحظور أي الممنوع عن غيره تعالى إلا من ارتضاه لذلك . قوله : بالعرض قال الفيروز آبادي : عرض الشيء : ظهر ، والعرض : أن يموت الإنسان من غير علة . والاجتياح : الاستيصال . قوله **بِإِسْمِهِ** : ويلدع يقال : لدعته النار أي أحرقتة ، ولدعه بلسانه أي أوجعه بكلام ،

(١) المراد بالاسم هو المسمى لكن لا كما ذكره رحمه الله وأراد بالمسمى الذات بل كما تدل عليه

الاخبار الآتية في أبواب الأسماء الحسنى تحكى عن المصداق المناسب لها ونفس المصداق اسم للذات عزت أساؤه وأن الأسماء الملقوطة في الحقيقة أسماء الأسماء ، لكنه رحمه الله عد هذه الاخبار من التشابهات ولذلك تكلف في أمثال هذه الموارد بما تكلف ؛ وأما المعنيان الاخران فواضح الفساد كيف والامام عليه السلام يوصف هذا الاسم بقوله ذي الجلال والاكرام بعد عطف قوله والنور الاعظم عليه ؛ فتأمل فيه . ط

وفي بعض النسخ بإهمال الأول وإعجام الثاني من لدغ العقرب . ويقال : رثيت لفلان أي رقت له . والمضض محرّكة : وجع المصيبة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إذا كان يكون غير محمود يمكن أن يقرأ إذا بالتنوين وبدونها ، وعلى الثاني يكون خبر كان محذوفاً أي إذا كان الإنسان كذلك .

ثم أعلم أنه ينبغي أن تحمل العصمة المأخوذة في السؤال على غير المعنى المشهور الذي سيأتي تحقيقه في باب عصمة الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بل المراد العصمة بمعنى الإلجاء الذي لم يبق معه اختيار ، ولذا فرّع عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه عدم استحقاق الثواب ، وإلا فالعصمة التي اتصفت بها الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا ينافي ذلك كما سنحققه في مقامه إن شاء الله تعالى . ويمكن أن يقال - على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضاً - بأنه إذا صار هذا عاماً في جميع البشر لا يتأتى في بعض المواد التي لا تستحق ذلك من نفوس الأشرار والفجار إلا بالإلجاء الراجع للاستحقاق . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إلى غاية الكلب والضراوة قال الجوهرى : دفعت عنك كلب فلان أي شره وأذاه ، والكلب أيضاً شبيه بالجنون . وقال : ضرى الكلب بالصيد ضراوة أي تعود . أقول : لما كان السؤال مبنياً على فرض العصمة ظاهراً فتصحيح هذا الجواب في غاية الإشكال وخطر بالبال وجوه :

الأول : أن لا يكون السؤال مبنياً على فرض العصمة بل يكون المراد أنه لما ذكرت أن العصمة تنافي الاستحقاق فنقول : لم يبدل لهم الثواب على أي حال بأن يكلفهم العمل ليستحقوا الثواب إن أرادوا استحقاقه وإلا أعطاهم من غير استحقاق ؟ إذ كثير من الناس يطلبون النعيم بغير استحقاق ولا يكون عليهم في الدنيا والآخرة سخط على المخالفة ، وعلى هذا الجواب ظاهر الانطباق على السؤال كما لا يخفى .

الثاني : أن يكون السؤال مبنياً على فرض العصمة في بعضهم وهم الذين يطلبون الثواب ولا يريدون . حقاؤه كما هو ظاهر السياق ، ويكون حاصل الجواب أنه لو كان المجبور على الخيرات مثاباً فمقتضى العدل أن يكون غير المجبور الطالب للخير والاستحقاق غير معاقب على حال وإلا لكان له الحجّة على ربه بأنك لم تعصمني كما عصمت غيري ، ومنعت عني اللطف بالبلايا والصوارف عن المعاصي في الدنيا ثم تعذّبتني على المعاصي ،

فعلى هذا فلو علم غير المعصومين ذلك لدعتهم الدواعي النفسانية إلى غاية الفساد، وهذا وجه وجهه لكن يحتاج إلى طي بعض المقدمات .

الثالث : أن يكون السؤال مبنياً على ذلك الفرض أيضاً لكن يكون الجواب مبنياً على أنه قد يستلزم المحال نقيضه ، إذ الكلام في هذا النوع من الخلق المسمى بالإنسان الذي اقتضت الحكمة أن يكون قدر كبت فيه أنواع الشهوات والدواعي فلو فرضته على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنساناً وملكاً وهما لا يجتمعان ، فعلى هذا يلزمه أيضاً لفرض كونه إنساناً أن يدعو عدم خوف العقاب والفراغ إلى الأشر والبطر وأنواع المعاصي ، و حاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأول إلى جواب آخر لا يرد عليه السؤال على غاية اللطف والدقة .

والردع : الكف والمنع . وقوله : يغتبطون على البناء المفاعل من الاغتباط وهو حسن الحال بحيث يتمني غيره حاله . والحض : الحث والتحريض . وتمحيص الأوزار : تنقيصها أو إزالتها . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فإن قال : ولم يحدث على الناس ؟ أقول : لما كان آخر الكلام موهماً لأن هذه الأمور بعد حدوثها يصيرها الله تعالى إلى الحكمة والصلاح سأل : ثانياً ما السبب في أصل الحدوث حتى يحتاج إلى أن يجعله الله صلاحاً؟ ويحتمل أن يكون مراده أننا علمنا أن في وجودها صلاحاً فهل في عدمها فساد؟ والجواب على التقديرين ظاهر . وقال الفيروز آبادي : عوز الشيء كفرح : لم يوجد ، وأعوزه الشيء . احتاج إليه ، والدهر أحوجه . وقال : تناشبا : تضاموا وتعلق بعضهم ببعض ، ونشبه الأمر كلزم زنة ومعنى . وقال : افرجوا عن الطريق والقتيل : انكشفوا ، وعن المكان : تركوه . انتهى . والمراد هنا عدم التخلية بين أحد وبين ما يريد . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ولا سلا عن شيء أي لا ينسى ويتسلى عن شيء من المصائب إذ بتذكري الموت تزول شدة المحن ، من قولهم : سلا عن الشيء أي نسيه . وقال الجوهري : بزّه يبرّه بزاً : سلبه ، وفي المثل من عز بز أي من غلب أخذ السلب . وقال : سلمه خسفاً وخسفاً بالضم أي أولاه ذلاً . وقال الفيروز آبادي : لمع بيده : أشار . وقال تفاقم الأمر : عظم . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وبخت نصر بالتيه أقول : لعله إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرخين أن ملكاً من الملائكة لطم بخت نصر لطمته

ومسخته وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان ، ثم ردّ الله تعالى إلى صورة الإنسان وأعاد إليه ملكه فلما عاد إلى ملكه أراد قتل دانيال فقتله الله على يد واحد من غلماناه ؛^(١) وقيل في سبب قتله : إن الله أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه فكان لا يقرب ولا يسكن حتى يدق رأسه فمات من ذلك . وبلبيس غير معروف عند المؤرخين . والتطاول هنا مبالغة في الطول بمعنى الفضل والإحسان . ودخلة الرجل مثلثة : نيته ومذهبه وجمع أمره وبطاطته . قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : والشاهد الملحنة أي بالشاهد يمكن امتحان الغائب .

و اعلم يا مفضل إن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم «قوسموس»^(٢) وتفسيره «الزينة» وكذلك سمته الفلاسفة و من ادعى الحكمة أفكانوا يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير والنظام ؟ فلم يرضوا أن يسموه تقديرا ونظاما حتى سمّوه زينة ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء .

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطئ ، ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئا منه مهملا . بل أعجب من أخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا أسننتهم بالذم للخالق جلّ وعلا . بل العجب من المخذول «مانني» حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحلیم الكريم . وأعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا أن يدرك بالحس ما لا يدرك بالعقل فلما أعوزهم^(٣) ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب فقالوا : ولم لا يدرك بالعقل ؟ قيل : لأنه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته فإنك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت أن راميا رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لأن العقل هو الذي يميزه فيعلم أن الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه ؛ أفلا ترى كيف وقف البصر

(١) سنشير ان شاء الله إلى ما في هذا النقل من الاختلاط والوهن .

(٢) وفي نسخة : فرسوس .

(٣) أعوزه أي أعجزه وصعب عليه نبه .



على حدّه فلم يتجاوزه ؟ فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل أقرّ أن فيه نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس ، وعلى حسب هذا أيضاً نقول : إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته .

فإن قالوا : فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به ؟ قيل لهم : إنّما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه ، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ، ولم يكلفوا الإحاطة بصفته كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أطويل هو أم قصير ، أبيض هو أم أسمر^(١) وإنما يكلفهم الإذعان بسلطانه والانتهاه إلى أمره ؛ ألا ترى أن رجلاً لو أتى باب الملك فقال : أعرض عليّ نفسك حتى أتقصي معرفتك^(٢) وإلا لم أسمع لك كان قد أحلّ نفسه العقوبة ، فكذا القائل : إنّه لا يقرب بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرّض لسخطه .

فإن قالوا : أليس قد نصفه فنقول : هو العزيز الحكيم الجواد الكريم ؟ قيل لهم : كلّ هذه صفات إقرار ، وليست صفات إحاطة ، فإننا نعلم أنّه حكيم ولا نعلم بكنهه ذلك منه^(٣) وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها ، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه ، بل فوق هذا المثل بما لا نهاية له لأنّ الأمثال كلّها تقصر عنه ولكنها تقود العقل إلى معرفته .

فإن قالوا : ولم يختلف فيه ؟ قيل لهم : لقصر الأوهام عن مدى عظمتها^(٤) وتعدّيها أفذارها في طلب معرفته ، وإنّها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك ومادونه ، فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ، ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم : هو فلك أجوف مملوء ناراً ، له فمٌ يجيش بهذا الوهج والشعاع ؛ وقال آخرون : هو سحابة ؛ وقال آخرون : هو جسم زجاجي يقبل نارياً في العالم و يرسل عليه شعاعها ؛ وقال آخرون : هو صفو

(١) السمرة لون بين السواد والبياض

(٢) تقصي واستقصى المسألة : بلغ النهاية في البحث عنها .

(٣) وفي نسخة : ولا يحيط بكنهه ذلك منه .

(٤) المدى الغاية والمنتهى .



لطيف ينعدم من ماء البحر؛ وقال آخرون : هو أجزاء كثيرة مجتمععة من النار؛ وقال آخرون : هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع . ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم : هي بمنزلة صفيحة عريضة ؛ وقال آخرون : هي كالكرة المدحرجة . وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء ؛ وقال آخرون : بل هي أقل من ذلك ؛ وقال آخرون : هي أعظم من الجزيرة العظيمة . وقال أصحاب الهندسة : هي أضعاف الأرض مائة وسبعون مرة . ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها ، وإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدر كها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم؟ .

فإن قالوا : ولم استتر؟ قيل لهم : لم يستتر بحيلة يخلص إليها كمن يحتجب عن الناس بالأبواب والستور ، وإنما معنى قولنا : استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام ، كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن إدراكها بالنظر .

فإن قالوا : ولم لطف؟ - وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - كان ذلك خطأً من القول لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مبائناً لكل شيء ، متعالياً عن كل شيء ؛ سبحانه و تعالى .

فإن قالوا : كيف يعقل أن يكون مبائناً لكل شيء متعالياً؟ قيل لهم : الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه : فأولها أن ينظر أوجود هو أم ليس بموجود والثاني أن يعرف ماهو في ذاته وجوهره . والثالث أن يعرف كيف هو وما صفته ؛ والرابع أن يعلم لماذا هو ولا يسه علة ؛ فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط . فإذا قلنا : كيف وما هو ؟ فممتنع علم كنهه و كمال المعرفة به ؛ وأما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لأنه جل ثناؤه علة كل شيء و ليس شيء بعلة له ؛ ثم ليس علم الإنسان بأنه موجود يوجب له أن يعلم ماهو كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ماهي وكيف هي ، وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة .

فإن قالوا : فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتى كأنه غير معلوم ! قيل لهم : هو كذلك من جهة إضرار العقل معرفة كنهه والإحاطة به ، وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالأوضح لا يخفى على أحد ، وهو من جهة كالأغمض لا يدركه أحد ، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهد ومستور بذاته .

فأما أصحاب الطبائع فقالوا : إن الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا تتجاوز عما فيه تمام الشيء ، في طبيعته ، وزعموا أن الحكمة تشهد بذلك .^(١) فقيل لهم : فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلامجاوزة لها ، وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب ، فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقرُّوا بما أنكروا لأن هذه هي صفات الخالق ، وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل لخالق الحكيم .

وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتقدير في الأشياء وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق ، وكان مما احتجُّوا به هذه الآفات التي تلد غير مجرى العرف والعادة كالإنسان يولد ناقصاً أو زائداً إصبغاً ، أو يكون المولود مشوهاً^(٢) مبدل الخلق ، فجعلوا هذا دليلاً على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير ، بل بالعرض كيف ما اتفق أن يكون . وقد كان أرسطو طاليس ردَّ عليهم فقال : إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء ، يأتي في الفرط مرة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها ، وليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً .

و أنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالإنسان يولد وله يداً ورجلان وخمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس ، فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنه لعلته تكون في الرحم أو في المادة التي ينشأ منها الجنين ، كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعه فيعوق دون ذلك^(٣)

(١) وفي نسخة : وزعموا أن المعنة تشهد بذلك .

(٢) أي مقبهاً .

(٣) عاقه يعوقه عن كذا صرفه ونبطه وأخره عنه . والمائق : كل ماعاقك وشغلك .

عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء ، فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوهاً ويسلم أكثرها فيأتي سويّاً لاعلة فيه ، فكما أن الذي يحدث في بعض الأعمال الأعراس^(١) لعلة فيه لا توجب عليها جميعاً الإهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض والاتفاق ، فقول من قال في الأشياء : إن كونها بالعرض و الاتفاق من قبل أن شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ و خطل .

فإن قالوا : ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء ؟ قيل لهم : ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعة ، ولا يمكن أن يكون سواه كما قال قائلون ، بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم ، إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف ، ويزول أحياناً عن ذلك لأعراض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها وإتمام عملها تبارك الله أحسن الخالقين .

يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك ، وكن لربك من الشاكرين ولا لآله من الحامدين ، ولأوليائه من المطيعين ، فقد شرحت لك من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلاً من كثير ، وجزءاً من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر به . فقلت : بمعونتك يا مولاي أقوى على ذلك وأبلغه إن شاء الله ؛ فوضع يده على صدري فقال : احفظ بمشيئة الله ولا تنس إن شاء الله .

فخررت مغشياً علي فلما أفقت قال : كيف ترى نفسك يا مفضل ؟ فقلت : قد استغنيت بمعونة مولاي و تأييده عن الكتاب الذي كتبه ، وصار ذلك بين يدي كأنما أقرأه من كفي ، ولمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقه .

فقال : يا مفضل فرغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسا لقي إليك من علم ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق الله بينهما ، وفيهما من عجائب خلقه و أصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم و مراتبهم إلى سدرة المنتهى ، وسائر الخلق من

(١) وفي نسخة : فكما ان الذي يحدث في بعض الاعمال للاعراض .

الجنّ والإِنس إلى الأرض السابعة السفلى وماتحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء ؛ انصرف إذاشئت مصاحباً مكلوفاً^(١) فأنت منّا بالمكان الرفيع ، وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ، ولا تسألن عما وعدتك حتى أحدث لك منه ذكراً .

قال المفضل : فانصرفت من عند مولاي بمالم ينصرف أحد بمثله .

بيان : جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشاً : غلا . قوله ﷺ : قال : أصحاب الهندسة أقول : المشهورين متأخريهم أن جرم الشمس مائة وستة وستون مثلاً وربع و ثمن لجرم الأرض ، وما ذكره ﷺ لعله كان مذهب قدمائهم مع أنه قريب من المشهور ، والاختلاف بين قدمائهم و متأخريهم في أمثال ذلك كثير . قوله ﷺ : الحقّ الذي أي الأمور الحقّة الثابتة التي تطلب معرفتها من بين الأشياء . و في بعض النسخ لحقّ أي ما يحقّ و ينبغي أن تطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه . و قال الجوهرى : قولهم لقيته في الفرط بعد الفرط أي الحين بعد الحين . و الصدى بالفتح : العطش .

ثمّ اعلم أنّ بعض تلك الفقرات تؤمّي إلى تجرّد النفس : والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم أجمعين .^(٢)

(١) أي محفوظاً .

(٢) بل إلى وجود أمور أخرى غير النفس مجردة كما يشعر به قوله : وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة ومنه يظهر أن وصف شيء بأنه روحاني أو لطيف في الأخبار يشعر بتجرده . ط

﴿باب ٥﴾

الخبر المروى عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالاهليلجة

حدّثني محرز بن سعيد النحويّ بدمشق قال : حدّثني محمد بن أبي مسهر^(١) بالرملة ، عن أبيه ، عن جدّه قال : كتب المفضل بن عمر الجعفيّ إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يُعلمه أنّ أقواماً ظهرُوا من أهل هذه الملة يجحدون الربويّة ، ويجادلون على ذلك ، ويسأله أن يردّ عليهم قولهم ، ويحتجّ عليهم فيما ادّعوا بحسب ما احتجّ به على غيرهم . فكتب أبو عبد الله عليه السلام :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أما بعد وفقنا الله وإياك لطاعته ، وأوجب لنا بذلك رضوانه برحمته ؛ وصل كتابك تذكرفيه ما ظهر في ملتنا ، و ذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربويّة قد كثرت عدّتهم و اشتدّت خصومتهم ، و تسأل أن أصنع للردّ عليهم والنقض لما في أيديهم كتاباً على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ، ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصّة والعامّة فكان من نعمه العظام وآياته الجسام التي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيّته ، وأخذهم ميثاقهم بمعرفته ، وإنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور ، ولم يدع لهم ولا شيء من خلقه حاجة إلى من سواه ، واستغنى عنهم ، وكان الله غنياً حميداً . ولعمري ما أتى الجهال من قبل ربّهم و أنّهم ليرون الدلالات الواضحات و العلامات البيّنات في خلقهم ، و ما يعاينون من ملكوت السماوات والأرض و الصنع العجيب المتقن الدالّ على الصانع ، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي ، وسهلوا لها سبيل الشهوات ، فغلبت الأهواء على قلوبهم ، واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم ، و كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين . و العجب من مخلوق يزعم أنّ الله يخفي على عباده و هو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله ، و تأليف يبطل حجّته^(٢)

(١) وفي نسخة : محمد بن أبي مشهر .

(٢) وفي نسخة : وتأليف يبطل جوده .



ولعمري لو تفكروا في هذه الأمور العظام لعابنوا من أمر التركيب البين ، ولطف التدبير الظاهر ، ووجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن ، ثم تحوّلها من طبيعة إلى طبيعة ، وصنّعة بعد صنّعة ، ما يدلّهم ذلك على الصانع فإنّه لا يخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدلّ على أنّ له خالقاً مدبراً ، وتألّف بتدبير يهدي إلى واحد حكيم .

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتاباً كنت نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار ، وذلك أنّه كان يحضرنى طبيب من بلاد الهند ، وكان لا يزال ينازعني في رأيه ، ويجادلني على ضلّالته ، فبينما هو يوماً يذقّ إهليلجة ليخلطها دواءً احتجت^(١) إليه من أدويته ، إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادّعائه أنّ الدنيا لم تنزل ولا تزال شجرة ثابتة وأخرى تسقط ، نفس تولد وأخرى تتلف ، و زعم أنّ انتحالي المعرفة لله تعالى دعوى لا بينة لي عليها ، ولا حجة لي فيها ، وأنّ ذلك أمر أخذه الآخر عن الأول ، والأصغر عن الأكبر ، وأنّ الأشياء المختلفة والمؤتلفة والباطنة والظاهرة إنّما تعرف بالحواس الخمس : نظر العين ؛ وسمع الأذن ؛ وشمّ الأنف ؛ وذوق الفم ؛ ولمس الجوارح ؛ ثمّ قاد^(٢) منطقته على الأصل الذي وضعه فقال : لم يقع شيء من حواسي على خالق يؤدّي إلى قلبي ، إنكاراً لله تعالى .

ثمّ قال : أخبرني بمّ تحتاج في معرفة ربك الذي تصف قدرته و ربوبيته ، و إنّما يعرف القلب الأشياء كلّها بالدلالات الخمس التي وصفت لك ؛ قلت : بالعقل الذي في قلبي ، و الدليل الذي أحتجّ به في معرفته .

قال : فأنتى يكون ما تقول وأنت تعرف أنّ القلب لا يعرف شيئاً بغير الحواس الخمس ؛ فهل عاينت ربك ببصر ، أو سمعت صوته بأذن ، أو شممتة بنسيم ، أو ذقتة بفم ، أو مسسته بيد فأدّى ذلك المعرفة إلى قلبك ؛ قلت : أرايت إذ أنكرت الله وجعدته^(٣)

(١) وفي نسخة : احتاج .

(٢) قاد الدابة : مشى أمامها آخذاً بقيادها .

(٣) وفي نسخة : إذا أنكرت الله وجعدته .



- لأنك زعمت أنك لاتحسّه بحواسك التي تعرف بها الأشياء - وأقررت أنا به هل بدؤ من أن يكون أحدنا صادقاً والآخر كاذباً؟ قال : لا .

قلت : أرايت إن كان القول قولك فهل يخاف عليّ شيء مما أخوفك به من عقاب الله؟ قال : لا .

قلت : أفرأيت إن كان كما أقول والحق في يدي ألسنت قد أخذت فيما كنت أحاذر من عقاب الخالق بالثقة وأنتك قد وقعت بجحودك وإنكارك في الهلكة؟ قال : بلى .
قلت : فأيتنا أولى بالحزم و أقرب من النجاة؟ قال : أنت ، إلا أنك من أمرك على ادعاء و شبهة ، و أنا على يقين وثقة ، لأنني لأرى حواسي الخمس أدركته ، و ما لم تدركه حواسي فليس عندي بموجود .

قلت : إنه لما عجزت حواسك عن إدراك الله أنكركته ، وأنا لما عجزت حواسي عن إدراك الله تعالى صدقت به .

قال : وكيف ذلك؟ قلت : لأن كل شيء جرى فيه أثر تركيب أجسم ، أو وقع عليه بصر ليلون فما أدركته إلا بصاروناته الحواس فهو غير الله سبحانه لأنه لا يسببه الخلق ، وأن هذا الخلق ينتقل بتغيير وزوال ، و كل شيء أشبه التغيير والزوال فهو مثله ، وليس المخلوق كالخالق ولا المحدث كالمحدث .

شرح : قوله ﷺ : والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة أي النعمة التي يحمدونها ويقربها الخاص والعام لنا وهو العلم ، أو النعم التي شملت الخاص والعام كما سيفصله ﷺ بعد ذلك . قوله ﷺ : ما أتى الجهال أي ما أتاهم الضرر والهلاك إلا من قبلهم . قال الفيروز آبادي : أتى كعنى أشرف عليه العدو . وقال الجزري : في حديث أبي هريرة : في العدوى إنني قلت أتيت . أي ذهبت وتغيرت عليك حسك فتوهمت ما ليس بصحيح صحيحاً . قوله ﷺ : استحوذ الشيطان أي غلب و استولى . قوله ﷺ : و صنعة أي احسان ، ويحتمل أن يراد بها هنا الخلقة المصنوعة . قوله ﷺ : لجسم بفتح اللام أي البتة هو جسم . وكذا قوله : للون . ويدل على أن التركيب الخارجي إنما يكون في الجسم و أن المبصر بالذات هو اللون . قوله ﷺ : أشبه التغيير أي المتغير ، أو ذا التغيير بتقدير مضاف .

معتن : قال : إن هذا لقول ، ولكنني لمنكر ما لم تدركه حواسي فتؤدبه إلى قلبي ؛ فلما اعتصم بهذه المقالة ولزم هذه الحجّة قلت : أمّا إذ أبيت إلا أن تعتصم بالجهالة ، وتجعل المحاجزة حجّة فقد دخلت في مثل ما عبت وامثلت ما كرهت ، حيث قلت : إنني اخترت الدعوى لنفسني لأن كل شيء لم تدركه حواسي عندي بلا شيء .

قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لأنك تقمت على الأدعاء و دخلت فيه فادّعت أمراً لم تحط به خيراً ولم تقله علماً فكيف استجزت لنفسك الدعوى في إنكارك الله ، ودفعك أعلام النبوة و الحجّة الواضحة وعبتها علي ؟ أخبرني هل أحطت بالجهات كلها وبلغت منتهاها ؟ قال : لا . قلت : فهل رقيت إلى السماء التي ترى ؟ أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في أقطارها ؟^(١) أو هل خضت في غمرات البحور^(٢) و اخترقت نواحي الهواء فيما فوق السماء وتحتها إلى الأرض وما أسفل منها فوجدت ذلك خلافاً من مدبر حكيم عالم بصير ؟ قال : لا . قلت : فما يدريك لعلّ الذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تدركه حواسك ولم يحط به علمك .

قال : لأدري لعلّ في بعض ما ذكرت مدبراً ، وما أدري لعلّه ليس في شيء من ذلك شيء ، قلت : أمّا إذ خرجت من حدّ الإنكار إلى منزلة الشك فإني أرجو أن تخرج إلى المعرفة .

قال : فإنما دخل عليّ الشك لسؤالك إني عمالم يحط به علمي ، ولكن من أين يدخل عليّ اليقين بما لم تدركه حواسي ؟ قلت : من قبل إهليلجتك هذه . قال : ذاك إذا أثبت للحجّة ، لأنّها من آداب الطبّ الذي أذعن بمعرفته^(٣) قلت : إنّما أردت أن آتيك به من قبلها لأنّها أقرب الأشياء إليك ، ولو كان شيء أقرب إليك منها لآتيك من قبله ،^(٤) لأنّ في كل شيء أثر تركيب و حكمة ، وشاهداً يدلّ على

(١) وفي نسخة : فدرت في أقطارها .

(٢) وفي نسخة : هل غصت في غمرات البحور .

(٣) وفي نسخة : لأنها من أداة الطب الذي ادعى معرفته .

(٤) وفي نسخة : لآبأتك من قبله .



الصنعة الدالة على من صنعها ولم تكن شيئاً ، و يهلكها حتى لا تكون شيئاً . قلت : فأخبرني هل ترى هذه إهليلجة ؟ قال : نعم .

قلت : أفترى غيب ما في جوفها ؟ قال : لا . قلت : أفتشهد أنها مشتملة على نواة ولا تراها ؟ قال : ما يدريني لعل ليس فيها شيء . قلت : أفترى أن خلف هذا القشر من هذه الإهليلجة غائب لم تره من لحم أو ذي لون ؟ قال : ما أدري لعل ما ثم غير ذي لون ولحم . قلت : أفترى أن هذه الإهليلجة التي تسميها الناس بالهند موجودة ؟ لاجتماع أهل الاختلاف من الأمم على ذكرها . قال : ما أدري لعل ما اجتمعوا عليه من ذلك باطل ! قلت : أفترى أن الإهليلجة في أرض تنبت ؟ قال : تلك الأرض وهذه واحدة وقد رأيتها . قلت : أفما تشهد بحضور هذه الإهليلجة على وجود ما غاب من أشباهها ؟ قال : ما أدري لعله ليس في الدنيا إهليلجة غيرها . فلما اعتصم بالجهالة قلت : أخبرني عن هذه الإهليلجة أتقر أنها خرجت من شجرة ، أو تقول : إنها هكذا وجدت ؟ قال : لا بل من شجرة خرجت . قلت : فهل أدركت حواسك الخمس ما غاب عنك من تلك الشجرة ؟ قال : لا . قلت : فما أدراك إلا قد أقررت بوجود شجرة لم تدركها حواسك . قال : أجل ولكني أقول : إن الإهليلجة والأشياء المختلفة^(١) شيء لم تنزل تدرك ، فهل عندك في هذا شيء ، ترد به قولي ؟ قلت : نعم أخبرني عن هذه الإهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفتها قبل أن تكون هذه الإهليلجة فيها ؟ قال : نعم . قلت : فهل كنت تعاین هذه الإهليلجة ؟ قال : لا . قلت : أفما تعلم أنك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الإهليلجة ، ثم عدت إليها فوجدت فيها الإهليلجة أفما تعلم أنه قد حدث فيها ما لم تكن ؟ قال ما أستطيع أن أنكر ذلك ولكني أقول : إنها كانت فيها متفرقة . قلت : فأخبرني هل رأيت تلك الإهليلجة التي تنبت منها شجرة هذه الإهليلجة قبل أن تغرس ؟ قال : نعم . قلت : فهل يحتمل عقلك أن الشجرة التي تبلغ أصلها وعروقها وفروعها ولحاؤها وكل ثمرة جنيت ،^(٢) و ورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الإهليلجة ؟ قال : ما

(١) وفي نسخة : والاشياء المتوتلفة

(٢) جنى الثمر : تناوله من شجرته .



يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب . قلت : أقررت أنّها حدثت في الشجرة ؟ قال : نعم و لكنني لا أعرف أنّها مصنوعة فهل تقدر أن تقرّ رني بذلك ؟ قلت : نعم أرايت أنّي إن أريتك تديراً أتقرّ أنّ له مدبراً ، وتصويراً أنّ له مصوراً ؟ . قال : لا بدّ من ذلك .

قلت : ألسنت تعلم أنّ هذه الإهليلجة لحم ركب على عظم فوضع في جوف متصل^(١) بغصن مرّ كعب على ساق يقوم على أصل فيقوى بعروق من تحتها على جرم متصل ببعض ببعض ؟ قال : بلى . قلت : ألسنت تعلم أنّ هذه الإهليلجة مصوّرة بتقدير وتخطيط ، وتأليف وتركيب وتفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء ، به طبق بعد طبق وجسم على جسم ولون مع لون ، أبيض في صفرة ، ولين على شديد^(٢) ، في طبائع متفرّقة ، وطرائق مختلفة ، و أجزاء مؤتلفة مع لحاء تسقيها ، وعروق يجري فيها الماء ، و ورق يسترها وتقيها من الشمس أن تحرقها ، ومن البرد أن يهلكها ، والريح أن تدبّلها؟^(٣) قال : أفليس لو كان الورق مطبقاً عليها كان خيراً لها ؟ قلت : الله أحسن تقديرأ لو كان كما تقول لم يصل إليها ريح يروّحها ، ولا برد يشدّها ، ولعفنت عند ذلك ، ولولم يصل إليها حرّ الشمس لما نضجت ، ولكن شمس مرّة ورياح مرّة وبرد مرّة قدّ الله ذلك بقوة لطيفة ودبّره بحكمة بالغة .

قال : حسبي من التصوير فسّر لي التدبير الذي زعمت أنّك تريه . قلت : أرايت الإهليلجة قبل أن تعقد إذ هي في قمعها ماء بغير نواة ولا لحم ولا قشر ولا لون ولا طعم ولا شدة ؟ قال : نعم . قلت : أرايت لو لم يرفق الخالق ذلك الماء الضعيف الذي هو مثل الخرداة في القلّة والذلّة ولم يقوّه بقوّته ويصوّره بحكمته ويقدّره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على أن يكون في قمعه غير مجموع بجسم وتمع وتفصيل ؟ فإنّ زاد زاد ماءً متراكباً غير مصوّر ولا مخطّط ولا مدبّر بزيادة أجزاء ولا تأليف أطباق . قال : قد أريتني من تصوير شجرتها وتأليف خلقتها وحمل ثمرتها وزيادة أجزائها وتفصيل تركيبها أوضح

(١) وفي نسخة : موضوع على جرم متصل .

(٢) في نسخة : ولين مع لين ولين على شدة .

(٣) ذبل النبات . قل ماؤه وذهب نضارته .



الدلالات ، و أظهر البيّنة على معرفة الصانع ، ولقد صدّقت بانّ الأشياء مصنوعة ، و لكنني لأدري لعلّ الإهليلجة والأشياء صنعت أنفسها ؟ قلت : أولست تعلم أنّ خالق الأشياء والإهليلجة حكيم عالم بما عاينت من قوّة تدبيره ؟ قال : بلى . قلت : فهل ينبغي للذي هو كذلك أن يكون حدثاً ؟ قال : لا . قلت : أفلمست قد رأيت الإهليلجة حين حدثت وعاينتها بعد أن لم تكن شيئاً ثمّ هلكت كأن لم تكن شيئاً ؟ قال : بلى ، وإنّما أعطيتك أنّ الإهليلجة حدثت ولم أعطك أنّ الصانع لا يكون حادثاً لا يخلق نفسه . قلت : ألم تعطني أنّ الحكيم الخالق لا يكون حدثاً ، وزعمت أنّ الإهليلجة حدثت ؟ فقد أعطيتني أنّ الإهليلجة مصنوعة ، فهو عزّ وجلّ صانع الإهليلجة ، وإن رجعت إلى أنّ تقول : إنّ الإهليلجة صنعت نفسها ودبّرت خلقها فما زدت أن أقرت بما أنكرت ، ووصفت صانعاً مدبّراً أصبت صفته ، و لكنّك لم تعرفه فسمّيته بغير اسمه قال : كيف ذلك ؟ قلت : لأنّك أقرت بوجود حكيم لطيف مدبّر ، فلمّا سألتك من هو ؟ قلت : الإهليلجة . قد أقرت بالله سبحانه ، و لكنّك سمّيته بغير اسمه ، ولو عقلت و فكرت لعلمت أنّ الإهليلجة أنفست قوّة من أن تخلق نفسها ، وأضعف حيلة من أن تدبّر خلقها .

قال : هل عندك غير هذا ؟ قلت : نعم ؛ أخبرني عن هذه الإهليلجة التي زعمت أنّها صنعت نفسها ودبّرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة ، صغيرة القدرة ، ناقصة القوّة ، لا تمتنع أن تكسر وتعصر وتؤكل ؟ وكيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرّة قبيحة المنظر لابهاء لها ولا ماء ؟ قال : لأنّها لم تقو إلا على ما صنعت نفسها أولم تصنع إلا ما هويت . قلت : أمّا إذ أبيت إلا التماذي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون أو بعد أن كانت ؟ فإن زعمت أنّ الإهليلجة خلقت نفسها بعد ما كانت فإنّ هذا لمن أبين المحال ؛ كيف تكون موجودة مصنوعة ثمّ تصنع نفسها مرّة أخرى ؟ فيصير كلامك إلى أنّها مصنوعة مرّتين ؛ ولأن قلت : إنّها خلقت نفسها و دبّرت خلقها قبل أن تكون إنّ هذا من أوضح الباطل وأبين الكذب ؛ لأنّها قبل أن تكون ليس بشيء ، فكيف يخلق لأشياء شيئاً ؟ وكيف تعيب قولني : إنّ شيئاً يصنع لا شيئاً ، ولا تعيب قولك : إنّ لأشياء يصنع لأشياء ؟ فانظر أيّ القولين أولى بالحق ؟ قال :

قولك . قلت : فما يمنعك منه ؟ قال : قد قبلته واستبان لي حقه وصدقته بأن الأشياء المختلفة والإهليلجة لم يصنعن أنفسهن ، ولم يدبرن خلقهن ، ولكنه تعرض لي أن الشجرة هي التي صنعت الإهليلجة لأنها خرجت منها . قلت : فمن صنع الشجرة ؟ قال : الإهليلجة الأخرى ! قلت : اجعل لكلامك غاية أنتهي إليها فإما أن تقول : هو الله سبحانه فيقبل منك ، وإما أن تقول : الإهليلجة فنسألك .

قال : سل . قلت : أخبرني عن الإهليلجة هل تنبت منها الشجرة إلا بعدما ماتت وبليت وبادت ؟ قال : لا . قلت : إن الشجرة بقيت بعد هلاك الإهليلجة مائة سنة ، فمن كان يحميها ويزيد فيها ، ويدبر خلقها ويرببها ، وينبت ورقها ؟ مالك بد من أن تقول : هو الذي خلقها ، وإن قلت : الإهليلجة وهي حية قبل أن تهلك وتبلى وتصير تراباً ، وقد ربت الشجرة وهي ميتة أن هذا القول مختلف . قال : لا أقول : ذلك . قلت أفتر بأن الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك ؟ قال : إنني من ذلك على حد وقوف ما أتخلص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر . قلت : أمّا إذ أبيت إلا الجهالة وزعمت أن الأشياء لا يدرك إلا بالحواس فإني أخبرك أنه ليس للحواس دلالة على الأشياء ، ولا فيها معرفة إلا بالقلب ، فإنه دليلها ومعرفها الأشياء التي تدعي أن القلب لا يعرفها إلا بها .

شرح : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وامثلت قال الفيروز آبادي : امثل طريقته : تبعها فلم يعدها . قوله : نعت علي أي عبت وكرهت . قوله : من لحم قال الفيروز آبادي : لحم كل شيء لبه . قوله تلك الأرض أي أشار إلى الأرض ، وقال أقر بوجود هذه الأرض التي أرى ، والإهليلجة الواحدة التي في يدي . قوله : كانت فيها متفرقة لعله اختار مذهب إنكساغورس ومن تبعه من الدهرية القائلين بالكمون والبروز ، وأن كل شيء كامن ؛ ويؤمى إليه جوابه . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : في قمعها قال الفيروز آبادي : القمع محرّكة : بشرة تخرج في أصوات الأشجار ، وقال القمع بالفتح والكسر وكعب : ما الترق بأسفل التمرة والبسرة ونحوهما انتهى . وعلى التقديرين استعير لما يبدو من الإهليلجة ابتداءً في شجرها من القشرة الرقيقة الصغيرة التي فيها ماء ، والأول أبلغ . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : غير مجموع بجسم أي هل كان يزيد بغير أن يضم إليه جسم آخر من خارج ، أو قمع آخر مثله ، أو بغير قمعه

أي قلعه وتفصيله أي تفريقه ليدخل فيه شيء، أو يضم إلى شيء. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فإن زاد أي فإن سلم أنه كان يمكن أن يزيد بطبيعته بغير ما ذكر كانت زيادته ماءً متراكباً بعضه فوق بعض فقط كما كان أولاً لا بتخطيط وتصوير وتدبير وتأليف إذ يحكم العقل بديهياً أن مثل تلك الأفاعيل المختلفة المنطبقة على قانون الحكمة لا تصدر عن طبيعة عادمة للشعور والإرادة. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فهل ينبغي إشارة إلى ما يحكم به الوجدان من أن من كان على هذا المبلغ من العلم والحكمة والتدبير لا يكون ممكناً محدثاً محتاجاً في العلم وسائر الأمور إلى غيره، إلا أن يفيض عليه من العالم بالذات، وهو إقرار بالصانع. قوله : ولم أعطك. غفل الهندي عما كان يلزم من اعترافه. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وإن رجعت أي إن قلت : إن الصانع القديم الحكيم هو طبيعة الإهليلجة صنعت هذا الشخص منها فقد أقررت بالصانع وسميته الطبيعة، إذ هي غير حكيم ولا ذات إرادة فقد أقررت بالصانع وأخطأت في التسمية، أو المراد أنك بعد الاعتراف بالخالق الحكيم القديم لو قلت : إنه هذه الإهليلجة فقد أقررت بما أنكرت أي نقضت قولك الأول، وقلت بالنقيضين، ولا تحمل لتصحيحه إلا أن تقول : سميت ما أقررت به بهذا الاسم، وهذا لا يضرنا بعدما تيسر لنا من إقرارك؛ ويحتمل أن يكون هذا كلاماً على سبيل الاستظهار في المجادلة أي إن تنزّلنا عما أقررت به من قدم الحكيم وحدوث الإهليلجة يكفينا إقرارك بكون الخالق حكيماً، إذ معلوم أنها ليست كذلك، فقد سميت الصانع الحكيم بهذا الاسم. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : مفضولة إذ ظاهر أن كثيراً من المخلوقات أفضل وأشرف منها. قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : هو الذي خلقها أي لا بد أن يكون مرببها هو خالقها، فإن قلت : إن الخالق والمربي واحد وهي الإهليلجة خلقت عند كونها حية، وربت بعد موتها فالقول مختلف إذ خلقها تدريجياً، وعند خلق أي مقدار من الشجرة لا بد من انقلاب بعضها شجرة فلم تكن الإهليلجة باقية بعد تمام خلق ذلك المقدار، والخلق والتربية ممزوجان لا يصلح القول بكونها حية عند أحدهما ميتة عند الآخر؛ ويحتمل أن يكون المراد أن القول بأن الخالق والمربي واحد والقول بأن الإهليلجة بعد موتها ربت متنافيان؛ لأن موتها عبارة عن استحالتها بشيء آخر، فالمربي شيء آخر سوى الإهليلجة. وفي بعض النسخ : وقد رأيت الشجرة. قوله :

ما أتخلص أي ما أصل إلى أمر يجري فيه أمرى أي حكمي ، ويمكنني أن أحكم بصحته .
ثم لما علم عَلَيْكَ أن سبب توقفه اقتصاره على حكم الحواس يَتَبَيَّنُ أن الحواس
داخلة تحت حكم العقل ، ولا بد من الرجوع إلى العقل في معرفة الأشياء .

مقن : فقال : أما إذ نطقت بهذا فما أقبل منك إلا بالتخليص والتفحص منه بإيضاح
وبيان وحجة وبرهان . قلت : فأول ما أبدأ به أنك تعلم أنه ربما ذهب الحواس ، أو
بعضها ودبر القلب الأشياء التي فيها المضرّة والمنفعة من الأمور العلانية والخفية فأمر
بها ونهى فنفذ فيها أمره وصح فيها قضاؤه .

قال : إنك تقول في هذا قولاً يشبه الحجّة ، ولكنني أحب أن توضحه لي غير هذا
الإيضاح . قلت : أأست تعلم أن القلب يبقى بعد ذهاب الحواس ؟ قال : نعم ولكن يبقى
بغير دليل على الأشياء التي تدلّ عليها الحواس . قلت : أفأست تعلم أن الطفل تضعه أمه
مضغة ليس تدلّه الحواس على شيء يسمع ولا يبصر ولا يذوق ولا يلمس ولا يشم ؟ قال :
بلى . قلت : فأية الحواس دلّته على طلب اللبن إذا جاع ، والضحك بعد البكاء إذا روى
من اللبن ؟ وأي حواس سباع الطير ولاقط الحب منها دلّها على أن تلقي بين أفرانها
اللحم والحب فتتهوى سباعها إلى اللحم ، والآخرون إلى الحب ؟ وأخبرني عن فراخ طير
الماء أأست تعلم أن فراخ طير الماء إذا طرح في سبحة ، وإذا طرح في فراخ طير البر
غرقت والحواس واحدة ، فكيف انتفع بالحواس طير الماء وأعانتة على السباحة ولم تنتفع
طير البر في الماء بحواسها ؟ وما بال طير البر إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت
طير الماء عن الماء ساعة ماتت ؟ فلا أرى الحواس في هذا إلا منكسرة عليك ، ولا ينبغي ذلك
أن يكون إلا من مدبر حكيم جعل للماء خلقاً وللبر خلقاً .

أم أخبرني ما بال الذرّة التي لاتعابن الماء قطّ تطرح في الماء فتسبح ، وتلقى
الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلم السباحة فيغرق ؟ كيف لم
يدلّمه عقله ولبّه وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسه وصحتها أن يدرك ذلك
بحواسه كما أدركته الذرّة إن كان ذلك إنما يدرك بالحواس ؟ أفليس ينبغي لك أن
تعلم أن القلب الذي هو معدن العقل في الصبي الذي وضعت وغيره ممّا سمعت من الحيوان

هو الذي يهيج الصبي إلى طلب الرضاع ، والطير اللاقط على لقط الحب ، والسباع على ابتلاع اللحم .

قال : لست أجد القلب يعلم شيئاً إلا بالحواس ! قلت : أمّا إذ أبيت إلا النزوع إلى الحواس فإننا لنقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها ، ونجيبك في الحواس حتى يتقرر عندك أنها لا تعرف من سائر الأشياء إلا الظاهر ممّا هو دون الرب الأعلى سبحانه و تعالى ، فأما ما يخفى ولا يظهر فليست تعرفه ، و ذلك أن خالق الحواس جعل لها قلباً احتجّ به على العباد ، وجعل للحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدلّ بها على الخالق سبحانه ، فنظرت العين إلى خلق متصل بعضه ببعض فدلّت القلب على ما عاينت ، وتفكر القلب حين دلّته العين على ما عاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يري ، ولادعائم تمسكها لا تؤخر مرة فتتكشط ، ولا تقدم أخرى فتزول ، ولا تهبط مرة فتدنو ، ولا ترتفع أخرى فتناي ،^(١) لا تتغير لطول الأمد ولا تخلق^(٢) لاختلاف الليالي والأيام ، ولا تتداعى منها ناحية ، ولا ينهار منها طرف ، مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيره لدوران الفلك ، وتنقلها في البروج يوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة ، منها السريع ، ومنها البطيء ، ومنها المعتدل السير ، ثم رجوعها واستقامتها ، وأخذها عرضاً وطولاً ، وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت ، وجري الشمس والقمر في البروج دائبين لا يتغيران في أزمنتها وأوقاتها يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمة يعرف ذوا الألباب أنها ليست من حكمة الإنس ، ولا تفتيش الأوهام ، ولا تقلب التفكير ، فعرف القلب حين دلّته العين على ما عاينت أن لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صناعاً يمسك السماء المنطبعة أن تهوى إلى الأرض وأن الذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء ، ثم نظرت العين إلى ما استقلها من الأرض فدلّت القلب على ما عاينت فعرف القلب بعقله أن ممسك الأرض الممتدة^(٣) أن تزول أو تهوى في الهواء - وهو يري الريشة يرمى بها فتسقط مكانها وهي في الخفة على

(١) أي فتبعد . وفي نسخة : فتناي فلا تری .

(٢) أي لا تبلى ولا تترث .

(٣) وفي نسخة : أن ممسك الارض المسهدة .



ماهي عليه - هو الذي يمسك السماء التي فوقها ، وأنه لولا ذلك لخشفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرمال ، فعرف القلب بدلالة العين أن مدبر الأرض هو مدبر السماء . ثم سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة والميمنة الطيبة ، وعانبت العين ما يقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان ، وتسفى^(١) من ثقال الرمال ، تخلى منها ناحية و تصبها في أخرى ، بلاسائق تبصره العين ، ولا تسمعه الأذن ، ولا يدرك بشيء من الحواس ، وليست مجسدة تلمس ولا محدودة تعين ، فلم تزد العين والأذن وسائر الحواس على أن دللت القلب أن لها صناعاً ، وذلك أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه ، فيعرف أن الريح لم تتحرك من تلقائها وأنها لو كانت هي المتحركة لم تكف عن التحرك ، ولم تهدم طائفة وتعفى أخرى^(٢) ، ولم تقلع شجرة وتدع أخرى إلى جنبها ، ولم تصب أرضاً وتنصرف عن أخرى فلما تفكر القلب في أمر الريح علم أن لها محرراً كما هو الذي يسوقها حيث يشاء ، ويسكنها إذا شاء ، و يصيب بها من يشاء ، و يصرفها ممن يشاء ، فلما نظر القلب إلى ذلك وجدها متصلة بالسماء ، و ما فيها من الآيات فعرف أن المدبر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحركها إذا شاء ، و ممسكها كيف شاء ، و مسلطها على من يشاء . وكذلك دللت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة ، وعرف ذلك بغيرهما من حواسه حين حركته فلما دل الحواس على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها وثقلها ، وطولها وعرضها ، وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك ، وإنما تتحرك في ناحية ولم تتحرك في ناحية أخرى^(٣) وهي ملتحمة جسداً واحداً ، وخلقاً متصلاً بلا فصل ولا وصل ، تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أخرى ؛ فعندها عرف القلب أن محرك ما حرك منها هو ممسك ما أمسك منها ، وهو محرك الريح و ممسكها ، وهو مدبر السماء والأرض وما بينهما ، وأن الأرض لو كانت هي المزلزلة لنفسها لما تزلزلت و لما تحركت ، ولكنه الذي دبّرهما وخلقها حرك منها ما شاء . ثم نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب

(١) سفت وأسفت الريح التراب : ذرته أو حملته .

(٢) عفت الريح المنزل : درسته ومحته . ويمكن أن يكون من أعفى إعفاءً أي تركه .

(٣) وفي نسخة : و إنما تحرك ناحية وتمسك عن أخرى .

المسخر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لاجسد له يلمس بشيء من الأرض و الجبال ، يتخلل الشجرة فلا يحرّك منها شيئاً ، ولا يهصر منها غصناً ، ولا يعلق منها بشيء يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته ، و يحتمل من ثقل الماء و كثرته ما لا يقدر على صفته ، مع ما فيه من الصواعق الصاعدة ، والبروق اللامعة ، والرعد والثلج والبرد والجليد ما لا تبلغ الأوهام صفته ولا تهتدي القلوب إلى كنهه عجائبه ، فيخرج مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرّقه^(١) ويلتحم بعد تزايله ، تفرّقه الرياح^(٢) من الجهات كلّها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها ، يسفل مرّة ويعلو أخرى ، متمسك بما فيه من الماء الكثير الذي إذا أزجاء^(٣) صارت منه البحور ، يمرّ على الأراضي الكثيرة والبلدان المتناحية لا تنقص منه نقطة ،^(٤) حتى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرة بعد قطرة ، وسيلاً بعد سيل ، متتابع على رسله حتى ينقع البرك^(٥) وتمتلي الفجاج ، و تعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها ، مصمخة الأذان لدويها و هديرها^(٦) فتحي بها الأرض الميتة ، فتصبح مخضرة بعد أن كانت مغبرة ، و معشبة بعد أن كانت مجدبة ، قد كسيت ألواناً من نبات عشب ناضرة زاهرة مزينة معاشاً للناس و الأنعام ، فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرّق وذهب حيث لا يعاين ولا يدرى أين تواري ، فادت العين ذلك إلى القلب فعرف القلب أن ذلك السحاب لو كان بغير مدبر و كان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء ، وإن كان هو الذي يرسله لما احتمله أنفي فرسخ أو أكثر ، ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك ، ولما أرسله قطرة بعد قطرة ، بل كان يرسله إرسالاً فكان يهدم البنيان ويفسد النبات ، ولما جاز إلى بلد و

(١) وفي نسخة : ينفجر بعد تسكه .

(٢) وفي نسخة : تصفقه الرياح .

(٣) أزجاء أي دفه برفق .

(٤) وفي نسخة : لا تقطر منه قطرة .

(٥) بكسر الباء وفتح الراء جمع بركة : مستنقع الماء ، العوض .

(٦) وفي نسخة : ومصصة الأذان لدويها وهديرها .



ترك آخر دونه ؛ فعرف القلب بالأعلام المنيرة الواضحة أن مدبر الأمور واحد ، وأنه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدمر اختلاف في التدبير وتناقض في الأمور ، ولتأخر بعض وتقدم بعض ، ولكان تسفل بعض ما قدعلا ، ولعلا بعض ما قد سفل ، ولطلع شيء ، وغاب فتأخر عن وقته أو تقدم ما قبله فعرف القلب بذلك أن مدبر الأشياء ما غاب منها وما ظهر هو الله الأول ، خالق السماء وممسكها ، وفارش الأرض وداحيها ، وصانع ما بين ذلك مما عدنا وغير ذلك مما لم يحص .

وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار دائمين جديدين لا يلبيان في طول كرتهما ، ولا يتغيران لكثرة اختلافهما ، ولا ينقصان عن حالهما ، النهار في نوره وضيائه ، والليل في سواده وظلمته ، يلج أحدهما في الآخر حتى ينتهي كل واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد ، مع سكون من يسكن في الليل ، وانتشار من ينتشر في الليل ، وانتشار من ينتشر في النهار ، وسكون من يسكن في النهار ، ثم الحر والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتى يكون الحر برداً ، والبرد حرّاً في وقته وإبانته ، فكل هذا مما يستدل به القلب على الرب سبحانه وتعالى ، فعرف القلب بعقله أن من دبر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الذي لم يزل ولا يزال ، وأنه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، ولفسد كل واحد منهم على صاحبه .

وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبر من الكتب تصديقاً لما أدركته القلوب بعقولها ، وتوفيق الله إياها ، وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأدت الأذن ما سمعت من اللسان بمقالة الأنبياء إلى القلب .

شرح : قوله ﷻ : ربّما ذهب الحواس إما بالنوم كما سياتي أو بآفة فإن العقل لا محالة يدلّه على أن يشير إلى بعض ما يصلحه ، ويطلب ما يقيمه بأي وجه كان ، على أن ذهاب الحواس الخمس لا ينافي بقاء النطق . قوله ﷻ : إلا النزوع إلى الحواس أي الاشتياق إليها ، والحاصل أننا نوافقك ونستدل لك بما تدلّ عليه الحواس ؛ وإن كنت رفضتها وتركيتها وسلمت فيما مضى كونها معزولة عن بعض الأشياء فنقول : إن حكم

العقل بوجود الصانع إنما هو من جهة مادته الحواس عليه مما نشاهده من آثار صنعه تعالى . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فتكشط الانكشاط : الانكشاف . وقوله تعالى : وإذا السماء كَشِطَّتْ^(١) أي قلعت كما يقلع السقف ، ولعل المراد بالتأخر تأخر ما يحاذي رؤوسنا بحيث يرى ما وراءه ، وبالتقدم أن يتحرك جميعها حركة أينية حتى يخرج من بينها ، ويحتمل أن يكون المراد فيهما معاً إما الأول أو الثاني ، ويكون التعبير عن أحدهما بالانكشاط وعن الآخر بالزوال لمحض تفنن العبارة ، وعلى التقدير المراد بالزوال الزوال عنا وعن محاذاتنا . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ولا يتداعى قال الجوهري : تداعت الحيطان للخراب أي تهدمت . وقال : انهار أي انهدم . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثم رجوعها إشارة إلى ما يعرض للمتحيرة من الرجعة والاستقامة والإقامة . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وأخذها عرضاً وطولاً إشارة إلى كونها تارة عن جنوب المعدل ، وتارة عن شمالها ، وكون بعضها تارة عن جنوب منطقة البروج وتارة عن شمالها ، وإلى حركة المائل في السفليين وعرض الورداب والانحراف والاستواء فيهما ،^(٢) وإلى ميل الذروة والحضيض في المتحيرة . وخنوسها : غيبتها و استتارها تحت شعاع الشمس . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : المنطبة أي المحيطة بجميع الخلق ، وفي بعض النسخ المظلة . و استقلها أي حملها ورفعها . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : متصلة بالسماء أي داخله في ذلك النظام شبيهة بها فيه . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : يلمس بشيء لعل المراد الاصطكاك الذي يحصل منه صوت ، وفي بعض النسخ كشيء ، ويحتمل أن يكون تصحيف يشبه بشيء . وقال الفيروز آبادي : الهصر : الجذب . والإمالة . والكسر . والدفع . والإدناء . وعطف شيء رطب كغصن ونحوه وكسره من غير بينونة . وقال : الجليد : ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد . انتهى . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : أزجاء أي دفعه . والرسل بالكسر : التأنسي والرفق . وينقع بالياء على المعلوم أو بالتاء على المجهول . والبرك كعنب جمع بركة وهي معروفة . والفجاج بالضم : الطريق الواسع بين جبلين ، وبالكسر جمع الفجج بمعناه . والاعتلاء : الارتفاع . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : غاصة أي ممتلئة . والمصمخة لعلها مشتقة من الصماخ أي

(١) التكوير : ١١ .

(٢) في نسخة : وعرض الورداب والانحراف والالتواء فيهما .



تؤدّي الصماخ ؛ و الأظهر مصمّمة . قوله ﷺ : من نبات بالإضافة على أن يكون مصدراً ، أو بالتنوين ليكون عشب بدل بعض له . والإقلاع عن الأمر : الكف عنه . و الكرّ : الرجوع . قوله ﷺ : مع سكون من يسكن في الليل أي جعل في معظم المعمورة طول كلّ منهما وقصره على حدّ محدود لا يتجاوزه لئلا تفوت مصلحة كلّ منهما من السكون في الليل والانتشار في النهار ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أصل الحكمة في حصول الليل والنهار . قوله ﷺ : وانتشار من ينتشر في الليل كالخفاش والبعوضة وسائر ما ينتشر في الليل من الهوام ، و كالخائف والمسافر الذي تصلحه حركة الليل . قوله : إذا ذهب أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كلُّ إله منهم بما خلقه واستبدَّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ؛ ووقع بينهم التجاذب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا إذ يستحيل كونهما واجبين كاملين وهذا شأن الناقص ؛ و يحتمل أن يكون الغرض نفي الآلهة الناقصة الممكنة التي جعلوها شريكاً للواجب تعالى شأنه ؛ وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد . وفي بعض النسخ هكذا : « ولعل بعضهم على بعض ، ولا فسد كلُّ واحد منهم على صاحبه ، وكذلك سمعت الأذن ما أنزل الله من كتبه على ألسن أنبيائه تصديقاً لما أدركته العقول بتوفيق الله إياها وعونه لها إذا أرادت ما عنده أنه الأوّل لا شبيه له ، ولا مثل له ، ولا ضدّ له ، ولا تحيط به العيون ، ولا تدركه الأوهام كيف هو لأنّه لا كيف له وإنّما الكيف للمكيف المخلوق المحدود المحدث غير أنّا نوقن أنّه معروف بخلقه موجود بصنعه فتبارك الله وتعالى اسمه لا شريك له فعرف القلب بعقله أنّه لو كان معه شريك كان ضعيفاً ناقصاً ، ولو كان ناقصاً ما خلق الإنسان ولاختلفت التدابير وانتقضت الأمور ، مع النقص الذي يوصف به الأرباب المتفرّدون والشركاء المتعانتون . قال : قد أتيتني .»

متن : فقال : قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك إلا أنّه لا يمنعني من ترك ما في يدي إلا الإيضاح والحجّة القويّة بما وصفت لي وفسّرت . قلت : أمّا إذا حجبت عن الجواب^(١) واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصّة ما يستبين لك أن الحواسّ لا تعرف شيئاً إلا بالقلب ؛ فهل رأيت في المنام أنك تأكل

(١) في نسخة : أما إذ حجبت عن الجواب

و تشرب حتى وصلت لذة ذلك إلى قلبك؟ قال: نعم. قلت: فهل رأيت أنك تضحك وتبكي وتجول في البلدان التي لم ترها والتي قد رأيتها حتى تعلم معالم ما رأيت منها؟ قال: نعم مالا أحصي. قلت: هل رأيت أحداً من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قدمات قبل ذلك حتى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إياه قبل أن يموت؟ قال: أكثر من الكثير. قلت: فأخبرني أي حواسك أدرك هذه الأشياء في منامك حتى دلت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم، وأكل طعامهم، والجولان في البلدان، والضحك والبكاء وغير ذلك؟ قال: ما أقدر أن أقول لك أي حواسي أدرك ذلك أو شيئاً منه، وكيف تدرك وهي بمنزلة الميت لا تسمع ولا تبصر؟ قلت: فأخبرني حيث استيقظت ألسنت قد ذكرت الذي رأيت في منامك تحفظه وتقصه بعد يقظتك على إخوانك لا تنسى منه حرفاً؟ قال: إنه كما تقول وربما رأيت الشيء في منامي ثم لأمسي حتى أراه في يقظتي كما رأيت في منامي. قلت: فأخبرني أي حواسك قررت علم ذلك في قلبك حتى ذكرت بعد ما استيقظت؟ قال: إن هذا الأمر ما دخلت فيه الحواس. قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواس في هذا أن الذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتج به على العباد؟ قال: إن الذي رأيت في منامي ليس بشيء، إنما هو بمنزلة السراب الذي يعاينه صاحبه وينظر إليه لا يشك فيه أنه ماء، فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئاً فمارأيت في منامي فبهذه المنزلة!

قلت: كيف شبّهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض، وما رأيت من الفرح والحزن؟ قال: لأن السراب حيث انتهت إلى موضعه صار لاشيء، وكذلك صار ما رأيت في منامي حين انتهت! قلت: فأخبرني إن أبيتك بأمر وجدت لذته في منامك وخفق لذلك قلبك ألسنت تعلم أن الأمر على ما وصفت لك؟ قال: بلى. قلت: فأخبرني هل احتملت قط حتى قضيت في امرأة نهمتك^(١) عرفتها أم لم تعرفها؟ قال: بلى مالا أحصيه. قلت: ألسنت وجدت لذلك لذة على قدر لذتك في يقظتك فتنبهه وقد أنزلت الشهوة حتى تخرج منك بقدر ما تخرج منك في اليقظة، هذا كسر لحجبتك في السراب. قال: ما يرى المحتمل في منامه شيئاً إلا ما كانت

(١) قضى منه نهمته أي شهوته.

حواسه دلت عليه في اليقظة . قلت : ما زدت على أن قويت مقالتي ، وزعمت أن القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواس وموتها فكيف أنكرت أن القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسه ، وما الذي عرفه إياها بعد موت الحواس وهو لا يسمع ولا يبصر ؟ ولكنك حقيقاً أن لا تنكر له المعرفة وحواسه حية مجتمعة إذا أقررت أنه ينظر إلى المرأة بعد ذهاب حواسه حتى نكحها وأصاب لذته منها ؛ فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء والحواس ذاهبة أن يعرف أن القلب مدبر الحواس ومالكها ورائسها^(١) والقاضي عليها ، فإنه ما جهل الإنسان من شيء فما يجهل أن اليد لا تقدر على العين أن تقاعها ، ولا على اللسان أن تقطعه ، وأنه ليس يقدر شيء من الحواس أن يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير إذن القلب و دلالاته و تدبيره لأن الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبر الجسد ، به يسمع وبه يبصر وهو القاضي والأمر عليه ؛ لا يتقدم الجسد إن هو تأخر ، ولا يتأخر إن هو تقدم ، وبه سمعت الحواس وأبصرت ، إن أمرها ائتمرت ، وإن نهاها انتهت ، وبه ينزل الفرح والحزن ، وبه ينزل الألم ، إن فسد شيء من الحواس بقي على حاله ، وإن فسد القلب ذهب جميعاً حتى لا يسمع ولا يبصر .

قال : لقد كنت أظنك لا تتخلص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا أقدر على رده قلت : وأنا أعطيك تصاديق ما أنبأتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة . قال : افعل فإنني قد تحيرت في هذه المسألة . قلت : أخبرني هل تحدث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء ، وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنك ؟ قال : نعم . قلت : فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسك ؟ قال : لا . قلت : أفلا تعلم أن الذي أخبرك به قلبك حق ؟ قال : اليقين هو ؛ فزدني ما يذهب الشك عني ويزيل الشبه من قلبي .

شرح : خفق القلب : اضطرابه . والنهمة : بلوغ الهمة في الشيء ، والنهم بالتحريك إفراط الشهوة في الطعام . أقول : قد عرفت أن القلب يطلق في مصطلح الأخبار على النفس الناطقة ، ولما كان السائل منكراً لا يدرك ما سوى الحواس الظاهرة نبهه عليه على خطائه بمدركات الحواس الباطنة التي هي آلات النفس .

(١) الرائد : الوالي ، في مقابلة الرؤوس للمستولى عليه .



أقول : ذكر السيد ابن طاووس قدس الله روحه في كتاب النجوم من هذه الرسالة جملة ليست فيما عندنا من النسخ فلنذكرها :

« قلت : أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم ؟ قال : إنك لغافل عن علم أهل بلادك بالنجوم ! قلت : و ما بلغ من علمهم بها ؟ فقال : إنا نخبرك عن علمهم بخصلتين تكفي بهما عما سواهما . قلت : فأخبرني ولا تخبرني إلا بحق . قال بديني لا أخبرك إلا بحق وبما عاينت . قلت : هات .

قال : أما إحدى الخصلتين فإن ملوك الهند لا يتخذون إلا الخصيان . قلت : و لمَ ذلك ؟ قال : لأن لكل رجل منهم منجماً حاسباً فإذا أصبح أتى باب الملك فحاس الشمس وحسب فأخبره بما يحدث في يومه ذلك ، و ما حدث في ليلته التي كان فيها ، فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً يكرهه أخبره ، فقال : فلان قارف كذا و كذا مع فلانة ، ويحدث في هذا اليوم كذا و كذا

قلت : فأخبرني عن الخصلة الأخرى . قال : قوم بالهند بمنزلة الخناقين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح ولا خنق و يأخذون أموالهم . قلت : وكيف يكون هذا ؟ قال . يخرجون مع الرفقة والتجار بقدر ما فيها من الرجال فيمشون معهم أياماً ليس معهم سلاح ، ويحدثون الرجال ويحسبون حساب كل رجل من التجار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه و كز كل واحد منهم صاحبه الذي حسب به في ذلك الموضع فيقع جميع التجار موتى ! قلت : إن هذا أرفع من الباب الأول إن كان ما تقول حقاً ! قال : أحلف لك بديني إنه حق ولربما رأيت ببلاد الهند قد أخذ بعضهم وأمر بقتله . قلت : فأخبرني كيف كان هذا حتى اطلعوا عليه ؟ قال : بحساب النجوم . قلت : فما سمعت كهذا علماً قط ، وما أشك أن واضعه الحكيم العليم ، فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الذي لا يدرك بالحواس ولا بالعقول ولا بالفكر ؟ قال : حساب النجوم وضعته الحكماء و توارثه الناس .^(١)

(١) إلى هنا انتهى ما يختص به كتاب النجوم ، ويشترك سائر النسخ من قوله : فإذا سألت الرجل

متن : قلت : أخبرني هل يعلم أهل بلادك علم النجوم ؟ قال : إنك لغافل عن علم أهل بلادك بالنجوم فليس أحد أعلم بذلك منهم . قلت : أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي مما لا يدرك بالحواس ولا بالفكر ؟ قال : حساب وضعته الحكماء وتوارثته الناس فإذا سألت الرجل منهم عن شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطلالع من النحوس ، وما للباطن من السعود ، ثم يحسب ولا يخطيء ؛ ويحمل إليه المولود فيحسب له ويخبر بكل علامة فيه بغير معاينة وما هو مصيبه إلى يوم يموت . قلت : كيف دخل الحساب في مواليده الناس ؟ قال : لأن جميع الناس إنما يولدون بهذه النجوم ، ولولا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثم لا يخطيء إذا علم الساعة واليوم والشهر والسنة التي يولد فيها المولود . قلت : لقد توصفت علماً عجباً^(١) ليس في علم الدنيا أدق منه ولا أعظم إن كان حقاً كما ذكرت ، يعرف به المولود الصبي وما فيه من العلامات ومنتهى أجله وما يصيبه في حياته ، أو ليس هذا حساباً تولد به جميع أهل الدنيا من كان من الناس ؟ قال : لا أشك فيه . قلت : فتعال ننظر بعقولنا كيف علم الناس هذا العلم وهل يستقيم أن يكون لبعض الناس إذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم ، وكيف عرفها بسعودها ونحوسها ، وساعاتها وأوقاتها ، و دقائقها و درجاتها ، و بطيئها وسريعها ، و مواضعها من السماء ، و مواضعها تحت الأرض ، و دلالتها على غامض هذه الأشياء التي وصفت في السماء وما تحت الأرض ، فقد عرفت أن بعض هذه البروج في السماء ، و بعضها تحت الأرض ، و كذلك النجوم السبعة منها تحت الأرض و منها في السماء فما يقبل عقلي أن مخلوقاً من أهل الأرض قدر على هذا . قال : وما أنكرت من هذا ؟ قلت : إنك زعمت أن جميع أهل الأرض إنما يتوالدون بهذه النجوم ، فأرى الحكيم الذي وضع هذا الحساب بزعمك من بعض أهل الدنيا ، ولا شك إن كنت صادقاً أنه ولد ببعض هذه النجوم والساعات و الحساب الذي كان قبله ، إلا أن تزعم أن ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس . قال : وهل هذا الحكيم إلا كسائر الناس ؟ قلت : أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أنها قد خلقت قبل هذا الحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا الحساب ، وقد زعمت أنه ولد ببعض هذه النجوم ؟ قال : بلى .

(١) وفي نسخة : لقد وصفت علماً عجباً .



قلت : فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم ؟ وهل هذا العلم إلا من معلم كان قبلهما وهو الذي أسس هذا الحساب الذي زعمت أنه أساس المولود ، والأساس أقدم من المولود ، والحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا إنما يتبع أمر معلم هو أقدم منه ، وهو الذي خلقه مولوداً ببعض هذا النجوم ، وهو الذي أسس هذه البروج التي ولد بها غيره من الناس فواضع الأساس ينبغي أن يكون أقدم منها ، هب إن هذا الحكيم عمر مذ كانت الدنيا عشرة أضعاف ، هل كان نظره في هذه النجوم إلا كنظر كإليها معلقة في السماء أوتراه كان قادراً على الدنو منها وهي في السماء حتى يعرف منازلها و مجاريها ، نحوسها وسعودها ، ودقائقها ، وبأيتها تكسف الشمس والقمر ، وبأيتها يولد كل مولود ، وأيتها السعد وأيتها النحس ، وأيتها البطيئ ، وأيتها السريع ، ثم يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار ونحوسها ، وأيتها السعد وأيتها النحس ، وكم ساعة يمكن كل نجم منها تحت الأرض ، وفي أي ساعة تغيب ، وأي ساعة تطلع ، وكم ساعة يمكن طالعاً ، وفي أي ساعة تغيب ، وكم استقام لرجل حكيم كما زعمت من أهل الدنيا أن يعلم علم السماء مما لا يدرك بالحواس ، ولا يقع عليه الفكر ، ولا يخطر على الأوهام وكيف اهتدى أن يقيس الشمس حتى يعرف في أي برج ، وفي أي برج القمر ، وفي أي برج من السماء هذه السبعة السعود والنحوس وما الطالع منها وما الباطن ؟ وهي معلقة في السماء وهو من أهل الأرض لا يراها إذا توارت بضوء الشمس إلا أن تزعم أن هذا الحكيم الذي وضع هذا العلم قدرقى إلى السماء ، وأنا أشهد أن هذا العالم لم يقدر على هذا العلم إلا بمن في السماء ، لأن هذا ليس من علم أهل الأرض .

قال : ما بلغني أن أحداً من أهل الأرض رقى إلى السماء . قلت : فلعـل هذا الحكيم فعل ذلك ولم يبلغك ؟ قال : و لو بلغني ما كنت مصدقاً . قلت : فأنا أقول قولك ، هب رقى إلى السماء هل كان له بد من أن يجري مع كل برج من هذه البروج ، ونجم من هذه النجوم من حيث يطلع إلى حيث يغيب ، ثم يعود إلى الآخر حتى يفعل مثل ذلك حتى يأتي على آخرها ؟ فإن منها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة ، ومنها ما يقطع دون ذلك ، وهل كان له بد من أن يجول في أقطار السماء حتى يعرف مطالع السعود منها والنحوس ،

والبطيء، والسريع، حتى يحصي ذلك؟ أوهبه قدر على ذلك حتى فرغ مما في السماء هل كان يستقيم له حساب ما في السماء حتى يحكم حساب ما في الأرض وما تحتها و أن يعرف ذلك مثل ما قد عاين في السماء؟ لأن مجاريها تحت الأرض على غير مجاريها في السماء، فلم يكن يقدر على أحكام حسابها ودقائقها وساعاتها إلا بمعرفة ما غاب عنه تحت الأرض منها، لأنه ينبغي أن يعرف أي ساعة من الليل يطلع طالعا، وكم يمكن تحت الأرض، وأية ساعة من النهار يغيب غائبا لأنه لا يعاينها، ولا ما طلع منها ولا ما غاب، ولا بد من أن يكون العالم بها واحداً وإلا لم ينتفع بالحساب إلا تزعم أن ذلك الحكيم قد دخل في ظلمات الأرض والبحار فساد مع النجوم والشمس والقمر في مجاريها على قدماسار في السماء حتى علم الغيب منها، وعلم ما تحت الأرض على قدر ما عاين منها في السماء.

قال: وهل أريتني أجبتك إلى أن أحداً من أهل الأرض رقى إلى السماء وقدر على ذلك حتى أقول: إنه دخل في ظلمات الأرض والبحور؟ قلت: فكيف وقع هذا العلم الذي زعمت أن الحكماء من الناس وضعوه وأن الناس كلهم مولدون به وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو أقدم منهم؟

أقول: في نسخة السيد ابن طاووس عنها زيادة:

«قال: رأيت إن قلت لك: إن البروج لم تنزل وهي التي خلقت نفسها على هذا الحساب ما الذي ترد علي؟»^(١) قلت: أسألك كيف يكون بعضها سعداً وبعضها نحساً، وبعضها مضياً وبعضها مظلماً، وبعضها صغيراً وبعضها كبيراً؟

قال: كذلك أرادت أن تكون بمنزلة الناس، فإن بعضهم جميل، وبعضهم قبيح، وبعضهم قصير، وبعضهم طويل، وبعضهم أبيض، وبعضهم أسود، وبعضهم صالح، وبعضهم طالح. قلت: فالعجب منك إنني أراودك منذ اليوم على أن تقر بصانع فلم تجبني إلى ذلك حتى كان الآن أقررت بأن القردة والخنازير خلقن أنفسهن!

قال: لقد بهتني بما لم يسمع الناس مني! قلت: أفمنكر أنت لذلك؟ قال:

(١) في نسخة: ما الذي يرد على.

أشد إنكار . قلت : فمن خلق القردة والخنازير إن كان الناس والنجوم خلقن أنفسهن ؟ فلا بد من أن تقول : إنهن من خلق الناس ، أو خلقن أنفسهن ، أفتقول : إنها من خلق الناس ؟ قال : لا . قلت : فلا بد من أن يكون لها خالق أو هي خلقت ، أنفسها ؛ فإن قلت : إنها من خلق الناس أقررت أن لها خالقاً ، فإن قلت : لا بد أن يكون لها خالق فقد صدقت وما أعرفنا به ، ولئن قلت : إنهن خلقن أنفسهن فقد أعطيتني فوق ما طلبت منك من الإقرار بصانع . ثم قلت : فأخبرني بعضهن قبل بعض خلقن أنفسهن أم كان ذلك في يوم واحد ؟ فإن قلت : بعضهن قبل بعض فأخبرني السماوات و ما فيهن و النجوم قبل الأرض والإنس والذر خلقن أم بعد ذلك ؟ فإن قلت : إن الأرض قبل أفلاترى قولك : إن الأشياء لم تنزل قد بطل حيث كانت السماء بعد الأرض ؟ .

قال : بلى ولكن أقول : معاً جميعاً خلقن . قلت : أفلاترى أنك قد أقررت أنها لم تكن شيئاً قبل أن خلقن ، وقد أذهبت حجتك في الأزلية ؟ قال : إنني لعلى حدّ وقوف ، ما أدري ما أجيبك فيه لأنني أعلم أن الصانع إنما سمي صانعاً لصناعته ، والصناعة غير الصانع ، والصانع غير الصناعة لأنه يقال للرجل : الباني لصناعته البناء ، والبناء غير الباني والباني غير البناء ، وكذلك الحارث غير الحرث والحرث غير الحارث . قلت : فأخبرني عن قولك : إن الناس خلقوا أنفسهم فكما لهم خلقوها أرواحهم وأجسادهم وصورهم وأنفاسهم أم خلق بعض ذلك غيرهم ؟ قال : بكما لهم لم يخلق ذلك ولا شيئاً منهم غيرهم .

قلت : فأخبرني الحياة أحب إليهم أم الموت ؟ قال : أو تشك أنه لا شيء أحب إليهم من الحياة ، ولا أبغض إليهم من الموت ؟ قلت : فأخبرني من خلق الموت الذي يخرج أنفسهم التي زعمت أنهم خلقوها ؟ فإنك لا تنكر أن الموت غير الحياة ، وأنه هو الذي يذهب بالحياة . فإن قلت : إن الذي خلق الموت غيرهم ، فإن الذي خلق الموت هو الذي خلق الحياة ؛ ولئن قلت : هم الذين خلقوا الموت لأنفسهم إن هذا المحال من القول ؛ وكيف خلقوا أنفسهم ما يكرهون إن كانوا كما زعمت خلقوا أنفسهم ؟ هذا ما يستنكر من ضلالك أن تزعم أن الناس قدروا على خلق أنفسهم بكما لهم وأن الحياة أحب إليهم من الموت وخلقوا ما يكرهون لأنفسهم ! .

قال : ما أجد واحداً من القولين ينقاد لي ولقد قطعته عليّ قبل الغاية التي كنت أريدها . قلت : دعني فإنّ من الدخول في أبواب الجهالات ما لا ينقاد من الكلام ، و إنّما أسألك عن معلّم هذا الحساب الذي علّم أهل الأرض علم هذه النجوم المعلقة في السماء . ،

اقول : رجعنا إلى ما في النسخ المشهورة :

قال : ما أجد يستقيم أن أقول : إنّ أحداً من أهل الأرض وضع علم هذه النجوم المعلقة في السماء . قلت : فلا بدّ لك أن تقول : إنّما علّمه حكيم عليم بأمر السماء والأرض ومدبرهما . قال : إن قلت هذا فقد أقررت لك بما لهك الذي تزعم أنّه في السماء . قلت : أمّا أنك فقد أعطيتني أن حساب هذه النجوم حقّ ، وأنّ جميع الناس ولدوا بها . قال : الشكّ في غير هذا .

قلت : وكذلك أعطيتني أنّ أحداً من أهل الأرض لم يقدر على أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتّى يعرف مجاريها ويطلع معها إلى المشرق . قال : الطلوع إلى السماء دون هذا . قلت : فلا أدرك تجد بداً من أن تزعم أنّ المعلّم لهذا من السماء . قال : لئن قلت أن ليس لهذا الحساب معلّم لبقد قلت إذا غير الحقّ ، و لئن زعمت أنّ أحداً من أهل الأرض علم ما في السماء وما تحت الأرض لقد أبطلت لأنّ أهل الأرض لا يقدرّون على علم ما وصفت لك من حال هذه النجوم والبروج بالمعانيّة والذنوب منها^(١) فلا يقدرّون عليه لأنّ علم أهل الدنيا لا يكون عندنا إلّا بالحواسّ ، وما يدرك علم هذه النجوم التي وصفت بالحواسّ لأنّها معلقة في السماء ومازادت الحواسّ على النظر إليها حيث تطلع وحيث تغيب ، فأما حسابها ودقائقها ونحوها وسعودها وبطيئها وسريعها ونحوها ورجوعها فأنّي تدرك بالحواسّ أو يهتدى إليها بالقياس ؟ .

قلت : فأخبرني لو كنت متعلّماً مستوصفاً لهذا الحساب من أهل الأرض أحبّ إليك أن تستوصفه وتعلّمه ، أم من أهل السماء ؟ قال : من أهل السماء ، إذ كانت النجوم معلقة فيها حيث لا يعلمها أهل الأرض .

(١) وفي نسخة : فاما الذنوب .



قلت : فافهم رَأْدَقَ النظر وناصح نفسك ألسنت تعلم أنه حيث كان جميع أهل الدنيا إنما يولدون بهذه النجوم على ما وصفت في النجوم والسعود أنهم كن قبل الناس ؛ قال : ما أمتنع أن أقول هذا . قلت : أفليس ينبغي لك أن تعلم أن قولك : إن الناس لم يزلوا ولا يزالون قد انكسر عليك ^(١) حيث كانت النجوم قبل الناس ؛ فالناس حدث بعدها ، ولئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ما تجد بدءاً من أن تزعم أن الأرض خلقت قبلهم . قال : ولم تزعم أن الأرض خلقت قبلهم ؛ قلت : ألسنت تعلم أنها لو لم تكن الأرض جعل الله لخلقه فراشاً ومهاداً ما استقام الناس ولا غيرهم من الأنام ، ولا قدروا أن يكونوا في الهواء إلا أن يكون لهم أجنحة ؛ قال : وماذا يغني عنهم الأجنحة إذا لم تكن لهم معيشة ؛ قلت : ففي شك أنت من أن الناس حدث بعد الأرض والبروج ؛ قال : لا ولكن على اليقين من ذلك .

قلت : آتيك أيضاً بما تبصره . قال : ذلك أنفي ^(٢) للشك عنِّي . قلت : ألسنت تعلم أن الذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هذا الفلك ؛ قال : بلى . قلت : أفليس قد كان أساساً لهذه النجوم ؛ قال : بلى . قلت : فما أرى هذه النجوم التي زعمت أنها مواليد الناس إلا وقد وضعت بعد هذا الفلك لأنه به تدور البروج وتسفل مرة وتصعد أخرى . قال : قد جئت بأمر واضح لا يشك على ذي عقل أن الفلك الذي تدور به النجوم هو أساسها الذي وضع لها لأنها إنما جرت به . قلت : أقررت أن خالق النجوم التي يولد بها الناس سعودهم ونحوسهم هو خالق الأرض لأنه لو لم يكن خلقها لم يكن ذرء . قال : ما أجد بدءاً من إجابتك إلى ذلك . قلت : أفليس ينبغي لك أن يدلك عقلك على أنه لا يقدر على خلق السماء إلا الذي خلق الأرض والذرء والشمس والقمر والنجوم ، وأنه لولا السماء وما فيها لهلك ذرء الأرض .

شرح : أن يكون لبعض الناس أي هذا العلم . اعلم أن كلامه واحتجاجه عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) وفي نسخة : قد انكسر عليك .

(٢) وفي نسخة : قال : ذلك أنفي للشك عنِّي .



مبني على أحد أمرين : الأول ما يحكم به الوجدان من أن العلم بدقائق حركات هذه الكواكب وخواص آثارها والمناسبة بينها وبين ماضي علامة لحدوثها لا يتأتى إلا لخالقها الذي جعلها كذلك ، أو من ينتهي علمه إليه ، ومعلوم أن ما هو الحق من هذه العلوم إنما وصل إلى الخلق من الأنبياء كما اعترفوا به ، ولمّا لم يحيطوا بجميع ذلك وضاع عنهم بعض ما استفادوا من الأنبياء عليهم السلام أيضاً فلذا ترى الرياضيين يتحسرون في بعض الحركات التي لا تستقيم على أصولهم ، ويسمونها ما لا ينحل ، و ترى المنجمين يخطؤون في كثير من أحكامهم لذلك . ثم ذكر عليه السلام على سبيل التنزل أنه لو سلمنا أنه يمكن أن يتيسر ذلك لمخلوق من البشر فلا يتأتى ذلك إلا لمن كان معها في حركاتها وعاشرها مدة طويلة ليعلم كيفية حركاتها وجرّب بكثرة المعاينة خواصها وآثارها .

و الثاني : أن يكون المراد أنك إذا اعترفت أن كل الخلق يولدون بهذه النجوم فلا يكون أحد منهم علة لها ولا آثارها لتقدمها عليهم ، ولا شك في أنه لا بد من حكيم عالم بجميع الأمور قادر عليها ، أسس ذلك الأساس وبنى عليها تلك الآثار والأحكام التي أمكن للخلق بها استعمال ما لم يأت من الأمور ، فقد أقررت بالصانع فهو أول عالم بهذا العلم لا الحكيم الذي تزعم أنه يولد بتلك النجوم .^(١) ويحتمل أن يكون المقصود من الكلام الإشارة إلى كلا الدليلين كما لا يخفى بعد التأمل . قوله عليه السلام : مواضعها من السماء أي عند كونها فوق الأرض ، ومواضعها تحت الأرض أي بعد غروبها واستتارها عنا بالأرض . قوله عليه السلام : إلا بمن في السماء أي بمن أحاط علمه وقدرته و حكمه بالسماء وما فيها . قوله عليه السلام : فأنا أقول قولك أي أنا أعتقد ما قلت من أن الحكماء الذين تزعمهم عالمين به لم يرقوا إلى السماء ، أو أعتقد أنه لا يمكنهم أن يرقوا إلى السماء بأنفسهم بدون تعلق إرادة الرب تعالى به ، ومع ذلك فإن سلمناه فلا يكفي محض الصعود للإحاطة بذلك . قوله عليه السلام : مع كل برج أي فيه أو بالحركة السريعة . قوله عليه السلام : في ثلاثين سنة وهو زحل ، وهو أبطأ السيارات ، وإنما لم يتعرض عليه السلام للشواهد مع

(١) وبعبارة أخرى إنك بعد ما اعترفت بأن جميع الناس يولدون بهذه النجوم ولم يمكن أن يولد أحد من أهل الأرض إلا بهذه النجوم لأنها علته ، فقد اعترفت بأن واضح هذه النجوم غير أهل الدنيا لأنهم معلولون لها ، وهذا تسليم واذعان منك بالصانع تعالى .

كونها أبطأ لأن مبني أحكامهم على السيارات . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لأن مجاريها تحت الأرض لما ذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ سابقاً سيره مع الكواكب من الطلوع إلى الغروب أشار عَلَيْهِ السَّلَامُ ههنا إلى أنه لا يكفي ذلك للعلم بجميع الحركات حتى يسير معها بعد الغروب فيحاذي ماتحت الأرض من البحار والمواضع المظلمة بالبخارات ، أو يسير مع سائر الكواكب عند كون الشمس فوق الأرض حتى يحاذي ماتحتها الظلمة ، ثم يبين عَلَيْهِ السَّلَامُ الحاجة إلى ذلك بأنه لا تكفي الإحاطة ببعض مسيرها للعلم بحركاتها لأن حركاتها الخاصة عندهم مختلفة بالنسبة إلى مركز العالم بسبب التداوير والأفلاك الخارجة المراكز وغيرها ، فتارة تسرع وتارة تبطئ ، فلا تتأتى بمقايضة بعض حركاتها ببعض .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : كيف يكون بعضها سعداً أي يرجع قولك إلى أنها مع صفاتها وجدت من غير صانع فكيف صار بعضها هكذا وبعضها هكذا ، فترجح هذه الأحوال الممكنة و حصولها من غير علة مما يحكم العقل باستحالته ، أو المراد أنها لو كانت خالقة لأنفسها لكان كل منها يختار لنفسه أفضل الأحوال وأشرفها فكان جميعها على حالة واحدة هي أفضل الأحوال ؛ وهذا أظهر . ثم لما لم يفهم السائل ذلك غير الكلام وصرفه إلى ما هو أوضح . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : قد أقررت أنها لم تكن شيئاً إما مبني على أن الصنع والخلق لا يتعلقان إلا بالحادث ، أو على ما كان ظاهر كلام السائل أن لوجودها مبدئاً ، ثم إن السائل لما تفتن بفساد كون الشيء ، صانعاً لنفسه رجع وأقر بأن العقل يحكم بديهياً بأن المصنوع غير الصانع ، و الباني غير البناء ؛ و ما ذكره عَلَيْهِ السَّلَامُ من أن خالق الحياة والموت لا بد أن يكون واحداً مما يحكم به الوجدان مع أن الظاهر من خالق الحياة من يكون مستقلاً فيه ، و الموت ليس إلا رفع الحياة ، فلو كان مستنداً إلى غيره لم يكن خالق الحياة مستقلاً فيه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : دون هذا أي أنا أنكر الصعود إلى السماء الذي هو أسهل مما ذكرت فكيف أقر به ، أو المراد أن الصعود إلى السماء أسهل علي من الإقرار بما ذكرت . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنهن كن قبل الناس أي بالعلية والسببية كما ظن السائل ، أو بالزمان أي تقدمها على كل شخص ، أو على الجميع بناءً على لزوم التقدم على كل

من الأشخاص التقدم على الجميع كما قيل ، أو على أنه ﷺ كان يعلم أن السائل كان قائلاً بذلك فذكره ﷺ إلزاماً عليه كما اعترف به ؛ وعلى الأول يكون المراد بقوله : لم يزالوا ولا يزالون عدم استنادهم إلى علة ، وعلى الثاني فالمراد إما قدم مادتهم أو صورهم أيضاً بناءً على القول بالكمون ، وعلى الثالث فالمراد قدم نوعهم . قوله عليه السلام : بعد هذا الفلك أي هي محتاجة إلى الفلك ، و الفلك متقدمة عليها بالعلية فلا يصح كون النجوم علة لها للزوم الدور . قوله ﷺ : لم يكن ذرة أي مذرور و مخلوق من الإنس .

ثم أعلم أن حاصل استدلاله على ما ظهر لهذا القاصر هو أنه ﷺ - لما قرّر السائل سالفاً على أن النجوم ليست خالقة لأنفسها ، و آنفأعلى أنها ليست مخلوقة للناس وغيرها مما يحدث بزعمه بتأثيرها لتأخرها عنها ، وعلى أن الأرض أيضاً متقدمة على ما عليها من الخلق فلا تكون مخلوقة لما عليها ، وعلى أن الفلك لتقدمه على النجوم المتقدمة على الناس لا يجوز كونه مخلوقاً لشيء منها - استدلال ﷺ ههنا على أنه لا بد أن يكون خالق السماء والأرض وما في السماء من الشمس والقمر والنجوم وما على الأرض من الخلق واحداً .

أما اتحاد خالق الأرض والنجوم فيمكن تقريره بوجهين : الأول : أن الناس يحتاجون إلى الأرض كما عرفت ، وظاهر أنها من أعظم مصالحهم فالوجدان الصحيح يحكم بأن من خلق شيئاً يعدّ له ما يصلحه ، ويهيئ له ما سيحتاج إليه فظهر أنه لا بد أن يكون خالق الناس و خالق الأرض واحداً ، والناس بزعمك مخلوقون للنجوم و لزمنك القول بوجود خالق للنجوم ، فلا بد من القول بكون الأرض منسوبة إلى خالق النجوم إما بلا واسطة أو بواسطة النجوم أو غيرها فثبت المطلوب .

الثاني : أننا نرى التلازم بين الناس والأرض لحكم العقل بأن كلاً منهما يرتفع عند ارتفاع الآخر إذاً الظاهر أن غاية خلق الأرض هو الإنسان ونحوه وهم يحتاجون في أمورهم إليها ، وقد تقرّر أن المتلازمين إما أن يكون أحدهما علة للآخر ، أو كل منهما معلول علة ثالثة ، ولا يجوز أن يكون الناس عللاً للأرض لما عرفت ، ولا معلولة

لها لانتسابها عندك إلى النجوم فلا بد من أن يكونا معلولي علة واحدة . و بأحد هذين التقريرين يثبت اتحاد خالق السماء و خالق هذه الأمور السابقة لاحتياج ما على الأرض من الخلق إلى السماء وما فيها من النجوم ؛ وإليه أشار عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله : وإنه لولا السماء و ما فيها لهلك ذرء الأرض . هذا ما أحاط به نظري العائر ، وسيأتي في تضاعيف كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ توضيح ما قلناه ، والتصريح ببعض ما قررناه ، والله يعلم و حججه عَلَيْهِ السَّلَامُ حقائق كلامهم ودقائق مرامهم ؛ ثم لا يتوهم متوهم من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن للنجوم تأثيراً فإنه ظاهر أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما ذكرها إلزاماً عليه ، ومما شاة معه لإتمام الحججة عليه ^(١) بل لا يمكن الاستدلال على صعودها ونحوسها و كونها علامات للكائنات أيضاً بهذا الوجه لكن ظاهره أن لها مسعادة ونحوسة و أنها علامات ، وسيأتي القول في ذلك مفصلاً في كتاب السماء والعالم .

متن : قال : أشهد أن الخالق واحد من غير شك لأنك قد أتيتني بحجة ظهرت لعقلي وانقطعت بها حجتي ، وما أرى يستقيم أن يكون واضع هذا الحساب ومعلم هذه النجوم واحداً من أهل الأرض لأنها في السماء ، ولا مع ذلك يعرف ماتحت الأرض منها إلا معلم ما في السماء منها ، ولكن لست أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الذي هو في السماء حتى اتفق حسابهم على ما رأيت من الدقة والصواب فإني لو لم أعرف من هذا الحساب ما أعرفه لأنكرته ولأخبرت أنك أنه باطل في بدء الأمر فكان أهون علي .

قلت : فأعطني موثقاً إن أنا أعطيتك من قبل هذه الإهليلجة التي في يدك وماتدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آباءك حتى يتصل الإهليلجة وما يشبهها من الأدوية بالسماء لتدعنن بالحق ، ولتنصفن من نفسك . قال : ذلك لك . قلت : هل كان الناس على حال وهم لا يعرفون الطب ومنافعه من هذه الإهليلجة وأشباهاها ؟ قال : نعم .

قلت : فمن أين اهدوا له ؟ قال : بالتجربة وطول المقايسة . قلت : فكيف خطر

(١) ما ذكره رحمه الله بمعنى التأثير بنحو الاستقلال حق ؛ وأما أصل التأثير بمعنى وجود رابطة السببية و السببية بين هذه الاشياء فهو ما بنى عليه كلامه عليه السلام من أوله التي آخره كما هو ظاهر . ط

على أو هامهم حتى همّوا بتجربته؟ وكيف ظنّوا أنّه مصلحة للأجساد وهم لا يرون فيه إلا المضرّة؟ أو كيف عزموا على طلب ما لا يعرفون ممّا لا تدلّهم عليه الحواس؟ قال: بالتجارب.

قلت: أخبرني عن واضع هذا الطبّ و واصف هذه العقاقير المتفرّقة بين المشرق والمغرب، هل كان بدّ من أن يكون الذي وضع ذلك ودلّ على هذه العقاقير رجل حكيم من بعض أهل هذه البلدان؟

قال: لا بدّ أن يكون كذلك، وأن يكون رجلاً حكيماً وضع ذلك و جمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك وفكروا فيه بعقولهم. قلت: كأنّك تريد الإيصال من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فأعلمني كيف عرف الحكيم ذلك؟ وهبه قد عرف بما في بلاده من الدواء، والزعفران الذي بأرض فارس، أترأه أتبع جميع نبات الأرض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك؟ وهل يدلّك عقلك على أن رجلاً حكماً قدروا على أن يتبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك بحواسّهم، وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الأدوية التي لم تدرك حواسّهم شيئاً منها؟ وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبعه جميع شجر فارس ونباتها، كيف عرف أنّه لا يكون دواء حتى يضمّ إليه الإهليلج من الهند، والمصطكي من الروم، والمسك من التبت، والدارصيني من الصين، وخصي بيدستر من الترك، والأفيون من مصر، والصبر من اليمن،^(١) والبورق من أرمينية،^(٢) وغير ذلك من أخلاط الأدوية التي تكون في أطراف الأرض؟ وكيف عرف أن بعض تلك الأدوية وهي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها ولا يكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع؟ أم كيف اهتدى لمنابت هذه الأدوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متباينة في بلدان متفرّقة؟ فمنها عروق، ومنها اللحاء^(٣) ومنها ورق، ومنها ثمر، ومنها عصير، ومنها مائع، ومنها صمغ، ومنها دهن، ومنها

(١) الصبروزان كنف: عصارة شجر مر.

(٢) البورق بالفتح معرب بوره: شى، يتكون مثل الملح فى شطوط الانهار والبياه.

(٣) اللحاء: قشر المود أو الشجر.

ما يعصر ويطنخ ، ومنها ما يعصر ولا يطنخ ، مما سمي بلغات شتى لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا يصير دواءً إلا باجتماعها ؛ ومنها مرائر السباع والدواب البرية والبحرية ، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعاودون مختلفون متفرقون باللغات ، متغالبون بالمناسبة ،^(١) و متحاربون بالقتل والسبي أفترى ذلك الحكيم تتبع هذه البلدان حتى عرف كل لغة وطاف كل وجه ، وتتبع هذه العقاقير مشرقاً ومغرباً آمناً صحيحاً لا يخاف ولا يمرض ، سليماً لا يعطب ، حياً لا يموت ، هادياً لا يضل ، قاصداً لا يجور^(٢) حافظاً لا ينسى ، نشيطاً لا يمل ، حتى عرف وقت أزمته ، ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين ألوانها وتفرق أسمائها ، ثم وضع مثالها على شبهها ووصفها ، ثم وصف كل شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها ؛ أم هل كل هذا الحكيم بد من أن يتبع جميع أشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة ، وورقة ورقة ، شيئاً شيئاً ؛ فبه وقع على الشجرة التي أراد فكيف دلته حواسه على أنها تصلح لدواء ، والشجر مختلف منه الحلو والحامض والمر والمالح .

وإن قلت : يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال ، فأنتى يسأل عما لم يعاين ولم يدرك بحواسه ؛ أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلمه بغير لسانه وبغير لفته والأشياء كثيرة ؛ فبه فعل كيف عرف منافعها ومضارها ، وتسكينها وتبييجها ، وباردها وحارها ، وحلوها ومرارتها وحرافتها ،^(٣) ولينها وشديدها^(٤) ؛ فلئن قلت : بالظن إن ذلك مما لا يدرك ولا يعرف بالطبائع والحواس ، ولئن قلت : بالتجربة والشرب لقد كان ينبغي له أن يموت في أول ما شرب وجرب تلك الأدوية بجهالته بها وقلة معرفته بمنافعها ومضارها وأكثرها السم القاتل . ولئن قلت : بل طاف في كل بلد ، وأقام في كل أمة يتعلم لغاتهم ويجرب بهم أدويتهم تقتل الأول فالأول منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلا بعد قتل قوم كثير ، فما كان أهل تلك البلدان

(١) في نسخة : متقلبون بالمناسبة .

(٢) في نسخة : قاصداً لا يجوز .

(٣) العرافة : طعم يلذع اللسان بعرارته .

(٤) في نسخة : ولينها وبابسها .



الذين قتل منهم من قتل بتجربته بالسذين يتقادونه بالقتل ولا يدعونهم أن يجاورهم ، و
 هبه تركوه وسلموا الأمر ولم ينهوه كيف قوي على خلطها ، وعرف قدرها ووزنها و
 أخذ مثاقيلها وقرط قراريطها ؟ وهبه تتبّع هذا كله ، وأكثره سمّ قاتل ، إن زيد على
 قدرها قتل ، وإن نقص عن قدرها بطل ، وهبه تتبّع هذا كله وجال مشارق الأرض و
 مغاربها ، وطال عمره فيها تتبّع شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبّع ما لم يدخل
 في ذلك من مرارة الطير والسباع ودواب البحر؟ هل كان بدُّ حيث زعمت أن ذلك الحكيم
 تتبّع عقاير الدنيا شجرة شجرة وثمره ثمرة حتى جمعها كلها فمناها ما لا يصلح ولا يكون
 دواءً إلا بالمرار؟ هل كان بدُّ من أن يتبع جميع طير الدنيا وسباعها و دوابها دابة
 وطائراً طائراً يقتلها ويجرب مرارتها ، كما بحث عن تلك العقاقير على ما زعمت بالتجارب؟
 ولو كان ذلك فكيف بقيت الدواب وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة
 نبتت أخرى؟ وهبه أتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان
 ينبغي أن يتبعها بحراً بحراً ودابة دابة حتى أحاط به كما أحاط بجميع عقاير الدنيا
 التي بحث عنها حتى عرفها وطلب ذلك في غمرات الماء؟ فإنك مهما جهلت شيئاً من هذا
 فإنك لا تجهل أن دواب البحر كلها تحت الماء فهل يدل العقل والحواس على أن هذا
 يدرك بالبحث والتجارب؟ .

قال : لقد ضيّقت عليّ المذاهب ، فما أدري ما أجيبك به ! قلت : فإنني آتيك
 بغير ذلك مما هو أوضح وأبين مما اقتضت عليك ، ألسنت تعلم أن هذه العقاقير التي منها
 الأدوية والمرار من الطير والسباع لا يكون دواءً إلا بعد الاجتماع؟ قال . هو كذلك .
 قلت : فأخبرني كيف حواس هذا الحكيم وضعت هذه الأدوية مثاقيلها وقراريطها؟
 فإنك من أعلم الناس بذلك لأن صناعتك الطب ، وأنت تدخل في الدواء الواحد من
 اللون الواحد زنة أربع مائة مثقال ، ومن الآخر مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك و دونه
 حتى يجيىء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقده بطنه ، وإن سقيت
 صاحب القولنج أكثر من ذلك استطلق بطنه والآن ^(١) فكيف أدركت حواسه على هذا؟

(١) استطلق البطن : مشى . والآن أى جعله لبناً

أم كيف عرفت حواسه أن الذي يسقى لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين ، والانحدار أهون عليه من الصعود؟ والذي يسقى لوجع القدمين لا يصعد إلى الرأس ، وهو إلى الرأس عند السلوك أقرب منه؟ وكذلك كل دواء يسقى صاحبه لكل عضو لا يأخذ إلا طريقه في العروق التي تسقى له ، وكل ذلك يصير إلى المعدة ومنها يتفرق؟ أم كيف لا يسفل منه ما يصعد ولا يصعد منه ما انحدر؟ أم كيف عرفت الحواس هذا حتى علم أن الذي ينبغي للأذن لا ينفع العين وما ينتفع به العين لا يغني من وجع الأذن ، وكذلك جميع الأعضاء يصير كل داء منها إلى ذلك الدواء^(١) الذي ينبغي له بعينه؟ فكيف أدركت العقول والحكمة والحواس هذا وهو غائب في الجوف ، والعروق في اللحم ، وفوقه الجلد لا يدرك بسمع ولا يبصر ولا يشم ولا يلمس ولا يذوق؟ .

قال : لقد جئت بما أعرفه^(٢) إلا أننا نقول : إن الحكيم الذي وضع هذه الأدوية وأخلطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الأدوية فمات شق بطنه وتبّع عروقه ونظر مجاري تلك الأدوية و أتى المواضع التي تلك الأدوية فيها . قلت : فأخبرني أليست تعلم أن الدواء كله إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً؟ قال : بلى . قلت : أما تعلم أن الإنسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجد؟ قال : بلى . قلت : فكيف عرف ذلك الحكيم دواء الذي سقاه للمريض بعد ما صار غليظاً عيظاً ليس بأمشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم؟ قال : لقد حملتني على مطيئة صعبة ما حملت على مثلها قط ، ولقد جئت بأشياء لأقدر على ردها .

شرح : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : خلط بعض هذه الأدوية الخلط بالكسر : ما يخلط بالشيء أي ما يدخل في بعض هذه الأدوية المركبة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثم وضع مثالها على شبهها أي ضمّ كل ما وجد من كل نوع إلى مثله لأنه يشبهه ويوافقه في الصفة أو ترك الأشياء التي تشبه ما يريد ، وإن كانت موافقة له في الصفات فإن كثيراً من العقاقير تشبهه بغيرها لاتفاقهما في كثير من الصفات . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فكيف بقيت لعل المفروض أن ذلك كان

(١) في نسخة : يصير كل دواء منها إلى ذلك الداء .

(٢) في نسخة : لقد جئت بما أعرف .



في مبادي خلق العالم لقد علم ذلك العلم فيلزم من التجارب الكثيرة فناء الحيوانات لقلتها في تلك الأزمنة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ليس بأمشاج أي أشياء مختلطة متميزة .

أقول : كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ يدل على أن خواص الأدوية وأجناسها ومنافعها ومناسبتها للأمراض إنما وصل إلى الخلق بخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولم يصل الخلق إليها بعقولهم وتجاربهم .

متن : قلت : فأخبرني من أين علم العباد ما وصفت من هذه الأدوية التي فيها المنافع لهم حتى خلطوها وتببموا عقايرها في هذه البلدان المتفرقة ، وعرفوا مواضعها ومعالدها في الأماكن المتباعدة ، وما يصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها ، وما يدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك ؟ قال : قد أعيت عن إجابتك ^(١) لغموض مسألتك وإجرائك إلي أي أمر لا يدرك علمه بالحواس ، ولا بالتشبيه والقياس ، ولا بد أن يكون وضع هذه الأدوية واضح ، لأنها لم تضع هي نفسها ، ولا اجتمعت حتى جمعها غيرها بعد معرفته إياها ؛ فأخبرني كيف علم العباد هذه الأدوية التي فيها المنافع حتى خلطوها وطلبوا عقايرها في هذه البلدان المتفرقة ؟ .

قلت : إنني ضارب لك مثلاً و ناصب لك دليلاً تعرف به واضح هذه الأدوية والدال على هذه العقاير المختلفة وباني الجسد وواضع العروق التي يأخذ فيها الدواء إلى الداء . قال : فإن قلت ذلك لم أجد بداً من الانقياد إلى ذلك . قلت : فأخبرني عن رجل أنشأ حديقة عظيمة ، وبنى عليها حائطاً وثيقاً ، ثم غرس فيها الأشجار والأثمار والرياحين والبقول ، وتعاهد سقيها وتربيتها ، ووقاها ما يضرها ، حتى لا يخفى عليه موضع كل صنف منها فإذا أدركت أشجارها وأينعت أثمارها ^(٢) و اهتزت بقولها دفعت إليه ^(٣) فسأله أن يطعمك لونها من الثمار والبقول سميته له أتراه كان قادراً على

(١) أي قد اعجزت عن إجابتك .

(٢) اينع الثمر : أدرك وطاب وحن قطافه . وفي بعض النسخ : ايفع أثمارها . فهو من أيفع

النلام : ترعرع وناهز البلوغ .

(٣) في نسخة : ذهبت إليه .



أن ينطلق قاصداً مستمراً لا يرجع ، ولا يهوي إلى شيء يمر به من الشجرة والبقول حتى يأتي الشجرة التي سألته أن يأتيك بثمرها ، و البقلة التي طلبتها حيث كانت من أدنى الحديقة أو أقصاها فيأتيك بها ؟ قال : نعم . قلت : أفرايت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة : ادخل الحديقة فخذ حاجتك فانني لا أقدر على ذلك ، هل كنت تقدر أن تنطلق قاصداً لا تأخذ يميناً ولا شمالاً حتى تنتهي إلى الشجرة فتجتنى منها ؟ قال : و كيف أقدر على ذلك ولا أعلم لي في أي مواضع الحديقة هي ؟ قلت : أفليس تعلم أنك لم تكن لتصيبها دون أن تهجم عليها بتعسف وجولان في جميع الحديقة حتى تستدل عليها ببعض حواسك بعد ما تتصفح فيها من الشجرة شجرة شجرة و ثمرة ثمرة حتى تسقط على الشجرة التي تطلب ببعض حواسك إن تأتيها ، وإن لم ترها انصرفت ؟ .

قال : وكيف أقدر على ذلك ولم أعاين مغرسها حيث غرست ، ولا منبتها حيث نبتت ، ولا ثمرتها حيث طلعت . قلت : فإنه ينبغي لك أن يدلك عقلك حيث عجزت حواسك عن إدراك ذلك إن الذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق والمغرب وغرس فيه هذه الأشجار والبقول هو الذي دل الحكيم الذي زعمت أنه وضع الطب على تلك العقاقير ومواضعها في المشرق والمغرب ؛ وكذلك ينبغي لك أن تستدل بعقلك على أنه هو الذي سماها وسمى بلدتها وعرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الذي سألته الثمرة ، وكذلك لا يستقيم ولا ينبغي أن يكون الفارس والبال عليها إلا الدال على منافعها وثمارها وقراريطها ومثاقيلها .

قال : إن هذا لكما تقول . قلت : أفرايت لو كان خالق الجسد وما فيه من العصب واللحم والأعضاء والعروق التي يأخذ فيها الأدوية إلى الرأس وإلى القدمين وإلى ما سوى ذلك غير خالق الحديقة وغارس العقاقير ، هل كان يعرف زنتها ومثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكل داء منها ، وما كان يأخذ في كل عرق ؟ .

قال : وكيف يعرف ذلك أو يقدر عليه وهذا لا يدرك بالحواس ، ما ينبغي أن يعرف هذا إلا الذي غرس الحديقة وعرف كل شجرة وبقلة وما فيها من المنافع والمضار . قلت : أفليس كذلك ينبغي أن يكون الخالق واحداً ؟ لأنه لو كان اثنين أحدهما خالق

الدواء والآخـر خالق الجسد والداء لم يهتد غارس العقاقير لإيصال دوائه إلى الداء الذي بالجسد ممّا لا علم له به ، ولا اهتدى خالق الجسد إلى علم ما يصلح ذلك الداء من تلك العقاقير ، فلمّا كان خالق الداء والدواء واحداً أمضى الداء في العروق التي برأ وصور إلى الداء الذي عرف ووضع فعلم مزاجها من حرّها وبردها وليّنها وشديدها وما يدخل في كلّ دواء منه من القراريط والمثاقيل ، وما يصعد إلى الرأس منها وما يهبط إلى القدمين منها وما يتفرّق منه فيما سوى ذلك .

قال : لأشكّ في هذا لأنّه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منهما إلى ما وصفت . قلت : فإنّ الذي دلّ الحكيم الذي وصفت أنّه أوّل من خلط هذه الأدوية ودلّ على عقاقيرها المتفرّقة فيما بين المشرق والمغرب ، ووضع هذا الطبّ على ما وصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق والمغرب ، وهو باني الجسد ، وهو دلّ الحكيم بوحى منه على صفة كلّ شجرة وبلدها ، وما يصلح منها من العروق والثمار والدهن والورق والخشب واللحاء ؛ وكذلك دلّ على أوزانها من مثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكلّ داء منها ، وكذلك هو خالق السباع والطيور والدوابّ التي في مرارها المنافع ممّا يدخل في تلك الأدوية فإنّه لو كان غير خالقها لم يدر ما ينتفع به من مرارها وما يضرّ وما يدخل منها في العقاقير ؛ فلمّا كان الخالق سبحانه وتعالى واحداً دلّ على ما فيه من المنافع منها فسمّاه باسمه حتّى عرف وترك ما لا منفعة فيه منها ، فمن ثمّ علم الحكيم أيّ السباع والطيور في المنافع ، وأيّها لا منفعة فيه ، ولولا أنّ خالق هذه الأشياء دلّ عليه عليها ما اهتدى بها .

قال : إنّ هذا لكما تقول وقد بطلت الحواسّ والتجارب عند هذه الصفات . قلت : أمّا إذا صحّت نفسك فتعال ننظر بعقولنا ونستدلّ بحواسّنا ، هل كان يستقيم لخالق هذه الحديقة وغارس هذه الأشجار وخالق هذه الدوابّ والطيور والناس الذي خلق هذه الأشياء لمنافعهم أن يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في أرض غيره ممّا إذا شاء منعه ذلك ؟ .

قال : ما ينبغي أن تكون الأرض التي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرست فيه

الأشجار إلا لخالق هذا الخلق وملك يده . قلت : فقد أرى الأرض أيضاً لصاحب الحقيقة لاتصال هذه الأشياء بعضها ببعض . قال : ما في هذا شك . قلت : فأخبرني وناصح نفسك ألسنت تعلم أن هذه الحقيقة وما فيها من الخلقة العظيمة من الإنس والدواب والطيور والشجر والعقاقير والثمار وغيرها لا يصلحها إلا شربها وريها من الماء الذي لأحياء لشيء ، إلا به ؟ قال : بلى . قلت : أفترى الحقيقة وما فيها من الذرة خالقها واحد ، وخالق الماء غيره يحبسه عن هذه الحقيقة إذا شاء ويرسله إذا شاء فيفسد على خالق الحقيقة ؟ .

قال : ما ينبغي أن يكون خالق هذه الحقيقة وذاته ، هذا الذرة الكثير و غارس هذه الأشجار إلا المدبر الأول وما ينبغي أن يكون ذلك الماء لغيره ، وإن اليقين عندي لهو أن الذي يجري هذه المياه من أرضه وجباله لغارس هذه الحقيقة وما فيها من الخليقة لأنه لو كان الماء لغير صاحب الحقيقة لهلك الحقيقة وما فيها ، ولكنه خالق الماء قبل الغرس والذرة وبه استقامت الأشياء وصلحت . قلت : أفرايت لو لم يكن لهذه المياه المنفجرة في الحقيقة مفيض ^(١) لما يفضل من شربها يحبسه عن الحقيقة أن يفيض عليها أليس كان يهلك ما فيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لو لم يكن لها ماء ؟ قال : بلى ولكني لا أدري لعل هذا البحر ليس له حابس وأنه شيء لم يزل . قلت : أمّا أنت فقد أعطيتني أنه لولا البحر و مفيض المياه إليه لهلكت الحقيقة . قال : أجل . قلت : فأني أخبرك عن ذلك بما ستيقن بأن خالق البحر هو خالق الحقيقة وما فيها من الخليقة ، وأنه جعله مفيضاً لمياه الحقيقة مع ما جعل فيه من المنافع للناس .

قال : فاجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره . قلت : ألسنت تعلم أن فنول ماء الدنيا يصير في البحر ؟ قال : بلى . قلت : فهل رأيت زائداً قط في كثرة الماء وتتابع الأمطار على الحد الذي لم يزل عليه ؟ أو هل رأيت ناقصاً في قلة المياه وشدة الحرّ وشدة الصحو ؟ قال : لا . قلت : أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أن خالقه وخالق الحقيقة وما فيها من الخليقة واحد ، وأنه هو الذي وضع له حدّاً لا يجاوزه لكثرة الماء ولا لقلته ، وأن مما يستدل على ما أقول أنه يقبل بالأموج أمثال الجبال يشرف على

(١) المفيض : مجتمع الماء . ومدخله في الأرض وفي نسخة : المفيض بالغاء . وكذا في باباتي بعده .

السهل والجبل فلولم تقبض أمواجه ولم تحبس في المواضع التي أمرت بالاحتباس فيها لأطبقت على الدنيا حتى إذا انتهت على تلك المواضع التي لم تزل تنتهي إليها ذلت أمواجه وخضع أشرافه .

قال : إن ذلك لكما وصفت ولقد عاينت منه كل الذي ذكرت ، ولقد أتيتني ببرهان ودلالات ما أقدر على إنكارها ولا جحودها لبيانها . قلت : وغير ذلك سأتيك به مما تعرف اتصال الخلق بعضه ببعض ، وأن ذلك من مدبر حكيم عالم قدير ، ألت تعلم أن عامة الحديقة ليس شربها من الأنهار والعيون وأن أعظم ما ينبت فيها من العقاقير والبقول التي في الحديقة ومعاش ما فيها من الدواب والوحش والطير من البراري التي لا عيون لها ولا أنهار إنما يسقيه السحاب ؟ قال : بلى . قلت : أفليس ينبغي أن يدلك عقلك وما أدركت بالحواس التي زعمت أن الأشياء لا تعرف إلا بها أنه لو كان السحاب الذي يحتمل من المياه إلى البلدان والمواضع التي لاتنالها ماء العيون والأنهار وفيها العقاقير والبقول والشجر والأشجار لغير صاحب الحديقة لأمسكه عن الحديقة إذا شاء ، ولكن خالق الحديقة من بقاء خليقته التي ذراً وبرأ على غرور ووجل ، خائفاً على خليقته أن يحبس صاحب المطر الماء الذي لاحتياة للخليقة إلا به ؟ .

قال : إن الذي جئت به لو اوضح متصل بعضه ببعض ، وما ينبغي أن يكون الذي خلق هذه الحديقة وهذه الأرض ، وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض ، وأنبت فيها هذه الثمار المختلفة إلا خالق السماء والسحاب ؛ يرسل منها ما شاء من الماء إذا شاء أن يسقي الحديقة ويحيي ما في الحديقة من الخليقة والأشجار والدواب والبقول وغير ذلك ، إلا أنني أحب أن تأتيني بحجة أزداد بها يقيناً وأخرج بها من الشك . قلت : فإنني آتيك بها إن شاء الله من قبل إهليلجتك واتصالها بالحديقة ، وما فيها من الأشياء المتصلة بأسباب السماء لتعلم أن ذلك بتدبير عليم حكيم .

قال : وكيف تأتيني بما يذهب عني الشك من قبل الإهليلجة ؟ قلت : فيما أريك فيها من إتقان الصنع ، وأثر التركيب المزايف ، واتصال ما بين عروقها إلى فروعها ، واحتياج بعض ذلك إلى بعض حتى يتصل بالسماء . قال : إن أريتني ذلك لم أشك . قلت : ألت

تعلم أن الإهليلجة نابتة في الأرض وأن عروقها مؤلفة إلى أصل ، وأن الأصل متعلق بساق متصل بالغصون ، والغصون متصلة بالفروع ، والفروع منظومة بالأكام والورق ، وملبس ذلك كله الورق ، ويتصل جميعه بظل يقيه حر الزمان وبرده ؟ .

قال : أمّا الإهليلجة فقد تبين لي اتصال لعائنها وما بين عروقها و بين ورقها ومنبتها من الأرض ، فأشهد أن خالقها واحد لا يشركه في خلقه - غيره لا تقان الصنع واتصال الخلق وابتلاف التدبير وإحكام التقدير . قلت : إن أريدك التدبير مؤتلفاً بالحكمة والإتقان معتدلاً بالصنعة ، محتاجاً بعضه إلى بعض ، متصلاً بالأرض التي خرجت منه الإهليلجة في الحالات كلها أتقر بخالق ذلك ؟ قال : إذن لا أشك في الوحدانية . قلت : فافهم وافقه ما أصف لك : ألت تعلم أن الأرض متصلة بإهليلجتك وإهليلجتك متصلة بالتراب ، والتراب متصل بالحر والبرد ، والحر والبرد متصلان بالهواء والهواء متصل بالرياح ، والرياح متصلة بالسحاب ، والسحاب متصل بالمطر ، والمطر متصل بالأزمنة ، والأزمنة متصلة بالشمس والقمر ، والشمس والقمر متصلتان بدوران الفلك ، والفلك متصل بما بين السماء والأرض صنعة ظاهرة ، وحكمة بالغة ، وتأليف متقن ، وتدبير محكم ، متصل كل هذا ما بين السماء والأرض ، لا يقوم بعضه إلا ببعض ، ولا يتأخر واحد منهما عن وقته ، ولو تأخر عن وقته لهلك جميع من في الأرض من الأنام والنباتات ؟ قال : إن هذه لهي العلامات البيّنات ، والدلالات الواضحات التي يجري معها أثر التدبير ، بإتقان الخلق والتأليف مع إتقان الصنع ، لكنني لست أدري لعل ماتركت غير متصل بما ذكرت . قلت : وماتركت ؟ قال : الناس . قلت : ألت تعلم أن هذا كله متصل بالناس ، سخره لها المدبر الذي أعلمتك أنه إن تأخر شيء مما عدت عليك هلكت الخليفة ، وبأجمع ما في الحديقة ، وذهبت الإهليلجة التي تزعم أن فيها منافع الناس ؟ .

قال : فهل تقدر أن تفسر لي هذا الباب على ما لخصت لي غيره ؟ قلت : نعم أبين لك ذلك من قبل إهليلجتك ، حتى تشهد أن ذلك كله مسخر لبني آدم . قال : وكيف ذلك ؟ قلت : خلق الله السماء سقفاً رفوعاً ، ولولا ذلك اغتم خلقه لقبها ، وأحرقتهم

الشمس لدنوّها ، وخلق لهم شهباً ونجوماً يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر لمنافع الناس ، ونجوماً يعرف بها أصل الحساب ، فيها الدلالات على إبطال الحواسّ ، ووجود معلّمها الذي علمها عباده ، ممّا لا يدرك علمها بالعقول فضلاً عن الحواسّ ، ولا يقع عليها الأوهام ولا يبلغها العقول إلاّ به لأنّه العزيز الجبار الذي دبّرّها وجعل فيها سراجاً وقمر أميناً ، يسبحان^(١) في فلك يدور بهما دائبين ،^(٢) يطلعهما تارة ويؤفلهما أخرى ، فبنى عليه الأيام والشهور والسنين التي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف ، أزمنة مختلفة الأعمال ، أصلها اختلاف الليل والنهار اللذين لو كان واحد منهما سرمداً على العباد لما قامت لهم معاش أبدأ ، فجعل مدبّر هذه الأشياء وخالقها النهار مبصراً والليل سكناً ، وأهبط فيهما الحرّ والبرد متبائنين لودام واحد منهما بغير صاحبه ما نبتت شجرة ولا طلعت ثمرة ، واهلكت الخليقة لأنّ ذلك متصل بالريح المصرفة في الجهات الأربع ، باردة تبرّد أنفاسهم ، وحارة تلقح أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعاشهم ، ورطوبة ترطب طبائعهم ، ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها يأتلف المفترق وبها يتفرق الغمام المطبق حتى ينسبط في السماء كيف يشاء مدبّره فيجعله كسفأفترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم ، وأرزاق مقسومة وآجال مكتوبة ، ولو احتبس عن أزمنته ووقته هلكت الخليقة ويبست الحديقة ، فأنزّل الله المطر في أيامه ووقته إلى الأرض التي خلقها لبني آدم ، وجعلها فرشاً ومهاداً ، وحبسها أن تزول بهم ، وجعل الجبال لها أوتاداً ، وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما تنبت فيها لاتقوم الحديقة والخليقة إلاّ بها ، ولا يصلحون إلاّ عليها مع البحار التي يركبونها ، ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحم أطرياً وغيره يأكلونه ؛ فعلم أنّ إله البرّ والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحد حي قيّوم مدبّر حكيم ، وأنّه لو كان غيره لاختلقت الأشياء .

وكذلك السماء نظير الأرض التي أخرج الله منها حبّاً وعنباً وقضباً ، وزيتوناً

(١) سبح في الماء وبالماء : عام وانسبط فيه . ويستعار لمرّ النجوم وجرى الفرس وما شاكل .

(٢) أي مستمرين .

ونخلًا، وحدائق غلبًا، وفاكهة وأبًا، بتدبير مؤلف هيين، بتصوير الزهرة والثمرة حياة لبني آدم، ومعاشًا يقوم به أجسادهم، وتعيش بها أنعامهم التي جعل الله في أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشًا لهم لا يحيون إلا به، وصالحًا لا يقومون إلا عليه، وكذلك ما جهلت من الأشياء فلا تجهل أن جميع ما في الأرض شيئان: شيء يولد، وشيء ينبت، أحدهما آكل، والآخر مأكول، ومما يدلك عقلك أنه خالقهم ما ترى من خلق الإنسان وتهيئة جسده لشهوة الطعام، والمعدة لتطحن المأكول، ومجاري العروق لصفوة الطعام، وهيمًا لها الأمعاء، ولو كان خالق المأكول غيره لما خلق الأجساد مشتبهة للمأكول وليس له قدرة عليه.

قال: لقد وصفت صفة أعلم أنها من مدبر حكيم لطيف قد ير عليم، قد آمنت وصدقت أن الخالق واحد سبحانه وبحمده، غير أنني أشك في هذه السمائم القائلة أن يكون هو الذي خلقها لأنها ضارة غير نافعة! قلت: أليس قد صار عندك أنها من غير خلق الله؟ قال: نعم لأن الخلق عبيده ولم يكن ليخلق ما يضرهم. قلت: سأبصرك من هذا شيئًا ترفه ولا انبئك إلا من قبل أهليلجتك هذه وعلمك بالطب، قال: هات. قلت: هل تعرف شيئًا من النبات ليس فيه دشرة للخلق؟ قال: نعم. قلت: ما هو؟ قال: هذه الأظعمة. قلت: أليس هذا الطعام الذي وصفت يغير ألوانهم، ويهيج أوجاعهم حتى يكون منها الجذام والبرص والسلال^(١) والماء الأصفر، وغير ذلك من الأوجاع؟ قال: هو كذلك؟ قلت: أما هذا الباب فقد انكسر عليك. قال: أجل. قلت: هل تعرف شيئًا من النبات ليس فيه منفعة؟ قال: نعم.

قلت: أليس يدخل في الأدوية التي يدفع بها الأوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك، ويدفع الداء ويذهب السقم مما أنت أعلم به لطول معالجتك قال: إنه كذلك.

قلت: فأخبرني أي الأدوية عندكم أعظم في السمائم القائلة؟ أليس الترياق؟

(١) السل بالكسر في اللغة الهزال، وفي الطب القديم قرحة في الرية، وانما يسمى العرض به لان من لوازمه هزال البن، ولان الحمى الدقية لازمة لهذه القرحة.

قال : نعم هو رأسها و أول ما يفرغ إليه عند نهش الحيات ^(١) ولسع الهوام و شرب السمائم .

قلت : أليس تعلم أنه لا بد للأدوية المرتفعة والأدوية المحرقة في أخلاط الترياق إلا أن تطبخ بالأفاعي القاتلة ؟ قال : نعم هو كذلك ولا يكون الترياق المنتفع به الدافع للسمائم القاتلة إلا بذلك ، ولقد انكسر علي هذا الباب ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنه خالق السمائم القاتلة و الهوام العادية ، وجميع النبات والأشجار ، و غارسها ومنبتها ، وبارئ الأجساد ، وسائق الرياح ، و مسخر السحاب ، و أنه خالق الأدوية التي تهيج بالإنسان كالسمائم القاتلة التي تجري في أعضائه وعظامه ، ومستقر الأدوية وما يصلحها من الدواء ، العارف بالروح ومجري الدم و أقسامه في العروق واتصاله بالعصب والأعضاء والعصب والجسد ، وأنه عارف بما يصلحه من الحر والبرد ، عالم بكل عضو بما فيه ، و أنه هو الذي وضع هذه النجوم وحسابها والعالم بها ، والذال على نحو سها وسعودها وما يكون من المواليده ، وأن التدبير واحد لم يختلف ، متصل فيما بين السماء و الأرض وما فيها ؛ فيبين لي كيف قلت : هو الأول والآخر وهو اللطيف الخبير و أشباه ذلك ؛ قلت : هو الأول بلا كيف ، و هو الآخر بالنهاية ، ليس له مثل ، خلق الخلق والأشياء لا من شيء ، ولا كيف بالأعلاج ولا معاناة ولا فكر ولا كيف ، كما أنه لا كيف له ، وإنما الكيف بكيفية المخلوق لأنه الأول لا بد له ولا شبه ولا مثل ولا ضد ولا ند ، لا يدرك ببصر ولا يحس بلمس ، ولا يعرف إلا بخلقه تبارك و تعالى .

قال : فصف لي قوته . قلت : إنما سميت ربنا جل جلاله قوياً للخلق العظيم القوي الذي خلق مثل الأرض وما عليها من جبالها و بحارها و رمالها و أشجارها وما عليها من الخلق المتحرك من الإنس ومن الحيوان ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر المثقل بالماء الكثير ، والشمس والقمر وعظهما وعظم نورهما الذي لا تدركه الأبصار بلوغاً ولا منتهاً ، والنجوم الجارية ، و دوران الفلك ، و غلظ السماء ، وعظم الخلق العظيم

(١) نهش الحية تناوله بغمه ليعضته فيؤثر فيه ولا يجرحه .

والسمااء المسقفة فوقنا راكدة في الهواء ، ومادونها من الأرض المبسوطة ، وما عليها من الخلق الثقيل ، وهي راكدة لا تتحرك ، غير أنه ربما حرك فيها ناحية ، والناحية الأخرى ثابتة ، وربما خسف منها ناحية والناحية الأخرى قائمة ؛ يرينا قدرته ويداننا بفعله على معرفته ، فلهدا سمي قوياً بالقوة البطش المعروفة من الخلق ، ولو كانت قوته تشبه قوة الخلق لوقع عليه التشبيه ، وكان محتملاً للزيادة ، وما احتمل الزيادة كان ناقصاً وما كان ناقصاً لم يكن تاماً ، وما لم يكن تاماً كان عاجزاً ضعيفاً ، والله عز وجل لا يشبه بشيء ، وإنما قلنا : إنه قوي للخلق القوي ؛ وكذلك قولنا : العظيم والكبير ؛ ولا يشبه بهذه الأسماء الله تبارك وتعالى .

قال : أفرايت قوله : سميع بصير عالم ؟ قلت : إنما يسمي تبارك وتعالى بهذه الأسماء لأنه لا يخفى عليه شيء ، مما لا تدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير ، أو دقيق أو جليل ، ولا نصفه بصيراً بلحظ عين المخلوق ؛ وإنما سمي سميعاً لأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إهورا بهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، يسمع النجوى ، وديب النمل على الصفا ،^(١) وخفقان الطير في الهواء ،^(٢) لا تخفى عليه خافية ولا شيء ، مما أدركته الأسماع والأبصار وما لا تدركه الأسماع والأبصار ، ما جل من ذلك وما دق ، وما صغر وما كبر ؛ ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع المعقول من الخلق ؛ وكذلك إنما سمي عليماً لأنه لا يجهد شيئاً من الأشياء ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، علم ما يكون وما لا يكون ، وما لو كان كيف يكون ، ولم نصف عليماً بمعنى غريزة يعلم بها ، كما أن للخلق غريزة يعلمون بها ، فهذا ما أراد من قوله : عليم ؛ فعز من جل عن الصفات ، ومن نزل نفسه عن أفعال خلقه فهذا هو المعنى ، ولولا ذلك ما فصل بينه وبين خلقه فسبحانه وتقدسست أسماؤه

قال : إن هذا كما تقول ولقد علمت أنما غرضي أن أسأل عن رد الجواب فيه عند مصرف يسئح عني ، فأخبرني لعلي أحكمه فيكون الحجية قد انشرحت للمتعمت المخالف ، أو السائل المرتاب ، أو الطالب المرتاد ، مع ما فيه لأهل الموافقة من الازدياد . فأخبرني عن قوله : لطيف ، وقد عرفت أنه للفعل ، ولكن قد رجوت أن تشرح لي ذلك بوضوحك . قلت : إنما

(١) الصفا : الحجر الصلد الضخم .

(٢) خفق الطير : ضرب بجناحيه .

سمّيناه لطيفاً للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف مما خلق من البعوض والذرة،^(١) ومما هو أصغر منهما لا يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد،^(٢) فلما رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للسفاد^(٣) والهرب من الموت، والحدب على نسله من ولده، ومعرفة بعضها بعضاً، وما كان منها في لجاج البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا في منزلنا، ويفهم بعضهم بعضاً من منطقهم، وما يفهم من أولادها، ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أن خالقها لطيف وأنه لطيف بخلق اللطيف،^(٤) كما سمّيناه قوياً بخلق القويّ.

قال: إن الذي جئت به لو واضح، فكيف جاز للخلق أن يتسموا بأسماء الله تعالى؟ قلت: إن الله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه أباح للناس الأسماء ووهبها لهم، وقد قال القائل من الناس للواحد: واحد، ويقول لله: واحد، ويقول: قويّ والله تعالى قويّ، ويقول: صانع والله صانع، ويقول: رازق والله رازق، ويقول: سميع بصير والله سميع بصير، وما أشبه ذلك، فمن قال للإنسان: واحد فهذا له اسم وله شبيهه، والله واحد وهوله اسم ولا شيء له شبيهه وليس المعنى واحداً؛ وأمّا الأسماء فهي دلالتنا على المسمّى لأننا قد نرى الإنسان واحداً وإنما نخبر واحداً إذا كان مفرداً فعلم أن الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأن أعضائه مختلفة وأجزائه ليست سواءاً، ولحمه غير دمه، وعظمه غير عصبه، وشعره غير ظفره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق والإنسان واحد في

(١) الذر: صغار الذمل.

(٢) هذا تنبيه منه عليه السلام على وجود الحيوانات الحية والميكروبات المخفية عن الانظار والعقول، قبل وجود المكبّرات واختراع الميكروسكوب والمنظار بقرون، وغير خفى أن العلم بذلك في أحد عشر قرناً قبل زماننا لم يك يحصل إلا لذوى النفوس الكاملة والانظار الثاقبة، الذين خصهم الله من برئته بفضله، وأيدهم بحكمته، وانتجهم لولايتهم من بين خلقه، وعلّمهم ما لا يعلم غيرهم من عبيده.

(٣) وفي نسخة: والشهوة للبقاء.

(٤) وفي نسخة: لطيف بخلق اللطيف.



الاسم ، وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق ، فإذا قيل لله فهو الواحد الذي لا واحد غيره لأنه لا اختلاف فيه ، وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقوي وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين .

قال : فأخبرني عن قوله : رؤوفٌ رحيم ، وعن رضاه ومحبتة وغضبه وسخطه . قلت : إن الرحمة وما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود ، وإن رحمة الله ثوابه لخلقه ؛ والرحمة من العباد شيئان : أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقّة لما يرى بالمرحوم من الضر والحاجة وضروب البلاء ، والآخر ما يحدث منا من بعد الرأفة واللطف على المرحوم والرحمة منا ما نزل به ، وقد يقول القائل : انظر إلى رحمة فلان وإنما يريد الفعل الذي حدث عن الرقّة التي في قلب فلان ، وإنما يضاف إلى الله عز وجل من فعل ما حدث عنا من هذه الأشياء ؛ وأمّا المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لارحمة رقّة ؛ وأمّا الغضب فهو منا إذا غضبنا تغيرت طبائعنا وترتعد أحياناً مفاصلنا و حالات ألواننا ، ثم نجيب ، من بعد ذلك بالعقوبات فسمي غضباً ، فهذا كلام الناس المعروف ؛ والغضب شيئان : أحدهما في القلب ، وأمّا المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله جل جلاله ، وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة جل وعز لا شبيه له ولا مثل في شيء من الأشياء .

قال : فأخبرني عن إرادته قلت : إن الإرادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل ، وأمّا من الله عز وجل فالإرادة للفعل إحدائه إنما يقول له : كن فيكون بالاتباع ولا كيف .

قال : قد بلغت حسبك فهذه كافية لمن عقل ؛ والحمد لله رب العالمين ، الذي هدانا من الضلال ، وعصمنا من أن نشبهه بشيء من خلقه ، وأن نشك في عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته ، جل عن الأشباه والأضداد ، وتكبر عن الشركاء والأنداد

شرح : قوله **تعالى** : دفعت إليه على بناء المجهول أي دفعتك الحاجة والضرورة إليه ، وفي الأساس : دفع فلان إلى فلان : انتهى إليه . قوله **تعالى** : مغيض هو بفتح الميم و كسر الغين المعجمة : موضع يجري إليه الماء ، ويغيب أو يجتمع فيه ، وفي الثاني مصدر ميمي

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : في الجهات الأربع أي الشمال والجنوب واليبا والدبور ، ويحتمل أن يكون المراد المتغيرة بسبب الصفات الأربعة التي فسرها عَلَيْهِ السَّلَامُ . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : تلقح أجسادهم أي تنميتها ، مستعاراً من لقاح الشجر ، كما قال تعالى : و أرسلنا الرياح لواقح . و في أكثر النسخ بالفاء وهو بمعنى الإحراق ، فيكون كناية عن نضجها . والودق : المطر . قوله : و قضباً يعني الرطبة ، سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى . و حدائق غلباً أي عظاماً ، وصفت به الحدائق لتكافئها و كثرة أشجارها ، أولاً لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب . وأبياً : مرعى ، من أب إذا أم لأنه يؤم وينتجع ، أو من أب لكذا : إذا تهيأ له لأنه مهيباً للرعي ، وفاكهة يابسة تؤب للشتاء . وقال الجوهري : الأثاث : متاع البيت قال الفراء : لا واحد له ، و قال أبو زيد : الأثاث : المال أجمع ، الإبل والغنم والعييد والمتاع ، الواحدة : أثانة . انتهى . ومتاعاً أي شيئاً ينتفع به . إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : و الانتفاع عطف على أصوافها ، أو في أصوافها . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : و مستقر اسم مكان معطوف على الأداة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : هو الأوّل بلا كيف أي كان أزلياً من غير اتصاف بكيفية ، أو من غير أن تعرف كيفية أو ليته بمقارنة زمان قديم بل بلا زمان . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا من شيء ، ولا كيف أي لا من مادة ولا من شبه ومثال وتصوّر وخيال تمثل فيه كيفية الخلق ثم خلق على مثال ذلك كما في المخلوقين . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ثانياً : ولا كيف أي ليس لخلقه وإيجاده كيفية كما في المخلوقين من حركة ومزاولة عمل فكما أنه لا كيف لذاته لا كيف لإيجاده ، وإذا وصف خلقه وإيجاده بالكيف فهو يرجع إلى كيفية مخلوقه فإذا قيل : كيف خلق الأشياء فالمعنى الصحيح له كيف مخلوقاته لأنه كيف كان فعله و إيجاده ، وإليه أشار عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله : وإنما الكيف بكيفية المخلوق ، ثم علل ذلك بأن هذه صفات المحدّثين ، و هو الأوّل لا بد له ولا شبه فكيف يتصف بها . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : الذي خلق خبر مبتدأ محذوف أي هو الذي . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : و تصريف الرياح عطف على الخلق العظيم و يحتمل العطف على قوله : مثل الأرض . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : بلوغاً ولا منتهى لعل المراد أنه لا يبلغ الأَبصار إليهما ، ولا إلى منتهى نورهما ، أو منتهى جسمهما .

قوله **تَعَالَى** : وعظم الخلق العظيم أي السماء أو ما عليها من الملائكة . قوله : ولا يشبهه بهذه الأسماء على بناء المجهول من باب التفعيل أي لا يصير إطلاق هذه الأسماء عليه سبباً لأن يظن أنه شبيه بخلقه . قوله : إنما غرضي أي غرضي من السؤال أن تجيب عما يعرض لي من إشكال يصرفني عن الحق ، يسنح ويظهر عني ، وفي بعض النسخ عن ردّ الجواب فيه عند متعرف غيبي . أي إنني قد آمنت وأيقنت ، وإنما المقصود من السؤال أن أقدم على أن أجيب عن سؤال متعرف غيبي جاهل أحق لأهديه إلى الحق ؛ وهو أظهر . والحدب : العطف والشفقة ، ولعل المراد بما في أعنان السماء ما يطير في الهواء . وقد مر تفسير بعض الفقرات وسيأتي تفسير بعضها .

﴿ باب ٦ ﴾

﴿ التوحيد ونفى الشريك ومعنى الواحد والاحد والحمد ﴾
 ﴿ وتفسير سورة التوحيد ﴾

الآيات ، البقره : وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ١٦٣ « وقال تعالى :
 ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ^(١) يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد
 حباً لله ١٦٥ « وقال سبحانه : الله لا إله إلا هو الحي القيوم ٢٥٥ « وقال تعالى : لله
 ما في السموات وما في الأرض ٢٨٤

آل عمران : وما من إله إلا الله ٦٢ « وقال تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا
 إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ^(٢) ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً
 أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ٦٥ ^(٣)

(١) أي من الاصنام أو الرؤساء أو الاعم . يحبونهم أو يعظمونهم ويعفونهم كتعظيمه تعالى
 والويل إلى طاعته . قوله : أشد حباً لله أي لا تنقطع محبتهم لله ، بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض
 فاسدة تزول بأدنى سبب . منه رحمه الله .

(٢) أي لا يختلف فيها الرسل والكتب . منه رحمه الله .

(٣) أي الزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم ، واعترفوا بانكم كافرون بما نطقتم به
 الكتب وتطابقت عليه الرسل . منه رحمه الله .

النساء : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ٤٨ « وقال تعالى » : و من يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً *
 إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ١١٧ « وقال » : والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ١٣٢

انعام : قل أرايتكم إن أتيتكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين : بل إيتاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ٤٠ ، ٤١
 « وقال تعالى » : قل إنني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ٥٦

الاعراف : ما لكم من إله غيره « في مواضع » ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣
يونس : وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ٦٦ « وقال تعالى » : قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفيقكم وأمرت أن أكون من المؤمنين *
 وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين ١٠٤ - ١٠٦

هود : ألاتعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ٢

يوسف : ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ٣٨ « وقال » : يا صاحبي السجن، أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٩ ، ٤٠ « وقال » : وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ١٠٦

الرعد : له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال * والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال * قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه

فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء، وهو الواحد القهار ١٤ - ١٦ «وقال : قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ٣٠» «وقال» : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم أم تنبؤونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل ٣٣» «وقال» : قل إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْب ٣٦

ابراهيم : وليعلموا إنما هو إله واحد ٥٢

النحل : ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون * خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ٢، ٣ «وقال تعالى» : وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون * وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجترون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * نيكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون * ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٥١ - ٥٧

الاسراء : لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً * وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ٢٢، ٢٣ «وقال تعالى» : ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ٢٩ «وقال تعالى» : قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً * سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ٤٢، ٤٣ «وقال تعالى» : قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ٥٦، ٥٧

الكهف : فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ١٤، ١٥ «وقال الله تعالى» : لكننا هو الله ربّي ولا أشرك

بربِّي أحداً ٣٨ «وقال تعالى» : ويقول ياليتني لم أشرك بربِّي أحداً ٤٢ «وقال تعالى» :
 أفحسب^(١) الذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أولياء ١٠٢ «وقال تعالى» : قل إنما
 أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربّه^(٢) فليعمل
 عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ١١٠

مريم : واتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً * كلا سيكفرون بعبادتهم
 ويكونون عليهم ضدّاً ٨٢، ٨١

الانبياء : وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
 يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون * أم اتّخذوا آلهة من الأرض هم
 ينشرون *^(٣) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون *
 لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * أم اتّخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر
 من معي وذكروا من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون * وما أرسلنا من قبلك
 من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ١٩-٢٥ «وقال تعالى» : وإذا رآك
 الذين كفروا إن يتّخذونك إلهزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم
 كفرون ٣٦ «وقال تعالى» : قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر
 ربّهم معرضون * أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا
 يصحبون^(٤) ٤٢-٤٣ «وقال تعالى» : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها
 واردون * لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون * لهم فيها زفير وهم فيها
 لا يسمعون * إن الذين سبقت لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون ٩٨-١٠١ «وقال
 تعالى» : قل إنما يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ١٠٨

(١) مفعول الثاني «لحسب» مقدر أي نافعهم أو لاعنة بهم ، أوسد «أن يتّخذوا» مسد المفعولين .
 منه رحمه الله .

(٢) أي يأمل حسن لقاءه يخاف سوء لقاءه . منه رحمه الله .

(٣) قوله : هم ينشرون أي الوتى ، وهم وإن لم يقرّوا بذلك لكن يلزم ذلك من ادعائهم
 كونها آلهة . منه رحمه الله .

(٤) أي من عذابه ، وقوله : لا يستطيعون استينافى لا بطلان ما اعتقدوه . ولا هم منا يصحبون أي
 لا يجارون من عذابنا ولا يصحبهم منا نصر . منه رحمه الله .

الحج : حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ٣١ « وقال » : ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ٧١

المؤمنون : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ٩١-٩٢ « وقال عز وجل » : فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم * ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربّه إنه لا يفلح الكافرون ١١٦، ١١٧

الفرقان : واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ٣

الشعراء : فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتنكون من المعذنين ٢١٣

النمل : الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ٢٦ « وقال تعالى » : قل الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى، آله خير أمّا يشركون * أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، إله مع الله بل هم قوم يعدلون * (١) أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي (٢) وجعل بين البحرين حاجزاً، إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض، إله مع الله قليلاً ما تذكرون * أمّن يهديكم (٣) في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، إله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمّن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض، إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ٥٩ - ٦٤

القصص : ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * قال الذين

(١) أي يعدلون عن الحق . منه رحمه الله .

(٢) أي جبالاً ثابتة . والبحران : العذب والمالح وبعراً فارس والروم . منه رحمه الله .

(٣) أي بالنجوم وعلامات الأرض . بين يدي رحمته أي المطر من السماء والأرض أي بأسبابها .

منه رحمه الله .

حق عليهم القول^(١) ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون*^(٢) وقيل ادعوا شركائكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وראوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ٦٢ ، ٦٤ « وقال تعالى » : ولا تكونن من المشركين * ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ٨٧ ، ٨٨

العنكبوت : وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنتنكم بما كنتم تعملون ٨ « وقال عز وجل » : مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ٤١ - ٤٣

الروم : ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم^(٣) وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون * وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهُويتكم بما كانوا به يشركون ٣١ - ٣٥ « وقال تعالى » : الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ٤٠

لقمان : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ١٣ « وقال » : وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ١٥

سبا : قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا

(١) أى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين أغووا الخلق من الانس . ربنا هؤلاء الذين أغوينا يعنون اتباعهم . ما كانوا إيانا يعبدون أى لم يكونوا يعبدوننا ، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زيفوا عبادتنا ، أو لم يعبدونا باستحقاق . منه رحمه الله .

(٢) أى بعيلة لدفع العذاب أو إلى العق ، وقيل : « لو » للتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين . منه رحمه الله .

(٣) أى الشياطين حيث أطاعوهم ، وقيل : كانوا يتمثلون ويتغلبون أنهم الملائكة فيعبدونهم . منه رحمه الله .

في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ٢٢ « وقال تعالى » : قل أروني المذنبين ألحقتم به شركاء. كلا بل هو الله العزيز الحكيم ٢٧ « وقال سبحانه » : ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ٤٠ - ٤١

فاطر : يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنسى توفيقون ٣ « وقال سبحانه » : وما يستوي البحران هذا عذب فرات ^(١) سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحمًا طرياً و تستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل و سخر الشمس و القمر كل يجري لأجل مسمى ^(٢) ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ^(٣) ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ١٢ - ١٤ « وقال تعالى » : قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ٤٠

يس : واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم

جند محضون ٧٤، ٧٥

والصافات : والصافات صفاً * فالزاجرات زجراً * فالتاليات ذكراً * ^(٤)

(١) قيل : الفرات هو الذي ينكسر به العطش ، والسائغ : الذي يسهل انحداره ، و الاجاج : الذي يحرق ببلوحته . والمراد بالحلية اللثالي . مواخر أى تشق الماء بجريها . منه رحمه الله .
(٢) الاجل المسمى مدة دوره أى انتهاء ، أو يوم القيامة . القطمير لفاقة النواة . منه رحمه الله .
(٣) أى على فرض المحال ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانقاذ ، أو لتبريهم منكم مما تدعون لهم . منه رحمه الله .

(٤) اقسام بالملائكة الصافين فى مقام العبودية ، الزاجرين لاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها ، أو الناس عن المعاصى والشياطين عن التعرض لهم ، التاليين آيات الله تعالى و أسراره على أنبيائه وأصفيائه . أو بطوائف العلماء الصافين فى العبادات ، الزاجرين عن الكفر والمعاصى ، التاليين آيات الله و شرائعه . أو بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد ، الزاجرين الخيل والعدو ، و التاليين ذكر الله لا يشغلهم عنه مجاهدة الأعداء . منه قدس سره .

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ١ - ٥
ص : وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
العزيز الغفار ٦٥، ٦٦

الزمر : ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْتَبِهْ ۖ تَصْرَفُونَ ٦ « وَقَالَ تَعَالَى :
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ
مَنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ٨
« وَقَالَ تَعَالَى : قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۖ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ١٤، ١٥ « وَقَالَ
سُبْحَانَهُ » : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٩ « وَقَالَ تَعَالَى : قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَنْ أَعْبُدَ أَيُّهَا
الْجَاهِلُونَ ۖ وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٦٤-٦٦

المؤمن : ذَلِكَ بَأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا ١٢ « وَقَالَ :
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠
« وَقَالَ تَعَالَى : وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النُّجُودِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ
بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ٤١، ٤٢ « وَقَالَ تَعَالَى :
ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْتَبِهْ ۖ تُوْفِكُونَ ٦٢ « إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : هُوَ الْحَيُّ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ٦٥ « إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا
بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ٨٤

السجدة : قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ٦ « إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُورٌ بِالَّذِي
خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ « وَقَالَ تَعَالَى : إِذْ جَاءَتْهُمْ
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ١٤ « وَقَالَ تَعَالَى : وَيَوْمَ يَنَادُهُمْ
أَيُّكُمْ شَرَكَاؤِي قَالُوا أَذُنَاكَ مِثْلَ مِثْلٍ مِنْ شَهِيدٍ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا
مَالَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ٤٧، ٤٨ « وَقَالَ تَعَالَى : وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

تسجدوا للشمس ولللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون * فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسثمون ٣٧ ، ٣٨

حمسق : أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على

كل شيء قدير ٩ «وقال تعالى» : كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ١٣

الزخرف : وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني

فإنه سيهدين ٢٦ ، ٢٧ «وقال تعالى» : وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون

الرحمن آلهة يعبدون ٤٥ «وقال تعالى» : ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه

يصدون * وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ٥٧ ، ٥٨

الجاثية : ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء وإلهم

عذاب عظيم ١٠

محمد : فاعلم أنه لا إله إلا الله ١٩

ق : الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد ٢٦

الذاريات : ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنني لكم منه نذير مبين ٥١

الطور : أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون ٤٣

المتحنة : قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم

إننا برآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله ٤

الجن : قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً ٢٠

المزمل : رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ٩

التوحيد : قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له

كفواً أحد .

١ - يد ، ل : الطالقاني ، عن محمد بن سعيد بن يحيى ، عن إبراهيم بن الهيثم البلدي ،

عن أبيه ، عن المعافى بن عمران ، عن إسرائيل ، عن المقدم بن شريح بن هانئ ، عن أبيه قال :

إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أتقول : إن الله

واحد ؟ قال : فحمل الناس عليه وقالوا : يا أعرابي أماترى ما فيه أمير المؤمنين

من تقسم القلب؟^(١) فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي يريد من القوم؛ ثم قال: يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوز أن على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوز أن عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أما ترى أنه كفر من قال إنه ثالث ثلاثة؛ وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيهه وجل ربنا وتعالى عن ذلك. وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا؛ وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجوده ولا عقله ولا وهم كذلك ربنا عز وجل.

مع: عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن نصر بن عبدالوهاب بن عطاء بن واصل السنجري، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة الشعراني العمباري - من ولد عمّار بن ياسر - عن أبي محمد عبيدالله بن يحيى بن عبدالباقي الآذني، عن أبي المقدم بن شريح ابن هاني، عن أبيه مثله.

بيان: التقسيم: التفرّق، والمعنى الأوّل المنفي هو الوحدة العددية بمعنى أن يكون له ثان من نوعه، والثاني أن يكون المراد به صنفاً من نوع، فإن النوع يطلق في اللغة على الصنف، وكذا الجنس على النوع، فإذا قيل لرومي مثلاً: هذا واحد من الناس فهذا المعنى يكون المعنى أن صنف هذا صنف من أصناف الناس، أو هذا من صنف من أصنافهم، ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل الذي له ثان في الإلهية، وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس فالمراد أنه يريد به أي بالناس أنه نوع لهذا الشخص، ويكون ذكر الجنس لبيان أن النوع يستلزم الجنس غالباً فيلزم التركيب من الأجزاء العقلية. والمعنيان المثبتان: الأوّل منهما إشارة إلى نفي الشريك، والثاني منهما إلى نفي التركيب. وقوله: في وجود أي في الخارج.

(١) تقسم الشيء: فرقه. تقسمته الهموم أي وزعت خواطره.



٢ - يد ، مع : أبي ، عن محمد العطار ، عن ابن عيسى ، عن أبي هاشم الجعفري^(١) قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال : المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانية .

سن : أبي ، عن داود بن القاسم مثله .

٣ - ج : عن أبي هاشم الجعفري ، قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : قل هو الله أحد ما معنى الأحد؟ قال : المجتمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنَّ الله ؛ بعد ذلك له شريك و صاحبة ؟ .

بيان : قوله عليه السلام : بعد ذلك استفهام على الإنكار أي كيف يكون له شريك و صاحبة بعد إجماع القول على خلافه ؟ .

٤ - يد : ابن عصام والدقاق معاً ، عن الكليني ، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن جميعاً ، عن سهل ، عن أبي هاشم الجعفري قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال : الذي اجتماع الألسن عليه بالتوحيد كما قال الله عز وجل . ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله .^(٢)

(١) هو داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله ، كان جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام ، وثقه النجاشي ، وقد شاهد جماعة من الأئمة ، منهم الرضا ، والجواد ، والهادي والعسكري ، وصاحب الأمر عليهم السلام ، وروى عنهم ، وله أخبار ومسانل ، وله شعر جيد فيهم ، و كان مقدما عند السلطان ، وله كتاب روى عنه أحمد بن أبي عبد الله . وعده ابن طاووس «على ما حكى» في ربيع الشيعة من سفراء الصاحب عليه السلام والابواب المعروفين الذين لا تغتلف الاثنا عشرية فيهم .

(٢) الظاهر من مضمين الأحاديث الثلاثة أنها متحدة ، وأن أبا هاشم الجعفري سئل مرة واحدة عن موضوع واحد ، والاختلاف الذي يترأى فيها جاء من قبل الرواة بعد النقل بالمعنى ونقلها بالتفصيل والاجمال . كما أن الظاهر من الحديث الثاني الذي نقل فيها ألفاظ السائل بتمامها أن المسئول عنه هو معنى الأحد الواقع في سورة الاخلاص - بل هو صريح في ذلك - لا المعنى الواحد كما في الحديث الاول والثالث المنقولين بالمعنى ؛ وحاصل السؤال استفهام معنى الأحد ، و كانه أراد فهم الفرق بينه وبين معنى الواحد ، فأجابه عليه السلام بأن الأحد هو الذي لا يرى ذوى الألسن والعقول له شريك في وحدته ، واجتمعوا باتصافه بالوحدانية دون غيره ، ثم استشهد عليه السلام لكونه تعالى كذلك بالاية وأن طوائف الناس بأجمعها مذهبة باتصافه بأنه خالق السموات والأرض وأنه إلهما دون غيره . والحاصل كل ما يراه الناس بطوائفه وأصنافه أنه واحد في ذاته أو في صفاته ولم يروا في ذلك له شبيه ونظير فهو المسمى بالاحد ، بخلاف الواحد فإنه يحتمله وغيره والاول يسمى بالفارسية «يكناه» والثاني «يك» والاول لا يقع في مراتب الأعداد بخلاف الثاني .

بيان : يحتمل تلك الأخبار وجوهاً :

الأوّل : أن يكون عَلَيْهِ السَّلَامُ أحال معنى الواحد على ما هو المعروف بين الناس وأعرض عنه ، واستدلّ عليه بما جبل عليه جميع العقول من الإذعان بتوحيده .

الثاني : أن يكون المراد به أن معنى الواحد هو الذي أقرب به كل ذي عقل إذا صرف عنه الأغراض النفسانية .

الثالث : أن يكون هذا اللفظ بحسب الشرع موضوعاً لهذا المعنى مأخوذاً فيه إجماع الألسن .^(١)

ثمّ الظاهر أن يكون الآية احتجاجاً على مشركي قريش حيث كانوا يقرّون بأن الخالق لجميع المخلوقات هو الله تعالى ، ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ؛ ويحتمل أن يكون المراد أن غرائز الخلق كلّها مجبولة على الإذعان بتوحيده فإذ رجعوا إلى أنفسهم وتركوا العصبية والعناد يرون أنفسهم مذعنة بذلك ، وينبّه على ذلك أنّهم عند اضطرابهم في المهالك والمخاوف لا يلجؤون إلا إليه كما نبّه تعالى عليه في مواضع من القرآن المجيد ؛ والأوّل أظهر فإنّ للتوحيد ثلاثة معان : الأوّل توحيد واجب الوجود ، والثاني توحيد صانع العالم و مدبّر النظام ، و الثالث توحيد الإله وهو المستحقّ للعبادة ، وكان مشركوا قريش مخالفين في المعنى الثالث .

٥ - ج : عن هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول من زعم أن الله لم يزل معه طينة موزية فلم يستطع التفصّي^(٢) منها إلا بامتزاجه بها و دخوله فيها فمن تلك الطينة خلق الأشياء . قال : سبحان الله وتعالى ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصّي من الطينة ؛ إن كانت الطينة حيّة أزليّة فكانا إلهين قديمين فامتزجا

(١) أما المعنيان الأولان فهما بحسب الدقة واحد وهو الذي جبل عليه العقول ولا تأثير للشبهة العرفية في هذه المعاني ؛ وأما الثالث فاحتمال فاسد من أصله لا يعمل عليه إلاخبار إذ لا معنى لدعوة القرآن إلى الحقيقة الشرعية من غير بيان ولا إشارة إلغائاً وتمية . ط
(٢) التفصّي : التخلص .

و دبراً العالم من أنفسهما ، فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء ، وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم والميت لا يجيب ، منه حي^(١) . هذه مقالة الديصانية أشد الزنادقة قولاً و أهملهم مثلاً ، نظروا في كتب قد صنفتها أوائلهم ، وحبروها^(٢) لهم بالفاظ مرخزة من غير أصل ثابت ، ولا حجة توجب إثبات ما ادعوا ، كل ذلك خلافاً على الله وعلى رسله ؛ وتكذيباً بما جاؤوا به عن الله .

فأما من زعم أن الأبدان ظلمة و الأرواح نور وأن النور لا يعمل الشر والظلمة لا تعمل الخير فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ، ولا ركوب حرمة ، ولا إتيان فاحشة ، وأن ذلك على الظلمة غير مستنكر لأن ذلك فعلها ، ولاله أن يدعورباً ، ولا يتضرع إليه ، لأن النور رب ، والرب لا يتضرع إلى نفسه ، ولا يستعيز بغيره ، ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول : أحسنت و أسأت ، لأن الإساءة من فعل الظلمة و ذلك فعلها ، و الإحسان من النور ، ولا يقول النور لنفسه : أحسنت يا محسن ، و ليس هناك ثالث ، فكانت الظلمة على قياس قولهم أحكم فعلاً و أتقن تدبيراً و أعز أركاناً من النور لأن الأبدان محكمة فمن صور هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة ، و كل شيء يرى ظاهراً من الظهر و الأشجار و الثمار و الطير و الدواب يجب أن يكون إليها ثم حبست النور في حبسها و الدولة لها ، و ما ادعوا بأن العاقبة سوف تكون للنور فدعوى ، و ينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل لأنه أسير ، و ليس له سلطان فلا فعل له ولا تدبير ، وإن كان له مع الظلمة تدبير فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز فإن لم يكن كذلك و كان أسير الظلمة فإنه يظهر في هذا العالم إحسان و خير مع فساد و شر ، فهذا يدل على أن الظلمة تحسن الخير و تفعله كما تحسن الشر و تفعله ، فإن قالوا : محال ذلك فلانور يثبت ولا ظلمة ، و بطلت دعواهم و يرجع الأمر إلى أن الله واحد و ما سواه باطل فهذه مقالة «ماني» الزنديق و أصحابه .

و أما من قال : النور و الظلمة بينهما حكم فلا بد من أن يكون أكبر الثلاثة

(١) وفي نسخة : والميت لا يجيب منه حي .

(٢) أي ذبنوها و حسنوها بالفاظ باطيل موهمة .



الحكم ، لأنه لا يحتاج إلى الحاكم إلا مغلوب ، أوجاهل ، أو مظلوم ، وهذه مقالة المدقونية^(١) والحكاية عنهم تطول .

قال : فما قصة ماني ؟ قال : متفحص أخذ بعض المجوسية فشابها ببعض النصرانية ،^(٢) فأخطأ الملتين ولم يصب مذهباً واحداً منهما ، وزعم أن العالم دبّر من إلهين : نور وظلمة ، وأن النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه فكذبته النصراني وقبلته المجوس . الخبر .^(٣)

توضيح وتحقيق : اعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى إبطال مذاهب ثلاث فرق من الثنوية ولنحقق أصل مذاهبهم ليتضح ما أفاده عليه السلام في الرد عليهم .

الاول : مذهب الديسانية وهم أصحاب ديسان ، وهم أثبتوا أصليين : نوراً و ظلاماً ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام يفعل الشرّ طبعاً واضطراراً ، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شرّ وضرّ وفتن وقبح فمن الظلام ؛ وزعموا أن النور حيّ عالم قادر حسّاس درّاك ، ومنه تكون الحركة والحياة ؛ والظلام ميت جاهل عاجز جماد موات ، لافعل لها ولا تمييز ؛ وزعموا أن الشرّ يقع منه طبعاً ؛ وزعموا أن النور جنس واحد ، وكذلك الظلام جنس واحد ، وأن إدراك النور إدراك متفق ، وأن سمعه وبصره هو حواسه ، وإنّما قيل : سميع بصير لاختلاف التركيب لا لأنّهما في نفسيهما شيئان مختلفان .

وزعموا أن اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسّة^(٤) وإنّما وجده لوناً لأنّ الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة ، و وجده طعماً لأنّها خالطته بخلاف ذلك الضرب ، وكذلك يقول في لون الظلمة وطعمها و رائحتها و مجسّتها ؛ وزعموا أن النور بياض كله ، وأنّ الظلمة سواد كلها ؛ وزعموا أن النور لم يزل يلقي الظلمة بأسفل صفيحة منه ، وأنّ الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفيحة منها .

(١) وفي نسخة : وهذه مقالة المرقونية .

(٢) اي زادها ببعض النصرانية .

(٣) قال الفيروز آبادي : مجوس كصبور رجل صغير الاذنين وضع ذينا ودها إليه ؛ مرّب «ميج كوش» .

(٤) المجسّ والمجسّة : موضع اللبس .

واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم أن النور دخل الظلمة ، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذى بها ، وأحب أن يرققها ويلينها ثم يتخلص منها ، وليس ذلك لاختلاف جسمها ، ولكن كما أن المنشار جنسه حديد و صفيحته لينة وأسنانه خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد ، فيلطف النور بليته حتى يدخل فيما بين تلك الفرج فما أمكنه إلا بتلك الخشونة ، فلا يتصور الوصول إلى كمال ووجود إلا بلين و خشونة .

وقال بعضهم : بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفيحته ودرجه فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعها عن نفسه اعتمد عليه فلجج فيه و ذلك بمنزلة الإنسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجاً فيه ، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه .

وقال بعضهم : إن النور إنما دخل الظلام اختياراً ليصلحها ويستخرج منه أجزاء صالحة لعالمه ، فمما دخل تشبث به زماناً فصار يفعل الجور والقيح اضطراراً لا اختياراً ، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض والحسن البحت ،^(١) و فرق بين الفعل الضروري وبين الفعل الاختياري .

الثاني . مذهب المانوية أصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، و ذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ ديناً بين المجوسية و النصرانية ، وكان يقر بول نبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوته موسى عليه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى السوراق أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء لا من الأصل قديماً ، وزعم أنهما لم يزالا قويتين حساسين ، سميعين بصيرين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان ، والخير والشر متحاذيان تحاذي الشخص والظل ؛ والنور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه خيرة كريمة حليلة نافعة عالمة ، وفعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب

(١) البحت : الصرف الخالص .

والنظام والاتفاق ، وجهته فوق ، وأكثرهم على أنه مرتفع من ناحية الشمال .
وزعم بعضهم أنه بجانب الظلمة وأجناسه خمسة : أربعة منها أبدان ، والخامسة
روحها : فالأبدان النار والريح والنور والماء ، وروحها النسيم ، وهي تتحرك في هذه
الأبدان ، وصفاته حسنة خيرة طاهرة زكية .

وقال بعضهم : كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو ، وأرض النور
لم تنزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل على صورة جرم الشمس ، وشعاعها كشعاع
الشمس ، ورائحتها طيبة أطيب رائحة ، وألوانها ألوان قوس قزح .

وقال بعضهم : ولاشيء إلا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض النور ، وهي
خمس . وهناك جسم آخر أظلم منه وهو الجو وهو نفس النور ، وجسم آخر أظلم منه
وهو النسيم وهو روح النور . قال : ولم يزل يولد ملائكة وآلهة أولياء ليس على سبيل
المناكحة بل كما يتولد الحكمة من الحكيم ، والنطق الطيب من الناطق . وملك ذلك
العالم هو روحه ، ويجمع عالمه الخير والحمد والنور .

وأما الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر ، و
نفسها شريرة لئيمة سفينة ضارة جاهلة ، وفعالها الشر والفساد ، والضرر والغم و
التشويش والاختلاف ، وجهتها تحت ، وأكثرهم على أنها منحطة من جانب الجنوب .
وزعم بعضهم : أنها بجانب النور ، وأجناسها خمسة : أربعة منها أبدان والخامسة
روحها ، فالأبدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب ، وروحها الدخان ، وهو
يتحرك في هذه الأبدان ، وأما صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة دنسة .

وقال بعضهم : كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو ، فأرض الظلمة
لم تنزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي أكثف وأصلب ، ورائحتها كريهة أنتن الروائح
وألوانها السواد .

وقال بعضهم : ولاشيء إلا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض الظلمة ،
وجسم آخر أظلم منه وهو الدخان ، وجسم آخر أظلم منه وهو السموم ، وقال : ولم يزل
تولد الظلمة شياطين و عفاريت لاعلى سبيل المناكحة بل كما يتولد الحشرات من

العفونات القذرة ، قال : و ملك ذلك العالم هو روحه ، ويجمع عالمه الشرّ والذميمة و الظلمة .

ثم اختلفت المانويّة في المزاج وسببه ، والخلاص وسببه ؛ قال بعضهم إنّ النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لبالقصد والاختيار ، وقال أكثرهم : إنّ سبب الامتزاج أنّ أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت الأبدان على ممازجة النور ، فأجابتها لإسراعها إلى الشرّ ، فلمّا رأى ذلك ملك النور وجه إليها ملكاً من ملائكته في خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة ، فاختلطت الخمسة النورية بالخمس الظلامية ؛ فخالط الدخان النسيم ، وإنّما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم ، والهلاك والآفات من الدخان ؛ وخالط الحريق النار ؛ والنور الظلمة ؛ والسموم الريح ؛ والضباب الماء . فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور ، وما فيه من مضرة وشرّ وفساد فمن أجناس الظلمة ، فلمّا رأى ملك النور هذه الامتزاج أمر ملكاً من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليخلص أجناس النور من أجناس الظلمة ، وإنّما سارت الشمس والنجوم والقمر لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة . هذا ما ذكر الشهرستاني من تحقيق مذهبهم مع خرافات آخر نقلها عنهم .

وقال ابن أبي الحديد : قالت المانويّة : إنّ النور لانهاية له من جهة فوق وأما من جهة تحت فله نهاية ؛ والظلمة لانهاية لها من جهة أسفل و أما من جهة فوق فلها نهاية ؛ وكان النور و الظلمة هكذا قبل خلق العالم وبينهما فرجة ، وإنّ بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأشرقت الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فجاءت الظلمة ليستخلص المأمورين من تلك الأجزاء ،^(١) وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة ، فاقتضى حكمة نور الأ نوار وهو الباري سبحانه عندهم أن عمل الأرض من لحوم القتلى ، والجبال من عظامهم ، والبحار من صديدهم^(٢) و دمائهم ، والسماء من جلودهم ، وخلق الشمس والقمر وسيرهما لاستصفاء ما في العالم

(١) وفي نسخة : ليتخلص المأمورين من تلك الأجزاء .

(٢) الصديد : القيح المختلط بالدم .



من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة ، وجعل حول العالم خندقاً خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستصفي ، فهو لا يزال يزيد ويتضاعف ويكثر في ذلك الخندق وهو ظلام صرف قد استصفي نوره .

وأما النور المستخلص فيلحق بعد الاستصفاء بعالم الأنيوار فلاتزال الأفلاك متحركة والعالم مستمرّاً إلى أن يتم استصفاء النور الممتزج ، وحينئذ يبقى من النور الممتزج شيء منعقد باطل لا تقدر النيران على استصفائه ، فعند ذلك تسقط الأجسام العالية - وهي الأفلاك - على الأجسام السافلة - وهي الأرضون - وتفور نار تضطرم في تلك الأسافل وهي المسمّاة بجهنّم ، ويكون الاضطرام مقدار ألف وأربعمائة سنة ، فتحلّل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة التي عجز الشمس والقمر عن استصفائها فيرتفع إلى عالم الأنوار ويبطل حينئذ ، ويعود النور كلّه إلى حاله الأولى قبل الامتزاج وكذلك الظلمة .

الثالث : المرقوبيّة أنبتوا أصلين متضادين : أحدهما النور ، والثاني الظلمة ، واثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدّل الجامع وهو سبب المزاج ، فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع ، وقالوا : الجامع دون النور في الرتبة ، وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم .

و منهم من يقول : الامتزاج إنّما يحصل بين الظلمة و المعدّل إذ هو قريب منها فامتزج به ليتطّيب به ويلتذّ ملاذّه فبعث النور إلى العالم الممتزج روحاً مسيحية وهو روح الله وابنه تحنّناً على المعدّل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين ، فمن اتّبعه فلم يلامس النساء ولم يقرب الزهومات أفلت ونجا ، ومن خالفه خسرو هلك . قالوا : وإنّما أثبتنا المعدّل لأنّ النور الذي هو الله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان ، فإنّ الضدين يتنافران طبعاً ، ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ؟ فلا بدّ من معدّل تكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه . كذا ذكره الشهرستاني .

وقال ابن أبي الحديد : قول المجوس هو أنّ الغرض من خلق العالم أن يتحصن

الخالق جلّ اسمه من العدو^(١) وأن يجعل العالم شبكة له ليوقع العدو فيه ، ويجعله في ربط ووثاق . والعدو عندهم هو الشيطان وبعضهم يعتقد قدمه وبعضهم حدوثه .

قال قوم منهم : إنّ الباري عزّ وجلّ استوحش ففكر ففكرة رديّة فتولّد منها الشيطان . وقال آخرون : بل شكّ شكّاً رديّاً فتولّد الشيطان من شكّه . وقال آخرون : بل تولّد من عفونة رديّة قديمة .

وزعموا أنّ الشيطان حارب الباري سبحانه ؛ وكان في الظلمة لم يزل بعيداً عن سلطان الباري سبحانه فلم يزل يزحف حتى رأى النور فوثب وثبة عظيمة فصار في سلطان الله تعالى في النور ، وأدخل معه البلايا والشُرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك والأرض والعناصر شبكة له ، وهو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأوّل والظلمة فهو أبداً يضطرب و يرمي الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياء الله رماء الشيطان بالموت ، ومن أصحّحه رماء الشيطان بالسقم ، ومن سرّاه رماء الشيطان بالحزن والكآبة فلا يزال كذلك . وكلّ يوم ينتقص سلطانه وقوّته لأنّ الله تعالى يهتال له كلّ يوم ويضعفه ، إلى أن تذهب قوّته كلّها ، ويخمد و يصير جامداً هوائياً ، و يجمع الله تعالى أهل الأديان فيعدّ بهم بقدر ما يطهرهم ويصفّيهم من طاعة الشيطان ، ويفسّلهم من الأدناس ثمّ يدخلهم الجنّة وهي لا أكل فيها ولا شرب ولا تمتع ، ولكنها مودع لذّة وسرور .

أقول : لما عرفت هذه المذاهب السخيفة المزخرفة التي يغني تقريرها عن النعراض لإبطالها وتزييفها فلنرجع إلى توضيح الخبر .

ف نقول : يظهر من كلامه **نَبَأَهُ** أنّ الديصانيّة قالوا : بقدّم الطينة أي الظلمة ، وبحدوث الامتزاج ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى مانسبه الشهر ستاني إلى الزروانيّة حيث قال : زعم بعضهم أنّه كان لم يزل مع الله شيء رديّ إمّا فكرة رديّة ، وإمّا عفونة رديّة ، وذلك هو مصدر الشيطان ، وزعموا أنّ الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات ، وكان أهلها في خير محض ونعيم خالص فلما حدث «أهر من» حدثت الشرور والآفات والفتن ،^(٢) وكان بمعزل من السماء فاحتال حتى خرق السماء وصعد .

(١) وفي نسخة : أن ينحصر الخالق جلّ اسمه من العدو

(٢) وفي نسخة : والآفات والحقن



ثم إنه استدلَّ ﷺ على إبطال مذهبهم بوجهين : الأول أن قولكم : إنه تعالى كان لم يزل متأذياً من تلك الطينة ولم يستطع التفصي منها يستلزم عجزه تعالى ، والعجز نقص يحكم العقل ببراءة صانع مثل هذا النظام عنه ، وأيضاً يوجب الاحتياج إلى من يرفع و يدفع ذلك عنه ، وهوينافي وجوب الوجود الذي قام البرهان على اتصاف الصانع تعالى به .

والثاني : أنه لا يخلو إما أن تكون تلك الطينة الأزلية حية عالمة قادرة ، فيكون كل منهما إلهاً واجباً بالذات ، لما قد ثبت بالعقل والنقل أن الممكن لا يكون قديماً فإذا حصل العالم من امتزاجهما فلا يجوز على شيء من أجزاء العالم الموت والفناء إذ انتفاء المركب إنما يكون بانتفاء أحد أجزائه والجزآن هنا قديمان . ويحتمل أن يكون هذا إلزاماً عليهم حيث أثبتوا الظلمة و جعلوها ميتة جاهلة عاجزة جماداً لينسبوا إليها الموت والفناء ؛ زعماً منهم أن مثل هذه الأمور لا يصدر عن النور الحي العالم القادر ، وإساً أن تكون ميتة أي عادمة للقدرة والعلم والإرادة ، وهذا محال إذ القدم يستلزم وجوب الوجود ، وهو يستلزم الاتصاف بالعلم والقدرة وسائر الكمالات ، وإليه أشار ﷺ بقوله فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم . ثم أبطل ﷺ ذلك بوجه آخر ، و هو أنهم ينسبون خلق الموزيات كالحيات والعقارب والسباع إلى الظلمة ، ولو كانت ميتة لا يجوز نسبة خلقها إليها إذ العقل يحكم بديهته أنه يجب أن يكون الصانع أشرف من المصنوع من جميع الجهات وكيف يفيض الحياة والعلم والقدرة ممن لم يكن له حظٌ منها .

و أما المانوية فيظهر من كلامه ﷺ في تقرير مذهبهم غير مأمراً من نقل الناقلين لمذهبهم ولا عبرة بنقلهم ، فانهم كثيراً ما ينسبون أشياء إلى جماعة من الشيعة وغيرهم مما قد نعلم خلافها ، مع أنه يحتمل أن يكون كلامهم مرهوزاً ، وعلم ﷺ أن مرادهم بالنور الروح ، وبالظلمة الجسد ؛ والنور هو الرب تعالى . ويؤيده أنه كان الملعون نصرانياً ومذهب النصارى في المسيح ﷺ قريب من ذلك ، و يحتمل أن يكون ما ذكره ﷺ مذهباً لجماعة من قدمائهم ، ثم غيروه إلى ما نقل عنهم ؛ وكون النور أسيراً

للظلمة يحتمل أن يكون كناية عن عدم استقلاله في التدبير و معارضة أهرمن له في كثير مما يريد . وقد استدلَّ عَلَيْهِ عَلَى بطلان مذهبهم بوجوه :

الأول : أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور والمساوي والمعاصي لأنها من فعل الجسد الذي هو الظلمة ، ولا يتأتى منه الخير ، ولا يستحق أحد الملامة على الشر ، لكونه مجبوراً عليه ، وقد نراهم يلومون الناس على الشرور والمساوي ، فهذا دليل على بطلان مذهبهم .

الثاني : أنهم يستحسنون التضرع إلى الرب تعالى و عبادته والاستعانة به ، و أمثال تلك الأعمال فعل الروح الذي هو الرب بزعمهم فكيف يعبد نفسه و يستعين بنفسه و يتضرع إليها ؟ و إن قالوا : إنه يتضرع إلى الظلمة فكيف يليق بالرب أن يستعيد بغيره ؟ .

الثالث : أنه يلزم أن لا يجوز أن يقول أحد لأحد : أحسنت و لأسأت ، و هذا باطل اتفاقاً و بديهياً ؛ و أمّا بيان الملازمة فلأن الحاكم بذلك إما النور أو الظلمة ، إذ المفروض أنه لا شيء غيرهما . و كلاهما باطلان : أمّا الأول فلأن الظاهر من هذا الكلام المغايرة بين المادح والممدوح و المفروض اتحادهما ، و يحتمل أن يكون هذا منسباً على ما يحكم به العقل بديهياً من المغايرة بين الأشخاص ، مع أنهم يقولون : بأن أرواح جميع الخلق شخص واحد هو النور و هو الرب تعالى ، وهذا قريب من الوحدة التي قالت به الصوفية . و أمّا الثاني فلأن الظلمة فعلها الإساءة و تعدّها حسنة ، فكيف تحكم بقبحها ؟ .

ويمكن تقرير الملازمة بوجه آخر بأن يقال : ظاهر أن التحسين والتشجيع من فعل النور ، ولا يتصور منه شيء ، منها لأن المخاطب في «أسأت» هو الظلمة وهو مجبور على فعل القبيح بزعمهم فلا يستحق اللوم ، و هو المراد بقوله : وذلك فعلها ، والمخاطب في « أحسنت » هو النور لأن الحسن فعله فيتحد المادح والممدوح .

الرابع : أنهم يحكمون بأن النور هو الرب تعالى ، ويجب على هذا أن يكون أقوى و أحكم و أتقن من الظلمة التي هي مخلوقة ، و يلزمهم بمقتضى أقوالهم الفاسدة

عكس ذلك لأن الأبدان عندهم من فعل الظلمة ، ولا يحكم بقدره الرب وعلمه وحكمته إلا بما نشاهد من تلك الأبدان المختلفة ، و الأشجار و الثمار ، والطيور والدواب ، ولا نشاهد ما يقولون من الأرواح شيئاً ؛ فيلزمهم على قياس ذلك أن تكون الظلمة إلهاً قادراً حكيماً عليماً . فقوله ﷺ : من صور مبتداء ، و قوله : يجب أن يكون إلهاً خبره . و قوله : كل شيء معطوف على قوله : هذا الخلق .

الخامس : قولهم : بأن النور في حبس الظلمة ينا في القول بر بويسته لان كونه محبوساً يستلزم عجزه و نقصه ، و كل منهما ينا في الربويّة كما مر ، وما ادعوا من أنه في القيامة يغلب النور عليها فمع أنه لا ينفع في دفع الفساد فهو دعوى من غير حجة . وأيضاً يلزمهم أن لا يكون للنور فعل لأنه أسير . وإن قالوا : بأن له أيضاً فعلاً من الخلق و التدبير فليس بأسير لأن العقل يحكم بأن الخالق المدبر لا بد من أن يكون عزيزاً منيعاً قادراً قاهراً على كل من سواه فلما ثبت على قياس قولهم أنه أسير فيلزمهم بما قررنا أن يكون ما في العالم من الإحسان والخير أيضاً من فعل الظلمة ، فإن حكموا باستحالة ذلك أي كون الخير من الظلمة فقد بطل أصل كلامهم ، وهو الحكم بتوزيع الخلق ، و ثبت ما قلناه : من أن الرب تعالى واحد لا يشاركه ولا يضاده في ملكه أحد .

و أما مذهب المرقويّة فقد بين ﷺ بطلانه بأن القول بالحكم ينا في القول بر بويّة النور ، لأن الحكم يكون قاهراً والنور مقهوراً ، و بديهية العقل حكمة يبطلان كون الرب مقهوراً . وأيضاً يلزم أن يكون الحكم أعلم بالحكمة من النور الذي حكمت أنه رب ، و الضرورة قاضية بأن الرب الخالق لمثل هذا الخلق المدبر لهذا النظام لا يكون جاهلاً . هذا جملة القول في هذا الخبر على ما ناله فهمي القاصر ، و بسط القول فيه يحتاج إلى كتاب مفرد معمول لذلك . والله الموفق لكل خير .

٦ - ٥ : ثم رد على الثنوية الذين قالوا بإلهين فقال تعالى : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . قال : لو كان إلهين كما زعمتم لكانا يخلقان ، فيخلق هذا ولا يخلق هذا ، ويريد هذا ولا يريد هذا ، ولطلب كل واحد منهما الغلبة ، و إذا أراد أحدهما خلق إنسان و أراد الآخر

خلق بهيمة فيكون إنساناً و بهيمة في حالة واحدة وهذا غير موجود ، فلمّا بطل هذا ثبت التدبير ، والصنع لواحد ؛ ودلّ أيضاً التدبير وثباته وقوام بعضه ببعض على أن الصانع واحد جلّ جلاله ، و ذلك قوله : ما اتخذ الله من ولد الآية ، ثمّ قال أنفأ : سبحان الله عمّا تصفون .

بيان : أنفأ بالتحريك أي استنكافاً و تنزّهاً .

٧ - يد ، مع : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن الربيع بن محمد قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام - وسئل عن الصمد - فقال : الصمد الذي لا جوف له .
٨ - يد ، مع : الدقباق ، عن الكليني ، عن علّان ، عن سهل ، عن محمد بن وليد - و لقبه شباب الصيرفي - عن داود بن القاسم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ما الصمد؟ قال : السيّد المصمود إليه ^(١) في القليل والكثير .

٩ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن الأشعري ، عن الميثمي ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن اليهود سألو أرسول الله صلوات الله عليه وآله فقالوا : انسب لنا ربك فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ، ثمّ نزلت هذه السورة إلى آخرها فقلت : ما الصمد؟ فقال : الذي ليس بمجوف .

١٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن الحسن بن أبي السري ، عن جابر بن يزيد قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد ، فقال : إن الله تباركت أسماؤه التي يدعابها ، وتعالى في علو كنهه ، واحد توحيد في علو توحيد ، ^(٢) ثمّ أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدّوس ، يعبد كل شيء ، ويصمد إليه كل شيء ، ووسع كل شيء علماً .

إيضاح : واحد خبر «إن» والجملتان معترضان أي تطهّرت أسماؤه عن النقائص أو كثرت صفات جلاله و عظمته ، أو ثبت ولا يعترىها التغيير ، وكلمة «في» في قوله : في علو كنهه تعليلية . وقوله عليه السلام : توحيد بالتوحيد أي لم يكن في الأزل أحد يوحدّه

(١) صمد إليه : قصده .

(٢) وفي نسخة : في علو توحيد .



فهو كان يوحد نفسه فكان متفرداً بالوجود ، متوحداً بتوحيد نفسه ، ثم بعد الخلق عرفهم نفسه ، وأمرهم أن يوحدوه ، أو المراد أن توحده لا يشبه توحيد غيره ، فهو متفرد بالتوحيد ،^(١) أو كان قبل الخلق كذلك ، وأجرى سائر أنواع التوحيد على خلقه ، إذا الوحدة تساوق الوجود أو تستلزمه لكن وحداتهم مشوبة بأنواع الكثرة .

١١ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن علي بن سيف بن عميرة ، عن محمد بن عبيد قال : دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي : قل للعباسي^(٢) يكف عن الكلام في التوحيد وغيره ، ويكلم الناس بما يعرفون ، ويكف عما ينكرون ، وإذا سألك عن التوحيد فقل - كما قال الله عز وجل - : قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد * وإذا سألك عن الكيفية فقل - كما قال الله عز وجل - : ليس كمثله شيء ، وإذا سألك عن السمع فقل - كما قال الله عز وجل - : هو السميع العليم ؛ كالم الناس بما يعرفون .

١٢ - يد : حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثم الإيلاقي رضي الله عنه ، قال حدثنا أبو سعيد عبدان بن الفضل ، قال : حدثني أبو الحسن محمد بن يعقوب بن محمد بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بمدينة خجندة ، قال : حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن شجاع الفرغاني ، قال حدثني أبو محمد الحسن بن حماد القبري بمصر ، قال : حدثني إسماعيل بن عبد الجليل البرقي ، عن أبي البخترى وهب بن وهب القرشي ، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل : قل هو الله أحد ، قال : « قل ، أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ، ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، و « هو » إسم مشارومكنى إلى غائب ، فالهاء تنبيه عن معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك : « هذا » إشارة إلى الشاهد عند الحواس ، وذلك أن

(١) وفي نسخة : فهو متفرد بالتوحيد .

(٢) العباسي لقب جمع كثير مشترك بين النقة والضعيف منهم إبراهيم بن هاشم ، وهشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني ، وهشام بن إبراهيم البغدادي المشقي وغيرهم ، والظاهر من الوحيد البهبهاني أن الواقعة في الحديث هو المشرق ، وأنه ثقة

الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك ، فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : قل هو الله أحد . فالهاء تثبت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس ، والله تعالى عن ذلك ^(١) بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل : بدر بليلة ، فقلت له : علمني شيئاً أنصربه على الأعداء ، فقال : قل : يا هو يا من لا هو إلهو . فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : لي يا علي علمت الأسم الأعظم ؛ وكان على لساني يوم بدر ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قرأ قل هو الله أحد ^(٢) فلما فرغ قال : يا هو يا من لا هو إلهو اغفر لي وانصربي على القوم الكافرين .

وكان علي عليه السلام يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد ، ^(٣) فقال له عمار بن ياسر : يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات ؟ قال : اسم الله الأعظم ، وعماد التوحيد لله لا إله إلا هو ، ثم قرأ : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأواخر الحشر ، ثم نزل فصلي أربع ركعات قبل الزوال . قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ، ^(٤) ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات .

قال الباقر عليه السلام : الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك مائيته والإحاطة بكيفيته ، ويقول العرب : أله الرجل : إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً ، ووله : إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه ، فالإله هو المستور عن حواس الخلق .

قال الباقر عليه السلام : الأحد الفرد المتفرد ، والأحد والواحد بمعنى واحد ^(٥) وهو

(١) وفي نسخة : وأنه تعالى عن ذلك .

(٢) وفي نسخة : قرأ يوم بدر قل هو الله أحد .

(٣) طارداً لاقران : حمل بعضهم على بعض .

(٤) وفي نسخة : تأك فيه الخلق .

(٥) لعل المراد أن الأحد والواحد الذان يتصف بهما الله تعالى معناهما واحد ، لا مطلقهما حيث

يستعمل . أو أن الواحد الذي يستعمل في غير باب الأعداد والاجناس مترادف مع الواحد في المعنى . كما

تقدم تفصيل ذلك في الحديث الأول فتأمل .

المتفرّد الذي لا نظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الألفراد ، والواحد المتبائن الذي لا ينبعث من شيء ، ولا يتحد بشيء ، ومن ثمّ قالوا : إنّ بناء العدد من الواحد ، وليس الواحد من العدد ، لأنّ العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين ، فمعنى قوله : الله أحد أيّ المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرداً بلهيته ، متمال عن صفات خلقه .

قال الباقر عليه السلام : وحدّني أبي زين العابدين ، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنّه قال : الصمد : الذي لا جوف له . والصمد : الذي قد انتهى سوده . والصمد : الذي لا يأكل ولا يشرب . والصمد : الذي لا ينالم . والصمد : الدائم الذي لم يزل ولا يزال . قال الباقر عليه السلام : كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول : الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره . وقال غيره : الصمد : المتعالي عن الكون والفساد ، والصمد : الذي لا يوصف بالتغاير .

قال الباقر عليه السلام : الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر ونه .

قال : وسئل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد فقال : الصمد : الذي لا شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء ^(١) ، ولا يعزب عنه شيء ^(٢) .

١٣ - قال وهب بن وهب القرشي : قال زيد بن علي عليه السلام : الصمد الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون ، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً ، وتفرّد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند .

١٤ - قال وهب بن وهب القرشي : وحدّني الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه الباقر ، عن أبيه عليه السلام أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد ، فكتب إليهم : **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** أمّا بعد فلا تخوضوا في القرآن ، ولا تجادلوا فيه ، ولا تتكلموا فيه بغير علم ، فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ؛ وأنّه سبحانه قد فسّر الصمد ^(٣) فقال : الله أحد الله الصمد ،

(١) أي لا يضره ولا يثقل عليه حفظ شيء .

(٢) أي لا يفتقر ولا يفتقر عنه شيء .

(٣) وفي نسخة . وأن الله سبحانه قد فسّر الصمد .



ثم فسره فقال : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . لم يلد لم يخرج منه شيء ، كئيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا يتشعب منه البدايات ،^(١) كالسنة والنوم ، والخطرة والهيم ، والحزن والبهجة ، والضحك والبكاء ، والخوف والرجاء ، والرغبة والسامة ، والجوع والشبع ؛ تعالى أن يخرج منه شيء ، وأن يتولد منه شيء كئيف أولطيف . ولم يولد لم يتولد من شيء ، ولم يخرج من شيء ، كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء ، والدابة من الدابة ، والنبات من الأرض ، والماء من الينابيع ، والثمار من الأشجار ، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها ، كالبصر من العين ، والسمع من الأذن ، والشم من الأنف ، والذوق من الفم ، والكلام من اللسان ، والمعرفة والتمييز من القلب ، كالنار من الحجر . لابل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ، ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ، ومنشئ الأشياء بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذاكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً أحد .

١٥ - قال وهب بن وهب القرشي : سمعت الصادق عليه السلام يقول : قدم وفد من فلسطين^(٢) على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ، ثم سألوه عن الصمد فقال : تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف ، فالألف دليل على إنبيته ، وهو قوله عز وجل : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس ، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله ، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته لطيفة خافية لا يدرك بالحواس ، ولا يقع في لسان واصف ، ولا أذن سامع لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك ما يتيته وكيفيته بحس أو بوجه ، لابل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس ، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق ، وتركيب أرواحهم اللطيفة

(١) البدايات : الأراء المختلفة . ولعله أراد به الحالات المختلفة ؛ وفي بعض النسخ : البدايات .

(٢) الوفد بفتح الواو وسكون الفاء : قوم يجتمعون فيردون البلاد .

في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه ، كما أن الصمد لا يتبين ولا تدخل في حاسة من حواسه الخمس ، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف ، فمتى تفكر العبد في مائة الباري وكيفيته أله فيه وتحير ولم تحط فكرته بشيء ، يتصور له ، لأنه عز وجل خالق الصور ، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز وجل خالقهم ، ومركب أرواحهم في أجسادهم ؛ وأما الصاد فدل على أنه عز وجل صادق ، وقوله صدق و كلامه صدق ، ودعا عباده إلى اتباع الصاد بالصدق ، ووعد بالصدق دار الصدق ؛ وأما الميم فدل على ملكه ، وأنه الملك الحق ، لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه ؛ وأما الدال فدل على دوام ملكه ، وأنه عز وجل دائم تعالى عن الكون والزوال ، بل هو الله عز وجل مكون الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن .

ثم قال عليه السلام : لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حيلة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد ، وكيف لم يجد جددي أمير المؤمنين عليه السلام حيلة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ^(١) ويقول على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جماً ، هاه هاه ، ألا لأجد من يحمله ، ألا إنني عليكم من الله الحجّة البالغة ، فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قديسوا من الآخرة كما يش الكفار من أصحاب القبور .

ثم قال الباقر عليه السلام : الحمد لله الذي من علينا ووفقنا لعبادته الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وجنبنا عبادة الأوثان ، حمداً سرمداً و شكراً واصباً . وقوله عز وجل : لم يلد ولم يولد يقول الله عز وجل : لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه ، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيته وملكه ، ولم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه ^(٢) .

بيان : روي في معاني الأخبار ما يتعلق بتأويل الصمد من هذا الخبر بهذا الإسناد . ثم أعلم أن تحقيق معنى «هو» بهذا الوجه غير معروف ، ولا يبعد أن يكون في أصل الوضع

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) وفي نسخة : فيعازونه في سلطانه .



كذلك . وقوله : ولأنه صيغة المتكلم من أله بمعنى تحيّر . واختلف في لفظ الجلالة فالمشهور أنه عربي مشتق ، إما من أله بمعنى عبد ، أو من أله : إذا تحيّر ، إذ العقهـول تحيّر في معرفته ، أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه ، لأن القلوب تطمئن بذكره ، والأرواح تسكن إلى معرفته ، أو من أله : إذا فزع من أمر نزل عليه ، وأله غيره : أجاره ، إذ العابد يفزع إليه وهو يجيره ، أو من أله الفصيل : إذا ولع بأمه ، إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد ، أو من وله : إذا تحيّر وتخبّط عقله ، وكان أصله ولاء فقلبت الواو همزة لاستئصال الكسرة عليها ، أو من لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها : إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأَبصار ، ومرتفع على كل شيء ، وعمّا لا يليق به ، وقيل : إنه غير مشتق وهو علم للذات المخصوصة وضع لها ابتداءً . وقيل : أصله «لاها» بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه .

وقال الرازي : ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوهاً ؛ أحدها : أن الواحد يدخل في العدد والأحد لا يدخل فيه . وثانيها : أنك إذا قلت : فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال : لكنّه يقاومه اثنان بخلاف الأحد . و ثالثها : أن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي . انتهى .

وقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : ومن ثمّ لبيان أن الواحد الحقيقي هو الذي لا يكون فيه شيء ، من أنحاء التعدّد لأن الوحدة تقابل العدد .

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في معنى الصمد ، فقيل : إنه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه : إذا قصده ، وهو السيد المقصود إليه في الحوائج . وروت العامة عن ابن عباس أنّه لما نزلت هذه الآية قالوا : ما الصمد ؟ قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : هو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج . وقيل : إن الصمد هو الذي لا جوف له ؛ وقال ابن قتيبة : الدال فيه مبدلة من التاء وهو الصمت ؛ ^(١) وقال بعض اللغويين : الصمد : هو الأملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله ولا يخرج منه شيء ،

(١) قال الشيخ قدس سره في كتابه التبيان : ومن قال : الصمد بمعنى الصمت فقد جهل الله ،

لان الصمت هو المتناقض الاجزاء ، وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى .

فعلى الأول عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق واحتياج كل شيء في جميع أمورده إليه أي الذي يكون عنده ما يحتاج إليه كل شيء، ويكون رفع حاجة الكل إليه، ولم يفقد في ذاته شيئاً مما يحتاج إليه الكل، وإليه يتوجه كل شيء بالعبادة والخضوع، وهو المستحق لذلك، وإليه يؤمى خبر الجعفري .

وأما على الثاني فهو مجاز عن أنه تعالى أحدي الذات أحدي المعنى ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف، ولا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف؛ أو عن أنه الكامل بالذات ليس فيه جهة استعداد وإمكان ولا خلوة له عما يليق به، فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس له في ذاته فيستكمل به، فالجوف كناية عن الخلو عما لا يصح اتصافه به .

وأما على الثالث فيكون كناية عن عدم الانفعال والتأثر عن الغير، وكونه محلاً للحوادث كما سيأتي في جواب من سأل الصادق عليه السلام عن رضا الله وسخطه، فقال: ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال لأن المخلوق أجوف، معتمل، مركب، للأشياء فيه مدخل؛ وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنه واحد وأحدي الذات وأحدي المعنى، وهذا الخبر يؤيد بعض المعاني السابقة أيضاً .

وقد نقل بعض المفسرين عن الصحابة والتابعين والأئمة واللغويين قريباً من عشرين معنى،^(١) ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأول لأنه لا شتماله على

(١) تقدمت جملة من المعاني المروية عن الأئمة عليهم السلام في الخبر ١٣ و ١٤ . وأما ما نقل من المعنى عن غيرهم فقد نقل عن سعيد بن جبیر أن المعنى : هو الكامل في جميع صفاته و أفعاله . وعن قتادة : هو الباقي بعد فناء خلقه . وعن ربيع : هو الذي لا يعتبره الآفات . وعن مقاتل بن حيان : هو الذي لا عيب فيه . وعن الأصم : هو الخالق للأشياء . وعن السدي : هو المقصود في الرغائب ، المستغاث به عند المصائب . وعن الحسين بن الفضل النجلى : هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . وعن أبي بن كعب : هو الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث السماوات والأرض . وعن بيان وأبي مالك : هو الذي لا ينام ولا يسهو . وعن ابن كيسان : هو الذي لا يوصف بصفة أحد . وعن أبي بكر الوراق : أنه الذي آيس الخلائق من الاطلاع على كَيْفِيَّتِهِ . وعن غيرهم : أنه السيد المعظم ، وأنه العالم بجميع المعلومات ، وأنه العليم ، وأنه الفرد الماجد لا يقضى في أمر دونه ، وأنه الذي لا تدركه الابصار ، وأنه المنزه عن قبول النقصانات والزيادات ، وعن أن يكون مورداً للتغيرات والتبدلات ، وعن احاطة الازمنة والامكنة والافات والجهات . وسيأتي في الحديث ٢٠ و ٢١ معنى آخر .

الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب ، ولدلالته على كونه مبدءاً للكل يدل على اتصافه بجميع الصفات الكمالية ، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى .

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا يوصف بالتغاير أي بالصفات الموجودة المتغايرة للذات ، ويحتمل على بعد أن يكون مأخوذاً من الغيرة كناية عن أنه ليس له ضد ولا نقيض ؛ وفيما رواه الطبرسي رحمه الله : لا يوصف بالنظائر . والبدوات بالفتحات : ما يبدو ويسنح ويظهر من الحوادث والحالات المتغيرة والآراء المتبدلة ، يقال : بدا أي ظهر ، وبداله في الأمر : نشأه فيه رأي ، وهو ذو بدوات . والإنيية : التحقق والوجود . والصعداء بضم الصاد وفتح العين : تنفس طويل . والجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر . والواصب : الدائم والثابت . والمعازة : المغالبة .

١٦ - يد : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ، عن ابن بزيع ، عن يونس ، عن الحسن بن السري ، عن جابر قال : قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ : إن الله عز وجل - تباركت أسماؤه وتعالى في علو كنهه - أحد توحد بالتوحيد في توحيده ، ثم أجراه على خلقه ، فهو أحد صمد ملك قدوس يعبد كل شيء ، ويصمد إليه ، وفوق الذي عسينا أن نبلغ ، ربنا وسع كل شيء علماً .

سن : اليقطيني ، عن يونس ، عن الحسن بن السري مثله .

١٧ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن فضال ، عن الحلبي ووزارة ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : إن الله تبارك وتعالى أحد صمد ، ليس له جوف ، وإنما الروح > من خلقه نصر وتأييد وقوة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين .

١٨ - يد : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان قال : سألت رجلاً من الثنوية أبا الحسن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ - وأنا حاضر - فقال له : إنني أقول : إن صانع العالم اثنان ، فما الدليل على أنه واحد ؟ فقال : قولك : إنه اثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إثباتك الواحد ، فالواحد مجمع عليه ، وأكثر من واحد مختلف فيه .

قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أن الصانع واحد لا أكثر من ذلك أنهما لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كل واحد منهما قادراً على منع صاحبه مما يريد أو غير قادر ، فإن كانا كذلك فقد جاز عليهما المنع ، ومن جاز عليه ذلك فمحدث ، كما أن المصنوع محدث ؛ وإن لم يكونا قادرين لزمهما العجز والنقص ، وهما من دلالات الحدث ، فصح أن القديم واحد .

و دليل آخر : وهو أن كل واحد منهما لا يخلو من أن يكون قادراً على أن ينكتم الآخر شيئاً ، فإن كان كذلك فالذي جاز الكتمان عليه حادث ، وإن لم يكن قادراً فهو عاجز ، والعاجز حادث بما يبتناه .^(١) وهذا الكلام يحتج به في إبطال قديمين صفة كل واحد منهما صفة القديم الذي أثبتناه . فأما ما ذهب إليه ماني وابن ديسان من خرافاتهما في الامتزاج ، ودانت به المجوس من حماقاتها في أهر من ففاسد بما به يفسد قدم الأجسام ، ولدخولهما في تلك الجملة اقتصرت على الكلام فيهما ولم أفرد كلا منهما بما يسئل عنه منه .

١٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما الدليل على أن الله واحد ؟ قال : اتصال التدبير وتمام الصنع ، كما قال عز وجل : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .

بيان : إما إشارة إلى برهان التمانع أو إلى التلازم ، وسيأتي بعض تقريراتهما .
٢٠ - ف : عن داود بن القاسم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصمد ، فقال : الذي لا سرّة له . قلت : فإنّهم يقولون : إنّه الذي لا جوف له ، فقال : كل ذي جوف له سرّة .

• بيان : الغرض أنّه ليس فيه تعالى صفات البشر وسائر الحيوانات ، وهو أحد أجزاء معنى الصمد كما عرفت وهو لا يستلزم كونه تعالى جسماً مصمّماً .

(١) العجتان مدخولتان لأن عموم القدرة في الواجب لا يستلزم تعلفها بكل امر ؛ فمن العائز ان يكون المنع المفروض والكتمان المفروض محالين لا تتعلق بهما القدرة ؛ فلا يلزمه نقص الواجب وحدونه . ط

٢١ - جمع : سئل ابن الحنفية عن الصمد . فقال : قال علي عليه السلام : تأويل الصمد لاسم ولا جسم ، ولا مثل ولا شبه ، ولا صورة ولا تمثال ، ولا حد ولا حدود ، ولا موضع ولا مكان ، ولا كيف ولا أين ، ولا هنا ولائمة ، ولا ملاً ولا خلاً ، ولا قيام ولا قعود ، ولا ساكن ولا حركة ، ولا ظلماني ولا نوراني ، ولا روحاني ولا نفسياني ، ولا يخلو منه موضع ولا يسهه موضع ، ولا على لون ، ولا على خطر قلب ، ولا على شم رائحة ، منفي عنه هذه الأشياء .

٢٢ - ج : عن هشام بن الحكم أنه قال : من سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام أن قال : لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يخلو قولك : إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويتين ، أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قويتاً والآخر ضعيفاً ، فإن كانا قويتين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالربوبية ؟ ^(١) وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد - كما نقول - للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت : إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة ، أو مفترقين من كل جهة ، فلما رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، ^(٢) واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر ، دل صحة الأمر والتدبير وإيتلاف الأمر على أن المدبر واحد .

يد : الدقاق ، عن أبي القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن إبراهيم بن هاشم القمي ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم مثله ؛ وزاد : ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة ، وإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكونوا خمسة ، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة .

كا : علي ، عن أبيه مثله .

بيان : ولنشر ههنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار ، ثم لنذكر ما يمكن أن يقال في حل هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار .



(١) وفي نسخة : ويتفرد بالتدبير .

(٢) وفي نسخة بعد قوله : والفلك جارياً : والتدبير واحداً .

فأمّا البراهين : فالأوّل أنّه لما ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب فلو تعدّد لكان امتياز كلّ منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخيصهما إلى أمر خارج ، وكلّ محتاج ممكن .

والثاني : أنّه لو تعدّد الواجب لذاته فإنّ ما أن يكون امتياز كلّ منهما عن الآخر بذاته فيكون مفهوم واجب الوجود محمولاً عليهما بالحمل العرضي ، والعارض معلول للمعروض فيرجع إلى كون كلّ منهما علّة لوجوب وجوده وقد ثبت بطلانه . وإمّا أن يكون ذلك الامتياز بالأمر الزائد على ذاتهما وهو أفحش ، فإنّه إمّا أن يكون معلولاً لماهيتهما أو لغيرهما ، وعلى الأوّل إن اتّحد ماهيتهما كان التعيين مشتركاً وهذا خلف ، وإن تعدّدت الماهية كان كلّ منهما شيئاً عرض له وجوب الوجود أعني الوجود المتأكّد للواجب ، وقد تبين بدلائل عينية الوجود بطلانه ، وعلى الثاني يلزم الاحتياج إلى الغير والإمكان ؛ وبالجمله لو كان الواجب متعدّداً لكان نسبة الوجوب إليهما نسبة العوارض فكان ممكناً لا واجباً .

الثالث : أنّه لو كان لله سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبين وجود غير وجود الآحاد ، سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين ، أو أمراً زائداً عليه ، و لكان هذا الوجود محتاجاً إلى وجود الأجزاء ، والمحتاج إلى الغير ممكن محتاج إلى مؤثر و المؤثر في الشيء ، يجب أن يكون مؤثراً في واحد من أجزائه ، وإلا لم يكن مؤثراً في ذلك الشيء ، وقد ادّعوا الضرورة فيه ، ولا يمكن التأثير فيما نحن فيه في شيء من الأجزاء لكون كلّ من الجزئين واجباً ، فالشريك يستلزم التأثير فيما لا يمكن التأثير فيه ، أو إمكان ما فرض وجوبه إلى غير ذلك من المفاسد .

الرابع : برهان التمانع وأظهر تقريراته أنّ وجوب الوجود يستلزم القدرة و القوة على جميع الممكنات قوّة كاملة بحيث يقدر على إيجادها ودفع ما يضادّه مطلقاً ، وعدم القدرة على هذا الوجه نقص ، والنقص عليه تعالى محال ضرورة بدليل إجماع العقلاء عليه ، ومن المحال عادة إجماعهم على نظري ، ولئن لم يكن ضرورياً فنظري ظاهر متنسق الطريق ، واضح الدليل ، واستحالة إجماعهم على نظري لا يكون كذلك أظهر ؛ فنقول

حينئذ : لو كان في الوجود واجبان لكانا قويتين ، وقوتيهما يستلزم عدم قوتيهما لأن قوة كل منهما على هذا الوجه يستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضد ما يريد من نفسه من الممكنات ، والمدفوع غير قوي بهذا المعنى الذي زعمنا أنه لازم لسلب النقص .

فإن قلت : هذا إنما يتم لو كان إرادة كل منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لصدّه ممكناً وبالعكس ؛ وليس كذلك بل إرادة كل منهما له بشرط إرادة الآخر لصدّه ممتنع ، ونظير ذلك أن إرادة الواجب للممكن بشرط وجود صدّه محال ، ولا يلزم منه نقص . قلت : امتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير ، و امتناعه بالغير تحقق النقص والعجز - تعالى عن ذلك - و أمّا امتناع إرادة الشيء بشرط وجود صدّه فمن باب امتناع إرادة المحال الذاتي ، وإن كان امتناع الإرادة امتناعاً بالغير ؛ ومثله غير ملزوم للنقص بخلاف ما نحن فيه فإن المراد ممتنع بالغير .

فإن قلت : وجود الشيء ، كما يمتنع بشرط صدّه وتقيضه كذلك يمتنع بشرط ملزوم صدّه وتقيضه ، والأوّل امتناع بالذات ، والثاني امتناع بالغير ، وكما أن إرادة الأوّل منه تعالى محال ولا نقص فيه ، كذلك إرادة الثاني ؛ وظاهر أن إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قبل الثاني فينبغي أن لا يكون فيه نقص . قلت : فرق بين الأمرين فإن وجود الممكن إذا قيد واشترط بملزوم تقيضه كان ممتنعاً ولو بالغير ولم يتعلق به إرادة ضرورة ، وأمّا إذا لم يقيد الوجود به بل أطلق فغير ممتنع فيمكن تعلق الإرادة به ولو في زمان وجود ملزوم التقيض بأن يدفع الملزوم ، وإن لم يندفع هو من قبل نفسه أو من دافع آخر ؛ بخلاف إرادة الآخر له فإنه لو لم يندفع من قبل نفسه ولم يدفعه دافع آخر لم يتعلق به الإرادة ضرورة فهو مدفوع ، وإلا فالآخر مدفع فصار حاصل الفرق حينئذ أن الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدين في زمان الضد الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى ، وهو أي الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل لا ينافي الاستقلال والقدرة كما لا ينافي الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتي بخلاف ما نحن فيه فإنه احتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات .

لا يقال : لعل انتفاء إرادة الآخر واجب بنفسه ، ولانسلم منافاة توسط الواجب بالذات بين الفاعل و فعله ، لاستقلاله و استلزامه النقص . لأننا نقول : الأول بين البطلان فإن تحقق إرادة الآخر وانتفاعها ممكن في نفسه لكنه ينتفي فيما نحن فيه من قبل ذي الإرادة لو انتفى فبكون واسطة ممكنة غير صادرة عن الفاعل ولامستندة إليه ؛ وأما الثاني فربما تدعى البداهة في استلزامه النقص وهو غير بعيد و بهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك والشبه .

الخامس : تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدواني ، و هو أنه لا يخلو أن يكون قدرة كل واحد منهما وإرادته كافية في وجود العالم ، أو لا شيء منهما كاف ، أو أحدهما كاف فقط ، وعلى الأول يلزم اجتماع المؤثرين التامين على معلول واحد ، وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنهما لا يمكن لهما التأثير إلا باشتراك الآخر ، وعلى الثالث لا يكون الآخر خالقاً فلا يكون إلهاً ؛ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ .

لا يقال : إنما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال أما إذا كان كل منهما قادراً على الإيجاد بالاستقلال ولكن اتفقا على الإيجاد بالاشتراك فلا يلزم العجز كما أن القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها ، وذلك لا يستلزم عجزهما لأن إرادتهما تعلقت بالاشتراك ، و إنما يلزم العجز لو أرادا الاستقلال ولم يحصل . لأننا نقول : تعلق إرادة كل منهما إن كان كافياً لزم المحذور الأول ، و إن لم يكن كافياً لزم المحذور الثاني ، والملازمتان بينتان لا تقبلان المنع ، وما أوردتم من الأمثال في سند المنع لا يصلح للسندية إذ في هذه الصورة ينقص ميل كل واحد منهما من الميل الذي يستقل في الحمل قدر ما يتم الميل الصادر من الآخر حتى تنقل الخشبة بمجموع الميلين ، وليس كل واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلاً مستقلاً ، وفي مبحثنا هذا ليس المؤثر إلا تعلق القدرة والإرادة ؛ ولا يتصور الزيادة والنقصان في شيء منهما

السادس : أن كل من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنما ادعى الاستناد إلى واحد أسند إليه الآخر ، ولو كان في الوجود واجبان لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده وحكمه ، واحتمال أن يكون في الوجود واجب لا يرسل إلى هذا العالم أولاً يؤثر ولا

يدبر أيضاً فيه مع تدبيره ووجود خبره في عالم آخر أو عدمه مما لا يذهب إليه وهم واهم ، فإن الوجوب يقتضي العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ، ومع هذه الصفات الكمالية يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده ، وأما ما زعمت الثنوية من الإله الثاني فليس بهذه المثابة . ومما يرسل ويحكم فيهم وإن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه فهو باطل بحكم العقل .

وقد أثبتنا في كتاب الروضة فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن صلوات الله عليهما ما يؤمى إلى هذا الدليل ، حيث قال عليه السلام : و اعلم أنه لو كان لربك شريك لأتتكم رسلة ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت صفته وفعاله ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضافه في ذلك أحد ولا يعاجه ، وأنه خالق كل شيء .

السابع : الأدلة السمعية من الكتاب والسنة وهي أكثر من أن تحصى ، وقدم بعضها ، ولا محذور في التمسك بالأدلة السمعية في باب التوحيد ، وهذه هي المعتمد عليها عندي . وبسط الكلام في تلك الأدلة وما سواها مما لم نشر إليها مو كول إلى مظانها ، ولنرجع إلى حل الخبر وشرحه ، وقد قيل فيه وجوه :

الاول : أن المراد بالقوي القوي على فعل الكل بالإرادة مع إرادة استبداده به ، والمراد بالضعيف الذي لا يقوى على فعل الكل ، ولا يستبد به ولا يقاوم القوي ، فإن كانا قويتين فلم لا يدفع كل منهما صاحبه ويتفرده ، أي يلزم من قوتيهما انفراد كل بالتدبير ، ويلزم منه عدم وقوع الفعل ، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد أي المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة والتأثير ، وثبت احتياج الضعيف إلى العلة الموجدة لأن القوي أقوى وجوداً من الضعيف ، وضعف الوجود لا يتصور إلا بجواز خلو الماهية عن الوجود ، ويلزم منه الاحتياج إلى المبدأ المبائن الموجد له .

وإن قلت : إنهما اثنان أي المبدأ اثنان ، وهذا هو الشق الثاني ، أي كونهما ضعيفين بأن يقدر ويقوى كل منهما على بعض ، أو يفعل بعضاً دون بعض بالإرادة ، وإن كان يقدر على الكل وفي هذا الشق لا يخلو من أن يكونا متفقين أي في الحقيقة من كل جهة ، ويلزم من هذا عدم الامتياز بالتعيين للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيينين المختلفين ، واستحالة

استنادهما إلى الحقيقة ، واستحالة استنادهما إلى الغير فيكون لهما مبدء ، أو مختلفين مفترقين من كل جهة وذلك معلوم الانتفاء فإننا لمسارأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، والتدبير واحداً ، والليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وايتلاف الأمر على أن المدبر واحداً لا اثنان مختلفان من كل جهة ، ثم ذلك المدبر الواحد لا يجوز أن يكون واحداً بجهة من حيث الحقيقة مختلفاً بجهة أخرى فيكون المدبر اثنين ، ويلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما لأن لهما وحدة فلا يتمايزان إلا بمميز فاصل بينهما حتى يكونا اثنين ، لامتناع الاثنينية بلا ميميز بينهما ، وعبر عن الفاصل المميز بالفرجة حيث إن الفاصل بين الأجسام يعبر عنه بالفرجة ، وأولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على أنكم لا تستحقون أن تخاطبوا إلا بما يليق استعماله في المحسوسات ، وذلك المميز لا بد أن يكون وجودياً داخل في حقيقة أحدهما ، إذ لا يجوز التعدد مع الاتفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا ، ولا يجوز أن يكون ذلك المميز ذات حقيقة يصح انفكاكها عن الوجود وخلوها عنه ولو عقلاً ، وإلا لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدأ فلا يكون مبدءاً ولا داخل فيه ، فيكون المميز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمتمفق فيه فيكون الواحد المشتمل على المميز الوجودي اثنين لا واحداً ، ويكون الاثنان اللذان ادعيتهما ثلاثة ، فإن قلت به وادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقق المميزين الثلاثة ، ولا بد من مميزين وجوديين حتى تكون بين الثلاثة فرجتان ولا بد من كونهما قديمين كما مر فيكونوا خمسة ، وهكذا ، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة ، أي يتناهى الكلام في التعدد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة ، أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية ؛ أو المراد أنه يلزمك أن يتناهى المعدود المنتهي ضرورة بمعروض ما ينتهي إليه العدد أي الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة فيكون عدداً بلا واحد وكثرة بلا وحدة ، وعلى هذا يكون الكلام برهانياً لا يحتاج إلى ضمنية ، وعلى الأولين يصير بضم ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانياً .

الثاني : أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين ، وتقرير الأول - بعد ما تقرّر أن ما لا يكون قوياً على إيجاد أي ممكن كان لا يكون واجباً بالذات - أن يقال : لا يصح أن يكون الواجب بالذات اثنين ، وإلا كان كل منهما قوياً على إيجاد أي ممكن كان ،

وكلّ ممكن بحيث يكون استناده إلى أيّ منهما كافياً في تصحّح خروجه من القوّة إلى الفعل ، وحينئذ لم يكن محيصاً من لزوم استناد كلّ معلول شخصي إلى علتين مستبدتين بالإفاضة وذلك محال ؛ أو من لزوم الترجّح بلا مرجّح وهو فطري الاستحالة ، أو من كون أحدهما غير واجب بالذات وهو خلاف المفروض ، وهذا البرهان يتمّ عند قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 للعجز الظاهر في الثاني .

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وإن قلت إلى قوله : على أن المدبّر واحد إشارة إلى برهان ثان ، وهو أحد الوجوه البرهانية في قوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ؛ وتلخيص تقريره أن التلازم بين أجزاء النظام الجملي المنتظم المتسق كما بين السماء والأرض مثلاً على ما قد أحقته القوانين الحكيمية لا يستتب إلا بالاستناد إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته وقدرته إذ التلازم بين شيئين لا يتصحّح إلا بعلية أحدهما الآخر ، أو بمعلوليتهما لعلّة واحدة موجبة ، فلو تعدّد اختل الأمر وفسد النظام .

وتقرير الثالث هو أنك لو ادّعت اثنين كان لا محالة بينهما انفصال في الوجود ، وافتراق في الهوية ، ويكون هناك موجود ثالث هو المركب من مجموع الاثنين ، وهو المراد بالفرجة ، لأنّه منفصل الذات والهوية ، وهذا المركب لتركبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل موجود لا من تلقاء الصانع إذ افتقار المركب إلى الجاعل بحسب افتقار أجزاءه فإنّ ذلكم تفتقر أجزاءه لم يفتقر هو بالضرورة فإنّ ذلكم أن يكون هذا الموجود الثالث أيضاً قديماً فيلزمك ثلاثة وقد ادّعت اثنين وهكذا ؛ ويرد عليه مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى أنّه يلزم في الفرض الثاني سبعة لا خمسة .

الثالث : أن يكون إشارة إلى حجّتين : إحداهما عامية مشهورة ، والأخرى خاصية برهانية : أمّا الأولى فقوله : لا يخلو قولك إلى قوله : في الثاني ومعناه أنّه لو فرض قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قويّين أو كلاهما ضعيفين أو أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ، والثلاثة بأسرها باطلة أمّا الأولى فلأنّه إذا كانا قويّين و كلّ منهما في غاية القوّة من غير ضعف وعجز كما هو المفروض - والقوّة يقتضي الغلبة والقهر على كلّ شيء ، سواء - فما السبب المانع لأن يدفع كلّ واحد منهما صاحبه حتّى يتفرّد بالتدبير والقهر على

غيره ؛ إذ اقتضاء الغلبة والاستعلاء مر كوزة في كلّ ذي قوّة على قدر قوّته والمفروض أنّ كلاّ منهما في غاية القوّة . وأمّا فساد الشقّ الثاني فهو ظاهر عند جمهور الناس ، لما حكموا بالفطرة من أنّ الضعف ينا في الإلهيّة ، ولظهوره لم يذكره عليه السلام . وأيضاً يعلم فساد فساد الشقّ الثالث ، وهو قوله : وإن زعمت أنّ أحدهما قويٌّ والآخر ضعيف ثبت أنّه أي الإله واحد - كما نحن نقول - للعجز الظاهر في المفروض ثانياً لأنّ الضعف منشأ العجز ، والعاجز لا يكون إلهاً بل مخلوقاً محتاجاً لأنّه محتاج إلى من يعطيه القوّة والكمال والخيريّة .

وأما الحجّة البرهانيّة فأشار إليها بقوله : «إن قلت : إنّهما اثنان» وبيانه أنّه لو فرض موجودان قديمان فإمّا أن يتفقا من كلّ جهة ، أو يختلفا من كلّ جهة ، أو يتفقا بجهة ويختلفا بأخرى والكلّ محال : أمّا بطلان الأوّل فلأنّ الاثنينيّة لا تتحقّق إلاّ بامتياز أحد الاثنين عن صاحبه ولو بوجه من الوجوه ؛ وأمّا بطلان الثاني فلما نبّه عليه بقوله : فلما رأينا الخلق منتظماً ، وتقريره أنّ العالم كلّ كشمخص واحد كثير الأجزاء والأعضاء مثل الإنسان ، فإننا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصّة وتباين صفاتها وأفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض ، ويفتقر بعضها إلى بعض ، وكلّ منها يعين بطبعه صاحبه ، وهكذا نشاهد الأجرام العالية وما ارتكز فيها من الكواكب النيرة في حرّكاتها الدوريّة وأضوائها الواقعة منها نافعاً للسفليّات ، محصّلة لأمزجة المركّبات التي يتوقّف عليها صور الأنواع ونفوسها ، وحياة الكائنات ونشوء الحيوان والنبات ، فإذا تحقّق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام واتّصال التدبير دلّ على أنّ إلهه واحد ، وإليه أشار بقوله : دلّ صحّة الأمر والتدبير واتّلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد . وأمّا بطلان الشقّ الثالث - وهو أنّهما متّفقان من وجه ومختلفان من وجه آخر - فبأن يقال - كما أشار إليه عليه السلام بقوله : «ثمّ يلزمك» - : إنّها لا بدّ فيهما من شيء يمتاز به أحدهما عن صاحبه وصاحبه عنه ، وذلك الشيء يجب أن يكون أمراً وجودياً يوجد في أحدهما ولم يوجد في الآخر ، أو أمران وجوديان يختصّ كلّ منهما بواحد فقط ، وأمّا كون الفارق المميّز لكلّ منهما عن صاحبه أمراً عدمياً فهو ممنوع بالضرورة إذ الأعدام

بماهي أعدام لاتمايز بينها ولاتمييز بها ، فإذا فرض قديمان فلا أقلّ من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما ، و يسلب عن الآخر ، وهو المراد بالفرجة إذ به يحصل الانفراج أي الافتراق بينهما لوجوده في أحدهما وعدمه في الآخر ، وهو أيضاً لاحالة قديم موجود معهما ، وإلا لم يكونا اثنين قديمين فليزم أن يكون القدماء ثلاثة وقد فرض اثنان وهذا خلف ، ثم يلزم من فرض كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة ، وهكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى ما لانهاية له وهو محال .

أقول : الأظهر على هذا التقرير أن تحمل الوحدة في قوله **عَلَيْهِ** : على أن المدبّر واحد على الأعم من الوحدة النوعية والشخصية ، ولو حملت على الشخصية يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج بهذا التقرير ولا يخفى توجيهاها .

الرابع : أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر ، وتقرير الأول أنه لو كان اثنين فإمّا أن يكونا قويين أي مستقلين بالقدرة على كلّ ممكن في نفسه سواء كان موافقاً للمصلحة أو مخالفاً ، وهو أنما يتصور بكونهما قديمين ؛ وإمّا أن يكونا ضعيفين أي غير مستقلين بالقدرة على ممكن ما في نفسه ؛ وإمّا أن يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً ؛ والأول محال لاشتماله على التناقض ، لأنّ كون كلّ منهما قوياً بهذا المعنى يستلزم أن يكون قوياً على دفع الآخر عن أن يصدر عنه مراد الأول بعينه أو مثله أو ضده في محله لأنّ عدم المنافي شرط في صدور كلّ ممكن ، وعدم القوّة على الشرط ينافي القوّة على المشروط ولا شكّ أن المدفوع كذلك ضعيف مسخر ، فقوّة كلّ منهما في فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه وضعف ذلك الآخر ، وفي فعل تركه حتّى فعل الآخر ضده يستلزم تمكينه الآخر في فعله ، وهذا تفرد بالتدبير ، فالاستفهام في لم لا يدفع إنكاري أي معلوم ضرورة أنه يدفع كلّ منهما الآخر ويتفرد بالتدبير ؛ وبطلان الشقّ الثالث لكونه مستلزماً لعجز أحدهما أي ضعفه ، وعدم كونه ممّن ينتهي إليه شيء من تدبير العالم يستلزم بطلان الشقّ الثاني بطريق أولى . وتقرير الثاني هو أنه لو كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إمّا متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون في واحد منهما ولا في كلّ منهما ما يختصّ به ويرجع صدوره عنه على صدوره عن الآخر من الداعي والمصلحة

و نحوهما و إمّا غير متساوية من جميع الوجوه و كلاهما باطل .
 أمّا الأوّل فلأنّه إمّا أن يكون ترك كلّ منهما لذلك المعلول مستلزماً لفعل
 الآخر إيجاباً بحكمة كلّ منهما أم لا ، فعلى الأوّل إحداث أحدهما ذلك المعلول
 يستلزم الترجيح بلا مرجح ، لأنّ إحداث كلّ منهما ذلك المعلول ليس أولى بوجه من
 تركه إيجاباً وإحداث الآخر إيجاباً ، وعلى الثاني إمّا أن يكون ترك التارك له مع تجويزه
 الترك على الآخر قبيحاً وخلاف الحكمة أم لا ، والأوّل يستلزم النقص ، والثاني يستلزم
 عدم إمكان رعاية المصالح التي لا تحصى في خلق العالم ، لأنّه اتّفاقي حينئذ ، ومعلوم
 بديهية أنّ الاتّفاقي لا يكون منتظماً في أمر سهل ، كصدور مثل قصيدة من قصائد البلغاء
 المشهورين عمّن لم يمارس البلاغة ، وإن كان يمكن أن يصدر عنه اتّفاقاً مصراع بليغ ،
 أو مصراعان فضلاً عمّا نحن فيه .

وأمّا بطلان الثاني فلأنّه يستلزم أن يكون مختلفة من جميع الوجوه بأن لا يكون
 أحدهما قادراً عليه أصلاً لأنّ اختلاف نسبة قادرين إلى معلول واحد شخصي إنّما يتصوّر
 فيما يمكن أن يكون صدوره عن أحدهما أصلح وأنفع من صدوره عن الآخر ، و هذا
 إنّما يتصوّر فيما كان نفع فعله راجعاً إليه كالعباد ، وأمّا إذا كان القادران بريئين من
 الانتفاع كما فيما نحن فيه فلا يتصوّر ذلك فيه بديهية ، وينبّه عليه أنّ الغني المطلق
 إنّما يفعل ما هو الخير في نفسه من غير أن يكون له فيه نفع سواء كان لغيره فيه نفع كما
 في ثواب المطيع أو لم يكن ، ومثاله عقاب الكافر إن لم يكن للمطيعين فيه نفع .

وتقرير الثالث أنّه إن كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إمّا متساوية من
 جميع الوجوه أولاً وكلاهما باطل ، أمّا الأوّل فلأنّ صدور بعض المعلولات عن أحدهما
 وبعض آخر منها عن الآخر منهما حينئذ يحتاج إلى ثالث هو الفرجة بينهما أي ما يميّز
 ويعيّن كلّ معلول معلول لواحد معين منهما حتّى يكون المدبّران اثنين لامتناع الترجيح
 من جهة الفاعلين بلا مرجح أي بلا داع أصلاً كما هو المفروض فيلزم خلاف الفرض ، و
 هو أن يكون المدبّر ثلاثة ثمّ تنقل الكلام إلى الثلاثة وهكذا إلى ما لا نهاية له في الكثرة
 ويلزم التسلسل . وإنّما لم يكتف ^{بثلاثة} بعدنقل الكلام إلى الثلاثة بالاحتياج إلى فرجة

واحدة للتمييز حتى يكون المجموع أربعة لخمسة ، وإن كان المطلوب وهو لزوم التسلسل حاصلًا به أيضاً لأن هناك ثلاثة تميزات ، وتخصيص واحد منهما بمميز كما هو المفروض واشتراك اثنين منهما بواحد مع اتحاد النسبة تحكّم . وأمّا بطلان الثاني فلما مرّ في بيان بطلان الشقّ الثاني من الدليل الثاني .

أقول : لا يخفى بعد هذا التقرير عن الألفهام واحتياجه إلى تقدير كثير من المقدمات في الكلام .

الخامس : أن يكون الأوّل إشارة إلى برهان التمانع بأحد تقريراته المشهورة والثاني إلى التلازم كما مرّ ، والثالث يكون إلزاماً على المجسّمة المشتركة القائلين بالهين مجسّمين متباعدين في المكان كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم الله ، ويكون الفرجة محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما لبطلان الخلاً أو سطح فاصل بينهما لتحقيق الاثنينية . هذا ما قيل أو يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الذي تحيرت فيه الألفهام والفكر ، ولم تتعرّض لبسط الكلام في كلّ وجه ، ولا لإيراد ما يرد على كلّ منها من الإشكالات و الاعتراضات احترازاً عن الإسهاب والإطناب والله الموفق للصواب .

٢٣ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن عباد بن سليمان ، عن سعد بن سعد قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد ، فقال : هو الذي أنتم عليه .

٢٤ - يد : أبي ، عن سعد ، عن إبراهيم بن هاشم ، ويعقوب بن يزيد ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته وهو يقول - في قوله عز وجل : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » قال : هو توحيدهم لله عز وجل .

٢٥ - يد : الأشناني ، عن ابن مهرويه ، عن الفراء ، عن الرضا ، عن آباءه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التوحيد نصف الدين ، واستنز لو الرزق بالصدقة .

قال الصدوق في كتاب التوحيد بعد نقل خبر الأعرابي : سمعت من أثق بدينه ومعرفته باللغة والكلام يقول : إن قول القائل : واحد واثنان وثلاثة إلى آخره إنما وضع في أصل اللغة للإبانة عن كمية ما يقال عليه لأن له مسمى يتسمى به بعينه ، أولاً أن

له معنى سوى ما يتعلمه الإنسان لمعرفة الحساب ، ويدور عليه عقد الأصابع عند ضبط الآحاد والعشرات والمئات والألوف ، ولذلك متى أراد مرید أن يخبر غيره عن كمية شيء ، بعينه سمّاه باسمه الأخص ، ثم قرن لفظة الواحد به وعلقه عليه يدلّ به على كميته لأعلى ما عدا ذلك من أوصافه ، ومن أجله يقول القائل : درهم واحد ، وإنما يعني به أنه درهم فقط ، وقد يكون الدرهم درهماً بالوزن ودرهماً بالضرب فإذا أراد المخبر أن يخبر عن وزنه قال : درهم واحد بالوزن ، وإذا أراد أن يخبر عن عدده أوضربه قال : درهم واحد بالعدد ، ودرهم واحد بالضرب . وعلى هذا الأصل يقول القائل : هو رجل واحد ، وقد يكون الرجل واحداً بمعنى أنه إنسان وليس بإنسانين ، ورجل ليس برجلين ، وشخص ليس بشخصين ، ويكون واحداً في الفضل ، واحداً في العلم ، واحداً في السخاء ، واحداً في الشجاعة ، فإذا أراد القائل أن يخبر عن كميته قال : هو رجل واحد فدلّ ذلك من قوله على أنه رجل وليس هو برجلين ، وإذا أراد أن يخبر عن فضله قال : هذا واحد عصره ، فدلّ ذلك على أنه لا ثاني له في الفضل ، وإذا أراد أن يدلّ على علمه قال : إنه واحد في علمه ؛ فلودلّ قوله : واحد بمجرد ده على الفضل والعلم كما دلّ بمجرد ده على الكمية لكان كل من اطلق عليه لفظة واحد أراد فاضلاً لا ثاني له في فضله ، وعالمياً لا ثاني له في علمه ؛ وجواداً لا ثاني له في جوده ، فلما لم يكن كذلك صحّ^(١) أنه بمجرد ده لا يدلّ إلا على كمية الشيء ، دون غيره ، وإلا لم يكن لما أضيف إليه من قول القائل : واحد عصره ودهره فائدة ، ولا كان لتقييده بالعلم والشجاعة معنى لأنه كان يدلّ بغير تلك الزيادة وبغير ذلك التقييد على غاية الفضل وغاية العلم والشجاعة ؛ فلما احتيج معه إلى زيادة لفظ واحتيج إلى التقييد بشيء ، صحّ ما قلناه . فقد تقرّر أنّ لفظة القائل واحد إذا قيل على الشيء ، دلّ بمجرد ده على كمية في اسمه الأخص ، ويدلّ بما يقترن به على فضل المقول عليه وعلى كماله وعلى توحيده بفضله وعلمه وجوده ، وتبين أنّ الدرهم الواحد قد يكون درهماً واحداً بالوزن ، ودرهماً واحداً بالعدد ، ودرهماً واحداً بالضرب ، وقد يكون بالوزن درهمين ، وبالضرب درهماً واحداً ، ويكون بالدوايق ستة دوايق ، وبالفلوس

(١) في نسخة : فلما لم يكن كذلك وضع .

ستين فلساً ، و يكون بالأجزاء كثيراً ، وكذلك يكون العبد عبداً واحداً ولا يكون
عبدين بوجه ، و يكون شخصاً واحداً ولا يكون شخصين بوجه ، و يكون أجزاء كثيرة
وأبعاضاً كثيرة ، و كل بعض من أبعاضه يكون جواهر كثيرة متحدة اتحد بعضها ببعض
وتركب بعضها مع بعض ، ولا يكون العبد واحداً وإن كان كل واحد منه في نفسه إنما هو
عبد واحد ، وإنما لم يكن العبد واحداً لأنه ما من عبد إلا وله مثل في الوجود أو في
المقدور ، وإنما صح أن يكون للعبد مثل لأنه لم يتوحد بأوصافه التي من أجلها صار
عبداً مملوكاً ، ووجب لذلك أن يكون الله عز وجل متوحداً بأوصافه العلى وأسمائه
الحسنى ليكون إلهاً واحداً فلا يكون له مثل ويكون واحداً لا شريك له ولا إله غيره ،
فالله تبارك وتعالى إله واحد لا إله إلا هو ، وقديم واحد لا قديم إلا هو ، وموجود واحد
ليس بعال ولا محل ، ولا موجود كذلك إلا هو ، وشيء واحد لا يجانسه ولا يشاكله شيء ،
ولا يشبهه شيء ، ولا شيء ، كذلك إلا هو ، فهو كذلك موجود غير منقسم في الوجود ولا في الوهم ،
وشيء لا يشبهه شيء بوجه ، وإله لا إله غيره بوجه ، وصار قولنا : يا واحد يا أحد في الشريعة اسماً
خاصاً له دون غيره ، لا يسمى به إلا هو عز وجل ، كما أن قولنا : الله اسم لا يسمى به غيره .
وفصل آخر في ذلك وهو أن الشيء قد يعد مع ما جانسه وشاكله ومائله ، يقال : هذا
رجل ، وهذا رجلان ، وثلاثة رجال . وهذا عبد ، وهذا سواد ، وهذا عبدان ، و
هذا سوادان . ولا يجوز على هذا الأصل أن يقال : هذا إلهان إذ لا إله إلا إله واحد ،
فإنه لا يعد على هذا الوجه ، ولا يدخل في العدد من هذا الوجه بوجه . وقد يعد الشيء
مع ما لا يجانسه ولا يشاكله ، يقال : هذا بياض ، وهذا بياض وسواد ، وهذا محدث ، و
هذا محدثان ، وهذا ليسا بمحدثين ولا بمخلوقين . بل أحدهما قديم والآخر محدث ،
وأحدهما رب والآخر مربوب ، فعلى هذا الوجه يصح دخوله في العدد ، وعلى هذا النحو
قال الله تبارك وتعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم
ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » الآية . وكما أن قولنا : فلان إنما هو
رجل واحد لا يدل على فضله بمجرد ذلك قولنا : فلان ثاني فلان لا يدل بمجرد ذلك
إلا على كونه ؛ وإنما يدل على فضله متى قيل : إنه ثانيه في الفضل ، أو في الكمال ، أو العلم .

فأما توحيد الله تعالى ذكره فهو توحيد بصفاته العلى^(١) وأسمائه الحسنى ، و لذلك كان إلهاً واحداً لا شريك له ولا شبيهه ، والموحد هو من أقر به على ما هو عليه عز وجل من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان وإخلاص ، و إذا كان ذلك كذلك فمن لم يعرف الله عز وجل متوحداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ولم يقر بتوحيده بأوصافه العلى فهو غير موحد ؛ وربما قال جاهل من الناس : إن من وحد الله وأقر أنه واحد فهو موحد و إن لم يصفه بصفاته التي توحد بها ، لأن من وحد الشيء فهو موحد في أصل اللغة فيقال له : أنكرونا ذلك لأن من زعم أن ربه إله واحد و شيء واحد ثم أثبت معه موصوفاً آخر بصفاته التي توحد بها فهو عند جميع الأمة وسائر أهل الملل ثنوي غير موحد ، ومشرك مشبه غير مسلم ، وإن زعم أن ربه إله واحد ، و شيء واحد ، وموجود واحد ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الله تبارك و تعالى متوحداً بصفاته التي تفرّد بالإلهية من أجلها ، وتوحد بالوحدانية لتوحيده بها ليستحيل أن يكون إله آخر ، ويكون الله واحداً والإله واحد لا شريك له ولا شبيه لأنه إن لم يتوحد بها كان له شريك وشبيه كما أن العبد لما لم يتوحد بأوصافه التي من أجلها كان عبداً كان له شبيه ، ولم يكن العبد واحداً وإن كان كل واحد منا عبداً واحداً ، و إذا كان كذلك فمن عرفه متوحداً بصفاته ، وأقر بما عرفه ، واعتقد ذلك كان موحداً وتوحيد ربه عارفاً ، والأوصاف التي توحد الله تعالى بها وتوحد بربوبيته لتفرده بها في الأوصاف التي يقتضي كل واحد منها أن لا يكون الموصوف بها إلا واحداً لا يشاركه فيه غيره ولا يوصف به إلا هو ؛ وتلك الأوصاف هي كوصفنا له بأنه موجود واحد لا يصح أن يكون حالاً في شيء ، ولا يجوز أن يحلّه شيء ، ولا يجوز عليه العدم والفناء والزوال ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه أول الأولين ، وآخر الآخريين ، قادر يفعل ما يشاء ، لا يجوز عليه ضعف ولا عجز ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه أقدر القادرين ، وأقهر القاهرين ، عالم لا يخفى عليه شيء ، ولا يعزب عنه شيء ، لا يجوز عليه جهل ولا سهو ، ولا شك ولا نسيان ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه أعلم العالمين ، حي لا يجوز عليه موت ولا نوم ،

(١) في نسخة : فهو توحيد بصفاته العلى .

ولا ترجع إليه منفعة ، ولا تناله مضرة ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه أبقى الباقين ، وأكمل الكاملين ، فاعل لا يشغله شيء ، عن شيء ، ولا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه إله الأولين والآخريين ، وأحسن الخالقين ، وأسرع الحاسيين ، غني لا يكون له قلة ، مستغن لا يكون له حاجة ، عدل لا تلحقه مذمة ، ولا ترجع إليه منقصة ، حكيم لا يقع منه سفاهة ، رحيم لا يكون له رقّة ويكون في رحمته سعة ، حلِيم لا يلحقه موجدة ،^(١) ولا يقع منه عجلة ؛ مستحق للوصف بذلك بأنه أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسيين ، وذلك لأنّ أوّل الأولين لا يكون إلا واحداً ، وكذلك أقدر القادرين ، وأعلم العالمين ، وأحكم الحاكمين ، وأحسن الخالقين ، وكلّ ما جاء على هذا الوزن ؛ فصحّ بذلك ما قلناه ، وبالله التوفيق ومنه العصمة و التسديد .

﴿باب ٧﴾

﴿عبادة الاصنام والكواكب و الأشجار والنيرين و علة حدوثها﴾

﴿و عقاب من عبدها أو قرب إليها قرباناً﴾

الآيات ، الانعام : قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ٧١

الاعراف : أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ؛ ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ؛ و ن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتهم وهم أم أنتم صامتون ؛ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ؛ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبسطون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ؛ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ؛ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ؛ و إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون و تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ١٩١ - ١٩٨

يونس : ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ١٨

(١) الموجدة بفتح اليم وسكون الواو : الغضب .

« و قال تعالى » : قل هل من شر كائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنسى تؤفكون * قل هل من شر كائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ٣٥، ٣٤ هود : فلاتك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل و إننا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ١٠٩

النحل : أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ١٧ « و قال تعالى » : والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيبان يبعثون * إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ٢٠-٢٢ « و قال تعالى » : والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيما نهم فهم فيه سواء أفبنعمت الله يجحدون ٧١ « و قال تعالى » : و يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون * فلاتضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون * ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء و من رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً و جهراً هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * و ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على موليه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو و من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ٧٣-٧٦

مريم : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ٤٢

الحجج : يدعوا من دون الله ما لا يضره و ما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد * يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى و لبئس العشير ١٢، ١٣ « و قال » : يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له و إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ٧٣ ، ٧٤

الفرقان : وإذا رأوك إن يتخذونك إلهزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً * إن كان ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها و سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً *

أرأيت من اتخذ إلهه هويه أفأنت تكون عليه؛ كيلاً ٤١ - ٤٣ « وقال الله تعالى » : ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ٥٥

الشعراء : واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم و آبؤكم الأقدمون * فإني أنهم عدوئي إلا رب العالمين * « إلى قوله تعالى » : و برزت الجحيم للغاوين * وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون * فككبوا فيهاهم والغاون * وجنود إبليس أجمعون * قالوا وهم فيها يختصمون * تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسوكم رب العالمين * وما أضلنا إلا المجرمون * فمالنا من شافعين * ولا صديق حميم * فلو أن لنا كرة ففككون من المؤمنين ٦٩ - ١٠٢

النمل : وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ٢٤، ٢٦

العنكبوت : إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ١٧ « إلى قوله تعالى » : وقال إنما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ١٧ - ٢٥

الروم : ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون * ولم يكن لهم من شر كائهم شفعاء وكانوا بشر كائهم كافرين « إلى قوله تعالى » : ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون ١٢ .. ٢٨

يس : أتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون * إنني إذا لفي ضلال مبين ٢٣ ، ٢٤

الصافات : إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلِهتنا لشاعر مجنون ٣٥، ٣٦ * وقال تعالى : « أنفكاً آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين » إلى قوله : « أتعبدون ما تضحون * والله خلقكم وما تعملون ٨٦-٩٦ * وقال تعالى : « أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين ١٢٥، ١٢٦

ص : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ٥ - ٧

الزمر : فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ٢، ٣ * وقال عز وجل : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ٣٨ * وقال تعالى : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون * وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ٤٣ - ٤٥

المؤمن : قل إنني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جئني بالبينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ٦٦ * إلى قوله تعالى « إذا الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون * ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله قالوا ضلوا عنابلاً لم تكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين ٧١-٧٤

السجدة : لا تسجدوا للشمس وللنجم ولا للقر والاسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه

تعبدون ٣٧

حمصق : والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ٦

الزخرف : ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم

يعلمون ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله فأنسى يؤفكون ٨٦ ، ٨٧

الجاثية : أفرايت من اتخذ إلهه هويه ٢٣

الاحقاف : قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم

لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم إن كنتم صادقين ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم

غافلون ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ٤ - ٦ « وقال تعالى :

ألا تعبدوا إلا الله إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴿ قالوا أجتنا لتأفكنا عن آلهتنا

فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين « إلى قوله تعالى : فلولا نصرهم الذين اتخذوا

من دون الله قرباناً آلها بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ٢١ - ٢٨

النجم : أفرايتم اللات والعزى ﴿ ومنوة الثالثة الأخرى ﴿ ألكم الذكر وله

الأُنثى ﴿ تلك إذا قسمة ضيزى ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله

بها من سلطان ١٩-٢٣

الجمد : قل يا أيها الكافرون ﴿ لا أعبد ما تعبدون « إلى آخر السورة .

أقول : سيأتي الآيات الكثيرة في ذلك في كتاب النبوة وكتاب الاحتجاج

وكتاب المعاد .

١ - فس : قوله : « وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث

وعوق ونسراً » قال : كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس فجاء

إبليس فاتخذ لهم صورهم ليأنسوا بها فأنسوا بها ، فلما جاءهم الشتاء أدخلوهم البيوت

فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجاءهم إبليس فقال لهم : إن هؤلاء آلهة كانوا آباؤكم

يعبدونها فعبدوهم وضل منهم بشر كثير ؛ فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله .

٢ - فس : « ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » قال : كانت وداً صنماً

لكلب ، ^(١) وكانت سواع لهذيل ، ^(٢) ويغوث لمراد ، ^(٣) وكانت يعوق لهمدان ، وكانت

(١) بدومة الجندل .

(٢) كانت لهم برهاط من أرض ينبع - وينبع عرض من أعراس المدينة - وكان سدنتها بنو لحيان .

(٣) ثم لبني غطيف بالجرف هند سبا .

نسر لحصين .^(١)

٣ - ب : هارون ، عن ابن صدقة ، عن جعفر ، عن أبيه أن علياً صلوات الله عليه سئل عن أساف ونائلة وعبادة قريش لهما ، فقال : نعم كانا شابين صبيحين ، وكان بأحدهما تأنيث ، وكانا يطوفان بالبيت فصادفهما من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمسخهما الله حجرين فقالت قريش : لولا أن الله تبارك وتعالى رضي أن يعبدا معه ما حوّل لهما عن حالهما .^(٢)

٤ - ع : في أسئلة الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن أول من كفر وأنشأ الكفر فقال عليه السلام : إبليس لعنه الله .

٥ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطاب وابن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ، وكرام بن عمرو ، عن عبد الحميد بن أبي الديلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن قاييل لما رأى النار قد قبلت قربان هايل قال له إبليس : إن هايل كان يعبد تلك النار ، فقال قاييل : لا أعبد النار التي عبدها هايل ، ولكن أعبد ناراً أخرى ، وأقرب قرباناً لها فتقبل قرباني ، فبنى بيوت النار فقرب ؛ ولم يكن له علم بربه عز وجل ، ولم يرث منه ولده إلا عبادة النيران .

ص : بالإسناد إلى الصدوق ، عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن أبي الخطاب عن ابن سنان مثله .

٦ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن النعمان ، عن بريد العجلي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنما سمي العود خلافاً لأن إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ود فسمي العود خلافاً . وهذا في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

بيان : إنما سمي العود أي الشجرة المعهودة خلافاً ؛ لأن إبليس عمل سواعاً منها على خلاف ود فلذلك سميت بها .

(١) كذا في النسخ ولكن الصحيح « لحمير » عبده بارض يقال لها : بلغم ، وكان لحمير أيضاً بيت بصنماء يقال له : ونام ، يعظمونه ويتقربون عنده بالذبايح . وفي القاموس النسر : صنم كان لدى الكلاع بأرض حمير .

(٢) الحديث موضوع وهو قصة تاريخية خرافية ط .

٧- ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، ^(١) عن جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عز وجل : وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودًّا أولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، قال : كانوا يعبدون الله عز وجل فماتوا فضج قومهم وشق ذلك عليهم ، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم : أتخذ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله ، فأعد لهم أصناماً على مثالهم فكانوا يعبدون الله عز وجل ، وينظرون إلى تلك الأصنام ، فلما جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم ، فقالوا : إن آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء ، فعبدوهم من دون الله عز وجل ؛ فذلك قول الله تبارك و تعالي : « ولا تذرنا ودًّا أولاسواعاً » الآية .

٨ - ص : بالإسناد عن الصدوق رحمه الله ، عن ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن الأحول ، عن بريد بن معاوية قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في مسجد النبي صلى الله عليه وآله : إن إبليس اللعين هو أول من صور صورة على مثال آدم عليه السلام ليفتن به الناس ، ويضلهم عن عبادة الله تعالى ، وكان ود في ولد قاييل وكان خليفة قاييل على ولده وعلى من بحضرتهم في سفح الجبل يعظمونه ويسودونه ، فلما أن مات ود جزع عليه إخوته وخلف عليهم إبناً يقال له : « سواع » فلم يغن غناء أبيه منهم فأتاهم إبليس في صورة شيخ فقال : قد بلغني ما أصبتم به من موت ود عظيمكم ، فهل لكم في أن أصور لكم على مثال ود صورة تستريحون إليها وتأنسون بها ؟ قالوا : افعل . فعمد الخبيث إلى الآتك ^(٢) فأذابه حتى صار مثل الماء ، ثم صور لهم صورة مثال ود في بيته فتدافعوا على الصورة يلثمونها ويضعون خدودهم عليها ويسجدون لها ، وأحب سواع أن يكون التعظيم والسجود له ، فوثب على صورة ود فحكها حتى لم يدع منها

(١) لا يغلو الحديث عن احتمال ارسال ، لان الكشي روى عن ابن مسعود : عن محمد بن نصير ، عن محمد بن قيس ، عن يونس قال : لم يسمع حريز بن عبدالله من أبي عبدالله عليه السلام إلا حديثاً أو حديثين . انتهى . مع أنا نرى عنه أحاديث كثيرة .

(٢) الا لك بالمد وضم النون : الاسرب أو ابيضه أو أسوده أو خالسه .

شيئاً ، و همّوا بقتل سواع ، فوعظهم و قال : أنا أقوم لكم بما كان يقوم به ودّ ، و أنا ابنه ، فإن قتلتموني لم يكن لكم رئيس ، فمالوا إلى سواع بالطاعة والتعظيم فلم يلبث سواع أن مات ، و خلف ابناً يقال له : « يغوث » فجزعوا على سواع فأتاهم إبليس و قال : أنا الذي صورّت لكم صورة ودّ ، فهل لكم أن أجعل لكم مثال سواع على وجه لا يستطيع أحد أن يغيّره ؟ قالوا : فافعل ، فعمد إلى عود فنجره و نصبه لهم في منزل سواع ، و إننا سمّي ذلك العود خلافاً ، لأن إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ودّ ، قال : فسجدوا له و عظّموه ، و قالوا ليغوث : ما نأمنك على هذا الصنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ودّ ، فوضعوا على البيت حراً ساو حجاباً ، ثم كانوا يأتون الصنم في يوم واحد ، و يعظّمونه أشدّ ما كانوا يعظّمون سواعاً ، فلمّا رأى ذلك يغوث قتل الحرسه و الحجاب ليلاً ، و جعل الصنم رميماً ، فلمّا بلغهم ذلك أقبلوا ليقتلوه فتوارى منهم إلى أن طلبوه و رأوه و عظّموه ثم مات و خلف ابناً يقال له : يعوق فأتاهم إبليس فقال : قد بلغني موت يغوث ، و أنا جاعل لكم مثاله في شيء ، لا يقدر أحد أن يغيّره قالوا : فافعل ، فعمد الخبيث إلى حجر أبيض فنقره بالحديد حتى صور لهم مثال يغوث فعظّموه أشدّ ممّا مضى ، و بنوا عليه بيتاً من حجر ، و تبايعوا أن لا يفتحوا باب ذلك البيت إلّا في رأس كل سنة ، و سمّيت البيعة يومئذ لأنهم تبايعوا و تعاقدوا عليه ؛ فاشتد ذلك على يعوق فعمد إلى ريبطة و خلق فألقاها في الحائر ، ثم رماها بالنار ليلاً فأصبح القوم و قد احترق البيت و الصنم و الحرس و أرفض الصنم ملقى فجزعوا و همّوا بقتل يعوق فقال لهم : إن قتلتم رئيسكم فسدت أموركم ، فكفّوا فلم يلبث أن مات يعوق و خلف ابناً يقال له : نسر ، فأتاهم إبليس فقال : بلغني موت عظيمكم فأنا جاعل لكم مثال يعوق في شيء ، لا يبلى فقالوا : افعل فعمد إلى الذهب و أوقد عليه النار حتى صار كالماء ، و عمل مثلاً من الطين على صورة يعوق ثم أفرغ الذهب فيه ، ثم نصبه لهم في ديرهم و اشتد ذلك على نسر ، ولم يقدر على دخول تلك الدير فانهاز عنهم في فرقة قليلة من إخوته يعبدون نسراً ، و الآخرون يعبدون الصنم حتى مات نسر ، و ظهرت نبوة إدريس فبلغه حال القوم و أنهم يعبدون جسماً على مثال يعوق ، و أن نسراً كان يعبد من دون الله ، فسار إليهم بمن معه حتى نزل مدينة

نسروهم فيها فهزمهم^(١) وقتل من قتل ، وهرب من هرب فتفرقوا في البلاد ، وأمر بالصنم فحمل وألقى في البحر ، فاتخذت كل فرقة منهم صنماً ، وسموها بأسمائها فلم يزالوا بعد ذلك قرناً بعد قرن لا يعرفون إلا تلك الأسماء ثم ظهرت نبوة نوح عليه السلام^(٢) فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام ؛ فقال بعضهم : لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً .

بيان : ارفضاض الشيء : تفرقه ، وترقبض : تكسّر . وانحازعنه : عدل .

٩ - ثو : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن أبي الجوزاء ، عن الحسين بن علوان ، عن منذر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكر أن سلمان قال : إن رجلاً دخل الجنة في ذباب وآخر دخل النار في ذباب . فقيل له : وكيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : مرّ على قوم في عيد لهم ، وقد وضعوا أصناماً لهم لا يجوز بهم أحد حتى يقرب إلى أصنامهم قرباناً قلّ أم كثر ، فقالوا لهما ، لا تجوزا حتى تقربا كما يقرب كل من مرّ ، فقال أحدهما : ما معي شيء أقرب به ، وأخذ أحدهما ذباباً فقرّب به ، ولم يقرب الآخر ، فقال : لا أقرب إلى غير الله جلّ وعزّ شيئاً فقتلوه فدخل الجنة ، ودخل الآخر النار .

١٠ - شي : عن الزهري قال : أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن شيء فلم يجبه ، فقال له الرجل : فإن كنت ابن أهلك فإنك من أبناء عبدة الأصنام ؛ فقال له : كذبت إن الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكة ففعل ، فقال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام . فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قط ، ولكن العرب عبدة الأصنام ، وقالت بنو إسماعيل : هؤلاء شفعاؤنا عند الله فكفرت ولم تعبد الأصنام .

بيان : لعل المراد أنهم أقرّوا بوحداية الصانع ، وإن أشركوا من جهة العبادة والسجود لها ، فنفي عليه السلام عنهم أعظم أنواع الشرك وهو الشرك في الربوبية ، وقدمت الإشارة إلى الفرق بينهما في الباب السابق .^(٣)

(١) وفي نسخة : فهزمهم .

(٢) وفي نسخة : فظهرت نبوة نوح عليه السلام .

(٣) والرواية مع ذلك لا تخفى عن شيء ؛ فان توحيد الصانع بهذا المعنى أساس الثنوية ؛ واتخاذ

الأصنام آلهة وعبادتها ليس إلا القول بكونهم شفعا . ط

١١ - كا : محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، عن العباس بن عامر ، عن أحمد بن رزق الغمشاني ، عن عبد الرحمن بن الأشج يبيع الأ نماط ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كانت قريش تلتطبخ الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر ، وكان يغوث قبالة الباب ، وكان يعوق عن يمين الكعبة ، وكان نسرأ عن يسارها ، وكانوا إذا دخلوا خرُّوا وسجدوا ليغوث ، ولا ينحنون ^(١) ثم يستديرون بحيالهم إلى يعوق ، ثم يستديرون بحيالهم إلى نسر ، ثم يلبَّون فيقولون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لأشريك لك ، لأشريك هو لك ، تملكه وما ملك . قال : فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة ، فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلا أكله ، وأنزل الله عزَّ وجلَّ : يا أيُّها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

١٢ - فس : قال عليُّ بن إبراهيم في قوله : «أفرايت من اتخذ إلهه هواه» قال : نزلت في قريش وذلك أنَّه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من مكَّة وتفرقوا ، وكان الرجل إذا رأى شجرة حسنة ، أو حجراً حسناً هواه فعبده ، وكانوا ينحرون لها النعم ، ويلطخونها بالدم ويسمونها سعدصخرة ، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى الصخرة فيتمسحون بها الغنم والإبل ؛ فجاء رجل من العرب بإبل له يريد أن يتمسح بالصخرة إبله ويبارك عليها ، فنفرت إبله وتفرقت ، فقال الرجل شعراً :

أتيت إني سعد ليجمع شملنا ☆ فشتتنا سعد فمانحن من سعد
وما سعد إلا صخرة مسودة ☆ من الأرض لاتهدي لغني ولا رشد
ومرَّ به رجل من العرب والثعلب يبول عليه فقال شعراً :
أربُّ يبول الثعلبان برأسه ؟ ☆ لقد ذلَّ من بالث عليه الثعالب !



﴿باب ٨﴾

﴿نفي الولد والصاحبة﴾

الآيات ، النساء : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكياً * لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ١٧٢، ١٧١

المائدة : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير * وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ١٨، ١٧

أقول : سيأتي كثير من الآيات المتعلقة بعيسى عليه السلام في كتاب النبوة ، وكثير منها في أبواب الاحتجاجات .

التوبة : وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ٣٠-٣١

يونس : قانوا اتخذوا الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ٦٨

الاسرى : أفأصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ٤٠

الكهف : وينذر الذين قالوا اتخذوا الله ولداً * ما لهم به من علم ولا آياتهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ٤ ، ٥

مریم : ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمراً فإنما يقول له كن فيكون ٣٥ * وقال تعالى : وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعددهم عدداً ٨٨ - ٩٤

الانبياء : وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ٢٦ - ٢٩

الصفات : فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون * أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون * ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون * أصطفى البنات على البنين * مالكم كيف تحكمون * أفلا تذكرون * أم لكم سلطان ميين * فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين * وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون * سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلصين * فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم * وما منّا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون ١٤٩ - ١٦٦

الزمر : لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد

القهار ٤

الزخرف : وجعلوا له من عباده جزءاً إن الأناسان لكفور ميين * أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفيكم بالبنين * وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير ميين * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسئلون * وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون * أم آتيناهم كتاباً من قبلهم فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهبطون ٢٢٠

«وقال تعالى» : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ❖ سبحانه رب السموات والأرض
رب العرش عما يصفون ٨١ ، ٨٢

الطور : أم له البنات ولكم البنون ٢٩

النجم . ألكم الذكر وله الأنثى ❖ تلك إذا قسمة ضيزى ٢١، ٢٢ «وقال تعالى» :
إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لیسْمُون الملائكة تسمية الأنثى ❖ وما لهم به من علم إن
يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ٢٧ ، ٢٨
الجن : وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ٣

١ - فس : جعفر بن أحمد ، عن عبيد الله بن موسى ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ،
عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : قوله تعالى : «وقالوا اتخذ الرحمن
ولداً» قال : هذا حيث قالت قريش : إن لله ولداً ، وإن الملائكة إناث ، فقال الله تبارك
وتعالى ردّاً عليهم : «لقد جئتم شيئاً إدّاً» أي عظيماً «تكاد السموات يتفطرن منه» ممّا
قالوا : أن دعوا للرحمن ولداً ، فقال الله تبارك وتعالى : «وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً
إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدداً و كلهم
آتية يوم القيامة فرداً» واحداً واحداً .

٢ - يد : ماجيلويه ، عن عمه ، عن البرقي ، عن اليقطيني ، عن سليمان بن رشيد ،
عن أبيه ، عن المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الحمد لله الذي لم يلد فيورث
ولم يولد فيشارك .

٣ - فس : قوله : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ، يعني أول الآنفين
له أن يكون له ولد .^(١)

بيان : هذا أحد الوجوه في تأويل هذه الآية . قال الجوهرى : قال أبو زيد : العبد
بالتحريك : الغضب والأنف ، والاسم العبدة مثل الأنفة ، وقد عبد أي أنف . وقال أبو عمرو :
قوله تعالى : فأنا أول العابدين من الأنف والغضب انتهى . وثانيها أن يكون من قبيل

(١) أنف من العار : ترفع وتنزه عنه . كرهه . وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنا
أول العابدين أي العاحدين .

تعليق المحال بالمحال أي ليس له ولد، إذ لو كان له ولد لكنت أول العابدين له، فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح، وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه، ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده. وثالثها: أن المعنى: إن كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله، الموحدين له، المنكرين لقولكم. ورابعها: أن «إن» بمعنى «ما» للنفي؛ والمعنى: ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين لله المقرين بذلك.

أقول: سيأتي ما يتضمن نفي الصاحبة والولد في باب جوامع التوحيد، وسنذكر احتجاج النبي ﷺ على القائلين بالولد في المجلد الرابع.

﴿باب ٩﴾

﴿النهى عن التفكير في ذات الله تعالى، والغوص في مسائل التوحيد﴾

﴿(واطلاق القول بأنه شيء)﴾

الآيات، الزمر: وما قدروا الله حق قدره ٦٧

١ - شي: عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن رجلاً قال لأمر المؤمنين عليه السلام: هل تصف ربنا نزداد له حباً وبه معرفة؟ فغضب وخطب الناس، فقال فيما قال: عليك يا عبدالله بما دلتك عليه القرآن من صفته، وتقدّسك فيه الرسول من معرفته فائتم به واستضيء بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنة الرسول وأئمة الهداة أثره فكل علمه إلى الله ولا تقدر عليه عظمة الله ^(١) واعلم يا عبدالله أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب، إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: آمننا به كل من عند ربنا، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً.

(١) وفي نسخة: ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين.



بيان : الاقتحام : الهجوم والدخول مغالبة . والسدد جمع السدة وهي الباب المغلق وفيه إشكال لدلالته على أن الراسخين في العلم في الآية غير معطوف على المستثنى ، كما دللت عليه الأخبار الكثيرة ، وسيأتي القول فيه في كتاب الإمامة ،^(١) إلا أن يقال إن هذا إلزام على من يفسر الآية كذلك ، أو يقال : بالجمع بين التفسيرين على وجهين مختلفين ؛ وسيأتي تمام القول في ذلك في محله إن شاء الله تعالى .

٢ - ج : روي عن هشام أنه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام : أن الله تعالى ماهو؟ فقال عليه السلام : هوشي ، بخلاف الأشياء ،^(٢) أرجع بقولي : شيء إلى أنه شيء ، بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ، ولا يحس ولا يجس ،^(٣) ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ، ولا تنقصه الدهور ، ولا تغيره الأزمان . الخبر .

بيان : اعلم أن الشيء مساو للموجود إذا أخذ الوجود أعم من الذهني والخارجي ، والمخلوط بالوجود من حيث الخلط شيء ، وشيئته كونه ماهية قابلة له ؛ وقيل : إن الوجود عين الشيئية . فإذا عرفت هذا فالمراد بقوله : بحقيقة الشيئية أي بالشيئية الحقة الثابتة له في حد ذاته لأنه تعالى هو الذي يحق أن يقال له : شيء أو موجود ، لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه ، وغيره تعالى في معرض العدم والفناء ، وليس وجودهم إلا من غيرهم ، أو المراد أنه يجب معرفته بمحض أنه شيء ، لأن ثبت له حقيقة معلومة مفهومة يتصدى لمعرفتها فإنه يمتنع معرفة كنه ذاته وصفاته ؛ وقيل : إنه إشارة إلى أن الوجود عين ذاته تعالى .

(١) قد بينا في تفسير «الميزان» انه هو المتيقن في الآية ، وتكلمنا في الاخبار الكثيرة التي يشير

إليها ط

(٢) أي هو موجود يخالف سائر الموجودات ، فان سائر الموجودات لها وجود وماهية زائدة على وجودها ، ولكن الله تعالى حقيقته صرف الوجود ، وعين الوجود ، وله حقيقة الشيئية وهي الوجود . ثم بين عليه السلام وجه اختلافه تعالى مع سائر الاشياء بقوله : غير أنه لا جسم الخ . ولعله عليه السلام أشار بقوله : هوشي . بخلاف الاشياء إلى أنه لا يعرف أحد حقيقة ذاته وصفاته ، وإنما يعرف بمفهوم سلبي وهو أنه موجود مغاير لخلقه في الذات والصفات ، مثل الامكان والحدوث والجسمية وغيرها .

(٣) بالجيم إمامن جته بيده أي مت بيده ليتعرفه ، أو بينه أي أحد النظر إليه ليتبينه ، وإمامن جس الاخبار والامور أي بحث وتفحص عنها .

٣ - لى : أبي ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد ابن حران ، عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا زياد إياك والخصومات ، فإنها تورث الشك ، وتحبط العمل ، وتردي صاحبها ، وعسى أن يتكلم الرجل بالشيء لا يغفر له ؛ يا زياد إنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وگلوأ به ، ^(١) و طلبوا علم ما كفوه ، ^(٢) حتى انتهى بهم الكلام إلى الله عز وجل فتحيروا ، فإن كان الرجل يدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ، أو يدعى من خلفه فيجيب من بين يديه .

سن : أبي ، عن ابن أبي عمير مثله .

٤ - لى : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي اليسع ، ^(٣) عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إياكم و التفكير في الله ، فإن التفكير في الله لا يزيد إلا تيبها ^(٤) إن الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار .

٥ - ن : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن بندار ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن محمد ابن عبد الله الخراساني - خادم الرضا عليه السلام - قال : قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام : هل يقال لله : أنه شيء ؟ فقال : نعم ، وقد سمى نفسه بذلك في كتابه فقال : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » فهو شيء ليس كمثله شيء .

٦ - فس : قوله : « وأن إلى ربك المنتهى » حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا ، وتكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتاقت عقولهم حتى

(١) أي علم ما كلفوا به ، وهو العلم بما أمر الله به ونهاه عنه ، والعلم بمحبوباته ومبغوضاته .

(٢) أي علم ما كفاهم الله مؤنته - ان كان من الكفاية - أو علم ما صرفه الله عنهم - ان كان من الكف - والمراد التفحص عما كانت أفهام البشر عن دركه قاصرة ، كاللحام في العرش وما فوقه ، والكلام في كنه الذات والصفات .

(٣) الظاهر هو عيسى بن السري أبو اليسع الكرخي البغدادي ، وثقه النجاشي وغيره ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، له كتاب .

(٤) أي تحيراً وضلالاً .



كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه ، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه
بيان : التكلم فيما فوق العرش كناية عن التفكير في كنه ذاته و صفاته تعالى ،
فالمراد اما الفوقية المعنوية ؛ أو بناءً على زعمهم حيث قالوا : بالجسم والصورة ؛ ويحتمل
على بعد أن يكون المراد التفكير في الخلائق البحت بعد انتهاء الأبعاد .

٧- شي : عن ربعي ، عمّن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « وإذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا » قال : الكلام في الله والجدال في القرآن « فأعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره » قال : منهم القصاص .

بيان : القصاص علماء المخالفين فإنهم كرواة القصص و الأكاذيب فيما يبنون
عليه علومهم ، وهم يخوضون في تفاسير الآيات وتحقيق صفات الذات بالظنون والأوهام
لانحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام .

٨ - يد ، مع : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر والفقيمي ^(١) عن هشام
ابن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق - حين سأله عن الله ما هو ؟ - : قال
هوشي ، بخلاف الأشياء ، أرجع بقولي : شيء ، إلى إثبات معنى ، وإنه شيء ، بحقيقة الشئية ،
غير أنه لا جسم ولا صورة .

٩ - يد ، مع : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن محمد بن عيسى ، عمّن ذكره ، رفعه
إلى أبي جعفر عليه السلام أنه سئل أيجوز أن يقال : إن الله عز وجل شيء ؟ قال : نعم تخرجه
من الحدّين : حدّ التعطيل ، وحدّ التشبيه .

ج : مرسلًا مثله .

بيان : حدّ التعطيل هو عدم إثبات الوجود و الصفات الكمالية و الفعلية و
الإضافية له تعالى ، وحدّ التشبيه الحكم بالاشتراك مع الاممكّنات في حقيقة الصفات
وعوارض الاممكّنات .

١٠ - يد : العطار ، عن أبيه ، عن سهل قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام - سنة خمس

(١) نسبة إلى فقيم - وزان هذيل - بطن من دارم وهم بنو فقيم بن جرير بن دارم ، وأما النسبة إلى
فقيم كناية « فقي » كرمي ، نص علي ذلك في القاموس وغيره .

وخمسين ومائتين - : قد اختلف ياسيدي أصحابنا في التوحيد ، منهم من يقول : هو جسم ، ومنهم من يقول : هو صورة ، فإن رأيت ياسيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطوِّلاً على عبدك .

فوقع بخطئه - عنه - : سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول ، الله تعالى واحد ، أحد ، صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، خالق وليس بمخلوق ، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك ، ويصور ما يشاء ، وليس بمصور ، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، وتعالى عن أن يكون له شبه ، هو لا غيره ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

بيان : وهذا عنكم معزول أي لا يجب عليكم التفكير في الذات والصفات بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه .

١١ - سر : السيارى^(١) قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصوم والصلاة ، إنما العبادة في التفكير في الله .

بيان : أي التفكير في قدرته وعظمته بالتفكير في عظمة خلقه ، كما فسّره في الأخبار الأخر ، أو بالتفكير فيما جاء عن الله وحججه عليهم السلام في ذلك .

١٢ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام بمسائل ، فيها : أخبرني عن الله عز وجل هل يوصف بالصورة وبالتخطيط ، فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد .

فكتب صلى الله عليه على يدي عبدالملك بن أعين : سألت رحك الله عن التوحيد وما ذهب فيه من قبلك ، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، تعالى الله عما يصفه الواسفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه ، المفترون على الله . واعلم رحك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل ، فأنف

(١) هو أحمد بن محمد بن سيار أبو عبدالله الكاتب ، بصرى : كان من كتاب آل طاهر في زمن أبي عبدالله عليه السلام ، ضعيف الحديث ، فاسد المذهب . نص على ذلك النجاشي .

عن الله البطلان والتشبيه ، فلانفي ولا تشبيه ، هو الله الثابت الموجود ، تعالى الله عما يصفه
الواصفون ، ولا تعد القرآن فتضل بعد البيان .

بيان : على يدي عبد الملك أي كان هو الرسول والحامل للكتاب والجواب .

١٣ - ضا : إياك و الخصومة فإنها تورث الشك ، و تحبط العمل ، و تردى
صاحبها ،^(١) وعسى أن يتكلم بشيء لا يغفر له .^(٢)

١٤ - وروى أنه كان فيما مضى قوم انتهى بهم الكلام إلى الله جل وعز فتحيروا ، فإن
كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه .^(٣)

١٥ - و أروي : تكلموا فيما دون العرش فإن قوماً تكلموا في الله جل وعز

فتأهوا .

١٦ - وأروي عن العالم عليه السلام - وسألته عن شيء من الصفات - فقال : لا تتجاوز مما

في القرآن .

١٧ - وأروي أنه قرىء بين يدي العالم عليه السلام قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك

الأبصار ، فقل : إنما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام ، فقال : لا تدرك الأوهام كيفيته
وهو يدرك كل وهم ، وأما عيون البشر فلا تلحقه ، لأنه لا يحد فلا يوصف ؛ هذا ما نحن
عليه كلنا .

١٨ - يد : الدقاق ، عن الأسيدي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن

بكر بن صالح ، عن الحسين بن سعيد قال : سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام يجوز أن يقال لله : إنه
شيء ؟ فقال : نعم ، تخرجه من الحدين : حد التعطيل وحد التشبيه .^(٤)

١٩ - يد : ابن مسرور ، عن ابن بطّة ، عن عدّة من أصحابه ، عن اليقطيني قال :

قال لي أبو الحسن عليه السلام : ما تقول : إذا قيل لك : أخبرني عن الله عز وجل ، أشي - هوأم
لاشيء هو ؟ قال : فقلت له : قد أثبت عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول : « قل أي شيء أكبر

(١) أي تهلك صاحبها وتضاهها .

(٢) تقدم الحديث مسنداً تحت رقم ٣ .

(٣) الظاهر أنه قطعة من الحديث السادس .

(٤) الظاهر اتعاده مع ما تقدم تحت رقم ٩ .



شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم» فأقول : إنه شيء ، لا كالأشياء ؛ إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه . قال لي : صدقت وأصبت .

ثم قال الرضا عليه السلام : للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : نفي ، وتشبيه ، وإثبات بغير تشبيه ، فمذهب النفي لا يجوز ، ومذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء ، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه .

شي : عن هشام المشرقي ، عنه عليه السلام مثله . وزاد في آخره وهو كما وصف نفسه أحد صمد نور .

٢٠ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله تبارك وتعالى خلو من خلقه ، وخلقه خلومنه ، وكلما وقع عليه اسم شيء ، ما خلا الله عز وجل فهو مخلوق ، والله خالق كل شيء ، تبارك الذي ليس كمثله شيء .

يد : حمزة بن محمد العلوي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن عطية ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله : خالق كل شيء .

يد : ماجيلويه ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المعز رفعه عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلى قوله : فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل .

ايضاح : الخلو بكسر الخاء وسكون اللام : الخالي . وقوله عليه السلام : خلو من خلقه أي من صفات خلقه أو من مخلوقاته ، فيدل على نفي الصفات الموجودة الزائدة لأنها لا بد أن تكون مخلوقة لله تعالى بانضمام المقدمتين الأخيرتين المبنيتين على التوحيد ، واتصافه بمخلوقه مستحيل لما تفر من أن الشيء لا يكون فاعلاً وقابلاً لشيء واحد ، ويدل أيضاً على بطلان ما ذهب إليه جماعة من كونه تعالى معروضاً لما هيئات الممكنات . وقوله عليه السلام : وخلقه خلومنه أي من صفاته ، أو المراد أنه لا يحل في شيء بوجه من الوجوه ، فينفي كونه عارضاً لشيء أو حالاً فيه أو متمكناً فيه إذ ما من شيء إلا وهو مخلوق له بحكم المقدمتين الأخيرتين .

٢١ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن

النضر، عن ابن حميد رفعه قال : سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن التوحيد فقال : إن الله تعالى علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله تعالى : «قل هو الله أحد الله الصمد» والآيات من سورة الحديد إلى قوله : «وهو عليم بذات الصدور» فمن رام ما وراء ذلك فقد هلك .

بيان : ظاهره المنع عن التفكير والخوض في مسائل التوحيد والوقوف مع النصوص ، وقيل : المراد أنه تعالى بين لهم صفاته ليتفكروا فيها ؛ ولا يخفى بعده .

٢٢ - سن : أبي ، عن صفوان ، وابن أبي عمير معاً ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا سليمان إن الله يقول : «وأن إلى ربك المنتهى» فإذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا .

٢٣ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الرحيم القصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الصفة فقال : فرغ يديه إلى السماء ثم قال : تعالى الله الجبار ، إنه من تعاطى مائمه هلك . يقولها مرتين .

بيان : تعالى الله الجبار أي عن أن يكون له جسم أو صورة أو يوصف بصفة زائدة على ذاته ، وأن يكون لصفاته الحقيقية بيان حقيقي ؛ من تعاطى أي تناول بيان مائمه من صفاته الحقيقية هلك وضل ضلالاً بعيداً .

٢٤ - سن : بعض أصحابنا ، عن حسين بن مياح ، ^(١) عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من نظر في الله كيف هو هلك .

٢٥ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا محمد إن الناس لا يزال لهم المنطق حتى يتكلموا في الله ، فإذا سمعتم ذلك فقولوا : لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء .

(١) قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة : الحسين بن مياح - بالياء المنقطة تحتها تقطعتين الشدة بعد اليم ، والحاء غير المعجمة بعد الالف - المدائني ، روى عن أبيه ، قال ابن النضائري : إنه ضعيف قال انتهى . وقال النجاشي في ترجمة أبيه مياح المدائني ضعيف جداً له كتاب يعرف برسالة مياح ، وطريقها أضعف منها وهو محمد بن سنان .

بيان : أي إذا سمعتم الكلام في الله فاقصروا على التوحيد ونفي الشريك منبهاً على أنه لا يجوز الكلام فيه ، وتبيين معرفته إلا بسلب التشابه والتشارك بينه وبين غيره ؛ وإذا أجر والكلام في الجسم والصورة فقولوا ذلك تنزيهاً له عما يقولون .

٢٦ - سن : ابن فضال ، عن نعلبة ، عن الحسن الصيقل ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : تكلموا فيما دون العرش ، ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلموا في الله فتأهوا ، حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه ،

٢٧ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص أخي مرزم ، عن الفضل بن يحيى قال : سأل أبي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة ، فقال : لا تجاوز عما في القرآن .

٢٨ - سن : أبو أيوب المدني ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن بكير ، عن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن ملكاً كان في مجلسه فتناول الرب تبارك وتعالى ففقد فما يدري أين هو .

بيان : أي فقد من مكانه سخطاً من الله عليه ؛ أو تحييراً وسار في الأرض فلم يعرف له خبر . وقيل : هو على المعلوم أي فقد ما كان يعرف و كان لا يدري في أي مكان هو من الحيرة ؛ ولا يخفى ما فيه .

٢٩ - سن : محمد بن عيسى ، عن ذكره رفعه قال : سئل أبو جعفر عليه السلام أي جوز أن يقال لله : أنه موجود ؟ قال : نعم تخرجه من الحدين : حد الإبطال وحد التشبيه .

٣٠ - م : لقد مر أمير المؤمنين عليه السلام على قوم من أخلاط المسلمين ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، وهم قعود في بعض المساجد في أول يوم من شعبان ، وإذا هم يخوضون في أمر القدر وغيره ، ما اختلف الناس فيه ، قدارت أصدواتهم واشتد فيه جدالهم ، فوقف عليهم وسلم فردوا عليه ووسعوا له ، وقاموا إليه يسألونه القعود إليهم ، فلم يحفل بهم ،^(١) ثم قال لهم - وناداهم - : يا معاشر المتكلمين ألم تعلموا أن لله عبادةً قد أسكنتهم خشيته من غير عي ولا بكم ؟ وأنهم هم الفصحاء البلغاء الألباء ،^(٢) العالمون بالله وأيامه

(١) أي فلم يبال بهم ولم يهتم لهم .

(٢) الألباء جمع اللبيب : العاقل .

ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انكسرت ألسنتهم ، وانقطعت أفئدتهم ، وطاشت عقولهم ، وتاهت حلومهم ، إعزاز الله وإعظاماً وإجلالاً ، فإذا أفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدّون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين ، وأنهم برآء من المقصرين والمفرطين إلا إنهم لا يرضون الله بالقليل ، ولا يستكثرون الله الكثير ، ولا يدلّون عليه بالأعمال ، فهم إذا رأيتهم مهيمون مروّعون ، خائفون ، مشفقون ، وجلون ؛ فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين ألم تعلموا أن أعلم الناس بالضرر أسكتهم عنه ، وأن أجهل الناس بالضرر أنطقهم فيه ؟ .
بيان : لا يدلّون من قولهم : أدلّ عليه أي أوثق بمحبته فأفرط عليه . والهيام : الجنون من العشق .

٣١ - كش : علي بن محمد ، عن محمد بن موسى الهمداني ، عن الحسن بن موسى الخشاب ، عن غيره ، عن جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي قال : اجتمع ابن سالم ، وهشام بن الحكم ، وجميل بن درّاج ، وعبدالرحمن بن الحجّاج ، ومحمد بن حمران ، وسعيد بن غزوان ، ونحن من خمسة عشر من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد ، وصفة الله عزّ وجلّ ، وعن غير ذلك ، لينظروا أيهم أقوى حجة ، فرضي هشام بن سالم أن يتكلّم عند محمد بن أبي عمير ، ورضي هشام بن الحكم أن يتكلّم عند محمد بن هشام فتكلما وساقا ما جرى بينهما ، وقال . قال عبدالرحمن بن الحجّاج لهشام بن الحكم : كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه ، ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضرب به . قال جعفر بن محمد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكي له مخاطبتهم وكلامهم ، ويسأله أن يخبرهم ما القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبار فأجابته في عرض كتابه : وسمت رحمتك الله ، واعلم رحمتك الله أن الله أجلّ وأعلى وأعظم من أن ي... فصفوه... وأوصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك .

٣٢ . بن الوليد ، عن الصفار ، عن اليقطيني ، عن ابن أبي نجران قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلت : أتوهم شيئاً ؟ فقال : نعم غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ، ولا تدركه الأوهام ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام ؟ إنما يتوهم شيء غير مفهوم ولا محدود .

بيان : اعلم أن من المفهومات مفهومات عامة شاملة لا يخرج منها شيء من الأشياء لاذهنأ ولا عيناً كمفهوم الشيء، والموجود والمخبر عنه، وهذه معان اعتبارية يعتبرها العقل لكل شيء؛ إذ اتقرر هذا فاعلم : أن جماعة من المتكلمين ذهبوا إلى مجرد التعطيل، و منعوا من إطلاق الشيء، والموجود و أشباههما عليه، محتجين بأنه لو كان شيئاً شارك الأشياء في مفهوم الشيئية وكذا الموجود وغيره. و ذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بين الواجب والممكن، وبأنه لا يمكن تعقل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجود، وبكذب جميع الأحكام الإيجابية عليه تعالى. و يرد قولهم الأخبار السالفة، وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر وما صدق عليه، وبين الحمل الذاتي والحمل العرضي، و بين المفهومات الاعتبارية والحقائق الموجودة.

فأجاب عليه السلام بأن ذاته تعالى وإن لم يكن معقولاً لغيره ولا محدوداً بحد إلا أنه مما يصدق عليه مفهوم شيء، لكن كل ما يتصور من الأشياء فهو بخلافه لأن كل ما يقع في الأوهام والعقول فصورها الإدراكية كصفات نفسانية، وأعراض قائمة بالذهن، و معانيها مبهيات كلية قابلة للاشتراك والانقسام فهو بخلاف الأشياء. (١)

﴿باب ١٠﴾

﴿أدنى ما يجزى من المعرفة في التوحيد، وأنه لا يعرف الله إلا به﴾

١ - يد، ن : ماجيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن مختار بن محمد بن مختار الهمداني، عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن أدنى المعرفة فقال : الإقرار بأنه لا إله غيره، ولا شبه له ولا نظير له، وأنه قديم مثبت، موجود غير فقيد، وأنه ليس كمثله شيء.

(١) اعلم أن هذا الخبر وما يساوقه في البيان من أخبار التوحيد من غرد الأخبار الواردة عن معادن العلم والحكمة - عليهم السلام - وما ذكره المصنف في هذا البيان وما يشابهه من البيانات متألفة من مقدمات كلامية أو فلسفية عامة غير وافية لا يوضح تمام المراد منها وإن لم تكن أجنبية عنها بالكلية، وليان لب المراد منها مقام آخر. ط

بيان : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : موجود إمّا من الوجود أو من الوجدان أي معلوم . وكذا
قوله : عير فقيد أي غير مفقود زائل الوجود ، أو لا يفقده الطالب . وقيل : أي غير مطلوب
عند الغيبة حيث لا غيبة له .

٢ - يد ، ن : الدقاق ، عن محمد الأسدي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ،
عن بكر بن زياد ، عن عبدالعزیز بن المهدي قال : سألت الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن التوحيد ،
فقال : كل من رأى قل هو الله أحد و آمن بها فقد عرف التوحيد . قلت : كيف يقرأها ؟
قال : كما يقرأها الناس . وزاد فيه : كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربّي .

٣ - يد : الدقاق والوراق معاً ، عن الصوفي ، عن الروياني ، عن عبدالعظيم
الحسني قال : دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما بصرتني قال لي : مرحباً بك يا أبا القاسم أنت
وليّنا حقاً . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله إنّي أريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان
مرضياً ثبتت عليه حتى ألقى الله عز وجل . فقال : هاتها أبا القاسم .

فقلت : إنّي أقول : إن الله تبارك و تعالی واحد ليس كمثله شيء ، خارج من
العدّين : حدّ الإبطال ، وحدّ التشبيه ، وأنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر ،
بل هو مجسم الأجسام ، ومصوّر الصور ، وخالق الأعراض والجواهر . ورب كل شيء ،
ومالكه وجاعله ومحدثه ، وإنّ محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين فلانبي بعده إلى يوم
القيامة ، وأقول : إنّ الإمام والخليفة و وليّ الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،
ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى
ابن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم أنت يامولاي .

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟ قال :
فقلت : وكيف ذلك يا مولاي ؟ قال : لأنّه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى
يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

قال : فقلت : أقررت وأقول : إنّ وليّهم وليّ الله ، وعدوهم عدو الله ، وطاعتهم
طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، وأقول : إنّ المعراج حق ، والمسائلة في القبر حق ، وإنّ

الجنة حق، والنار حق، والصراط حق، والميزان حق، وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور؛ وأقول: إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فقال علي بن محمد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فأنبت عليه نبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٤ - يد: ماجيلويه، عن عمه، عن محمد بن علي القرشي، عن محمد بن سنان، عن محمد بن يعلى الكوفي، عن جوير، عن الضحّاك، عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم. قال: ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غريبه؟ قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: معرفة الله حق معرفته. قال الأعرابي: وما معرفة الله حق معرفته؟ قال: تعرفه بلا مثل ولا شبه ولا ند، وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر، لا كفوله ولا نظير، فذلك حق معرفته.

بيان: الند بالكسر: المثل.

٥ - يد: أبي و ابن الوليد معاً، عن محمد العطار، و أحمد بن إدريس معاً، عن الأشعري، عن بعض أصحابنا، عن محمد بن علي الطاحن، عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إلى الطيب - يعني أبا الحسن عليه السلام - ما الذي لا يجتري في معرفة الخالق جلّ جلاله بدونه؟ فكتب عليه السلام:

ليس كمثل شيء، لم يزل سمياً وعلماً وبصيراً، وهو الفعّال لما يريد. (١)

(١) رواه الكليني في الكافي في باب أدنى المعرفة عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. أقول: قوله: في حال استقامته إشارة إلى تغير حاله، لأنه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالقلوب، نص على ذلك الشيخ في الفهرست حيث قال: طاهر بن حاتم بن ماهويه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالقلوب، وله روايات، أخبرنا برواياته حال استقامته جماعة عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، ومحمد بن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. انتهى. وقال النجاشي: طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني أخو فارس بن حاتم كان صحيحاً ثم خلط عليه الخ.

بيان : المشهور أن الكاف زائدة ، وقيل : أي ليس مثل مثله شيء ، فيدل على نفي مثله بالكناية التي هي أبلغ ، لأنه مع وجود المثل يكون هو مثل مثله ، أو المعنى : أنه ليس ما يشبه أن يكون مثلاً له فكيف مثله حقيقة .

٦ - يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنني ناظرت قيوماً فقلت لهم : إن الله أكرم وأجل من أن يعرف بخلقه ، بل العباد يعرفون بالله ^(١) . فقال : رحمتك الله .

٧ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن الفضل بن السكن ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان ^(٢) .

٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن بعض أصحابنا ، عن علي بن عقبة رفعه قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام بم عرفت ربك ؟ فقال : بما عرفني نفسه . قيل :

(١) على صيغة المعلوم أي العباد يعرفون الله بالله ، أي يعرفون الله بتوفيقه وهدايته ، أو بما وصف نفسه وعرفهم من الصفات اللامعة بجماله وجلاله ، أو يكون الإشارة إلى البرهان المسمى ببرهان الصديقين الذي هو أشرف البراهين وأسدها ، وهو الاستدلال به تعالى عليه ، والاستشهاد بذاته تعالى على صفاته ، وبصفاته على أفعاله « أولم يكف بربك أنه على كل شيء قدير » . ولعله إليه أشار الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله : بك عرفتك وأنت دللتني عليك ، ودعوتني إليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت . وبقوله : يا غفار بنورك اهتدينا . وتأتي هذه الاحتمالات في قوله : اعرفوا الله بالله . أو على صيغة المجهول ويكون المراد - على ما قيل - أنه تعالى لا يعرف حق المعرفة إلى خلقه والاستدلال بهم عليه ، بل الخلق يعرفون بنور ربهم ، كما تعرف الذرات بنور الشمس دون العكس ، وليس نور الله في آفاق النفوس بأقل من نور الشمس في آفاق السماء ، قال عز من قائل : « وأشرققت الأرض بنور ربها » فضوءه قاطع لرين أرباب الضمائر ، ونوره ساطع في أبصار أصحاب البصائر .

(٢) رداً الكليني في الكافي - في باب أنه لا يعرف إلا به - عن علي بن محمد ، عن ذكره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن حمران ، عن الفضل بن السكن ، عن أبي عبد الله عليه السلام . وقال في ذيله : يعني أن الله خلق الأشخاص والانوار والجواهر والاعيان . إلى آخر ما يأتي ذيل الخبر الاتي من الصدوق ، وظاهره أن المعنى من الكليني لا من الإمام عليه السلام .

وكيف عرفك نفسه؟ فقال: لا تشبهه صورة،^(١) ولا يحس بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال شيء، فوقه، أمام كل شيء، ولا يقال له، أمام، داخل في الأشياء لاكشيء، في شيء داخل، وخارج من الأشياء لاكشيء، من شيء، خارج، سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره، ولكل شيء مبدأ.^(٢)

سن: بعض أصحابنا، عن صالح بن عقبة، عن قيس بن سميان، عن أبي ربيعة - مولى رسول الله ﷺ -^(٣) رفعه قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام وذكر مثله.

بيان: قريب من حيث إحاطة علمه وقدرته بالكل. في بعده أي مع بعده عن الكل من حيث المباشرة في الذات والصفات فظهر أن قرب به ليس بالمكان، بعيد عن إحاطة العقول والأوهام والأفهام به مع قرب به حفظاً وتربية ولطفاً ورحمة، وقد مر أنه يحتمل أن يكون إشارة إلى أن جهة قرب به أي بالعلية واحتياج الكل إليه هي جهة بعده عن مشابهة مخلوقاته إذ الخالق لا يشابه المخلوق، وكذا العكس. فوق كل شيء أي بالقدرة والقهر والغلبة، وبالكمال والاتصاف بالصفات الحسنة، ولا يقال: شيء، فوقه في الأمرين، وفيه إشعار بأنه ليس المراد به الفوقية بحسب المكان وإلا لا يمكن أن يكون شيء، فوقه. أمام كل شيء أي علة كل شيء، ومقدم عليها، ويحتاج إليه كل موجود، ويتضرع إليه ويعبده كل مكلف، أو كل شيء، متوجه نحوه في الاستكمال، والتشبه به في صفاته الكمالية؛ و

(١) وفي نسخة: لا يشبه صورة.

(٢) وفي نسخة: ولكل شيء مبتدأ.

(٣) هكذا في البحار والمحاسن المطبوعين. والصحيح - كما في الكافي - : علي بن عقبة بن قيس بن سميان بن أبي ربيعة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله. فالسند مصحف بتبديل «ابن» «بن» في موضعين وتبديل «علي» «صالح». وضبط عقبة بضم العين المهملة، وسكون القاف، وفتح الباء ثم الهاء. واختلف في ضبط ربيعة. قال الفاضل المامقاني في رجاله: ربيعة بالراء المهملة المضومة، والباء الموحدة المفتوحة، والمثناة الساكنة، والحاء المهملة المفتوحة، والهاء. وفي بعض النسخ: زنة بالزاي والنون والحاء المهملة، وعن بعض كتب الرجال: بريجة بالباء الموحدة ثم الراء المهملة، وقيل: إن نسخ الكافي في كتاب التوحيد: أبو بريجة بالباء الموحدة المضومة، والراء المفتوحة والياء المثناة من تحت بعدها حاء مهملة، وكذا ضبطه في الإيضاح وقال: كذا وجدناها معربة في كتاب البرقي. انتهى.

الكلام في قوله : ولا يقال له : أمام كما مر . داخل في الأشياء أي لا يخلو شيء من الأشياء ولا جزء من الأجزاء عن تصرفه وحضوره العلمي وإفاضة فيضه وجوده عليه ، لا كدخول الجزء في الكل ، ولا كدخول العارض في المعروض ، ولا كدخول المتمكن في المكان . خارج من الأشياء بتعالي ذاته عن ملابتها ومقارنتها والاتصاف بصفاتها و الايتلاف منها ، لا كخروج شيء من شيء ، بالبعد المكاني أو المحلي . وقوله : ولكل شيء مبدء أي علة في ذواتها وصفاتها كالتعليل لما سبق .

٩ - يد : محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي ، عن أحمد بن محمد بن سعيد النسوي ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصغدني - بمرور - ^(١) عن محمد بن يعقوب بن الحكم العسكري ، و أخيه معاذ بن يعقوب ، عن محمد بن سنان الحنظلي ، عن عبد الله بن عاصم ، عن عبد الرحمن ابن قيس ، عن ابن هاشم الرماني ، عن زاذان ، ^(٢) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجائليق المدينة مع مائة من النصارى ، وما سأل عنه أبا بكر فلم يجبه ، ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام فسأله عن مسائل فأجابها ، وكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عرفت الله بمحمد ، أم عرفت محمداً بالله ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : ما عرفت الله عز وجل بمحمد - صلى الله عليه وآله - ولكن عرفت محمداً بالله عز وجل ، حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض ف عرفت أنه مدبر مصنوع باستدلال وإلهام منه وإرادة ، كما ألهم الملائكة طاعته و عرفهم نفسه بلاشبهه ولا كيف . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وحدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال : سمعت محمد بن يعقوب يقول : معنى قوله : اعرفوا الله بالله يعني أن الله عز وجل خلق الأشخاص والألوان والجواهر والأعيان ، فالأعيان : الأبدان ، والجواهر : الأرواح ، وهو جل وعز لا يشبهه

(١) قال الفيروز آبادي : صنف بالضم : موضع بسرقد ، وموضع بيخارا .

(٢) بالزاي المعجمة والالف والذال المعجمة والالف والنون ، عده الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يكنى أبا عمرة الفارسي . وعده العلامة في خاتمة القسم الأول من الخلاصة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضر ، ولكن كناه بأبي عمرو الفارسي .

جسماً ولا روحاً ، وليس لأحد في خلق الروح الحساس الدراك أثرٌ ولا سببٌ ، هو المتفرّد بخلق الأرواح والأجسام ، فمن نفى عنه الشبهين : شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله ، ومن شبهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله .

أقول : قال الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد : القول الصواب في هذا الباب هو أن يقال : عرفنا الله بالله ، ^(١) لأننا إن عرفناه بقولنا فهو عز وجل وأهيبها ، وإن عرفناه عز وجل بأنبيائه ورسوله وحججه عليهم السلام فهو عز وجل باعترافهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً ، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل محدثنا فيه عرفناه ؛ وقد قال الصادق عليه السلام : لولا الله ما عرفناه ، ولولا نحن ما عرف الله . ومعناه : لولا الحجج ما عرف الله حق معرفته ، ولولا الله ما عرف الحجج . وقد سمعت بعض أهل الكلام يقول : لو أن رجلاً ولد في فلاة من الأرض ولم ير أحداً يهديه ويرشده حتى كبر وعقل ونظر إلى السماء والأرض لدلّه ذلك على أن لهما صناعاً ومحدثاً . فقلت : إن هذا شيء لم يكن ، وهو إخبار بما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون ، ولو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلا حجة الله - تعالى ذكره - على نفسه كما في الأنبياء عليهم السلام ، منهم من بعث إلى نفسه ، ومنهم من بعث إلى أهله وولده ، ومنهم من بعث إلى أهل محلته ، ومنهم من بعث إلى أهل بلده ، ومنهم من بعث إلى الناس كافة .

وأما استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة ، ثم إلى القمر ، ثم إلى الشمس ، وقوله - فلما أفلت - : يا قوم إنني بري ، مما تشركون فإنه عليه السلام كان نبياً ملهماً مبعوثاً مرسلًا ، وكان جميع قوله إلى آخره بإلهام الله عز وجل إياه ، وذلك قوله عز وجل : «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه» وليس كل أحد كإبراهيم عليه السلام ؛ ولو استغني في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عز وجل وتعريفه لما أنزل الله عز وجل ما أنزل من قوله : فاعلم أنه لا إله إلا الله ، ومن قوله : قل هو الله أحد إلى آخره ؛ ومن قوله : بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، إلى قوله : وهو اللطيف الخبير ، وآخر الحشر وغيرها من آيات التوحيد .

(١) سيجبى ، حق معنى معرفة الله بالله في رواية عبد الأعلى على نحو الإشارة ، وأما ذكره رحمه الله زعماً منه أن المعرفة مستندة إلى الله وليست بمكتسبة فبمعزل عن مراد الرواية . ط

تبيين و تحقيق : اعلم أن هذه الأخبار لا سيما خبر ابن السكّن تحتل وجوهاً :
 الأوّل : أن يكون المراد بالمعرف به ما يعرف الشيء به بأنّه هو هو فمعنى اعرفوا الله بالله :
 اعرفوه بأنّه هو الله مسلوباً عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ومشابهته
 شيء منها ، وهذا هو الذي ذكره الكليني رحمه الله ، وعلى هذا فمعنى قوله : والرسول
 بالرسالة : معرفة الرسول بأنّه أرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام ، وهذا الدين ، وهذا
 الكتاب ، ومعرفة كل من أُولي الأمر بأنّه الأمر بالمعروف ، والعالم العامل به ، و
 بالعدل أي لزوم الطريقة الوسطى في كل شيء ، والإحسان أي الشفقة على خلق الله و
 التفضل عليهم و دفع الظلم عنهم . أو المعنى : اعرفوا الله بالله أي بما يناسب ألوهيته من
 التنزيه والتقديس ، والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال ، وأُولي
 الأمر بما يناسب درجتهم العالية التي هي الرئاسة العامة للدنيا والدين ، وبما يحكم
 العقل به من اتصاف صاحب تلك الدرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزية
 على من سواه ؛ ويحتمل أن يكون الغرض عدم الخوض في معرفته تعالى ورسوله وحججه
 بالعقول الناقصة فينتهي إلى نسبة ما لا يليق به تعالى إليه ، وإلى الغلو في أمر الرسول و
 الأئمة صلوات الله عليهم .

وعلى هذا يحتمل وجهين : الأوّل أن يكون المراد : اعرفوا الله بعقولكم بمحض
 أنّه خالق إله ، والرسول بأنّه رسول أرسله الله إلى الخلق ، وأُولي الأمر بأنّه المحتاج
 إليه لإقامة المعروف والعدل والإحسان ، ثم عوّلوا في صفاته تعالى و صفات حججه
 ﷺ على ما بينوا ووصفوا لكم من ذلك ولا تخوضوا فيها بعقولكم والثاني أن يكون
 المعنى : اعرفوا الله بما وصف لكم في كتابه وعلى لسان نبيه ، والرسول بما أوضح لكم من
 رصده في رسالته إليكم ، والإمام بما بين لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف
 اتصف بتلك الأوصاف والأخلاق الحسنة . ويحتمل الأخيرين وجهاً ثالثاً ، وهو أن
 يكون المراد لا تعرفوا الرسول بما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الألوهية ، وكذا الإمام .

الثاني : أن يكون المراد بما يعرف به ما يعرف باستعانتها من قوى النفس العاقلة و
 المدركة وما يكون بمنزلتها ويقوم مقامها ، فمعنى اعرفوا الله بالله : اعرفوه بنور الله المشرق

على القلوب بالتوسّل إليه والتقرب به ، فإنّ العقول لا تهتدي إليه إلاّ بأنوار فيضه تعالى واعرفوا الرسول بتكميله إياكم برسالته ، وبمتابعته فيما يؤدّي إليكم من طاعة ربكم فإنّها توجب الروابط المعنويّة بينكم وبينه ، وعلى قدر ذلك يتيسّر لكم من معرفته ، وكذا معرفة أُولي الأمر إنّما تحصل بمتابعتهم في المعروف والعدل والإحسان و باستكمال العقل بها .

الثالث : أن يكون المراد ما يعرف بها من الأدّاة والحجج ، فمعنى اعرفوا الله بالله أنّه إنّما تتأتّى معرفته لكم بالتفكير فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته بتوفيقه وهدايته ، لا بما أُرسِل به الرسول من الآيات والمعجزات فإنّ معرفتها إنّما تحصل بعد معرفته تعالى ، واعرفوا الرسول بالرسالة أي بما أُرسِل به من المعجزات والدلائل أو بالشرعية المستقيمة التي بعث بها ، فإنّها لانطباقها على قانون العدل والحكمة يحكم العقل بحقيّة من أُرسِل بها ، واعرفوا أُولي الأمر بعلمهم بالمعروف ، وإقامة العدل والإحسان ، وإتيانهم بها على وجهها ، وهذا أقرب الوجود ؛ ويؤيده خبر سلمان وكذا خبر ابن حازم ، إذ الظاهر أن المراد به أن وجوده تعالى أظهر الأشياء ، وبه ظهر كل شيء ، وقد أظهر الآيات المخلّقة على وجوده وعلمه وقدرته ، وأظهر المعجزات حتّى علم بذلك حقيّة حججه ﷺ ، فالعباد معروفون به ، ولا يحتاج في معرفة وجوده إلى بيان أحد من خلقه . ويمكن أن يقرأ «يعرفون» على بناء المعلوم أيضاً .

وأما ما ذكره الصدوق رحمه الله فيرجع إلى أن المعنى أن جميع ما يعرف الله به ينتهي إليه سبحانه . ويرد عليه أنّه على هذا تكون معرفة الرسول وأُولي الأمر أيضاً بالله فما الفرق بينهما وبين معرفة الله في ذلك ؛ وأيضاً لا يلزمه قوله : اعرفوا الله بالله ، إلاّ أن يقال : الفرق باعتبار أصناف المعرفة ، فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة بالله ، والمعرفة بالمعروف صنف آخر منها ، ومعرفة الله فيها أصناف لا اختصاص لها بصنف ، والمراد باعرفوا الله بالله : حصلوا معرفة الله التي تحصل بالله ؛ هكذا حقّقه بعض الأفاضل . ثمّ إنّ في كلامه تشويشاً وتناقضاً ، ولعلّ مراده أخيراً نفي معرفة صفاته الكمالية حق معرفتها بدون إرسال الرسل ونصب الحجج إلاّ أن التصديق بوجوده تعالى يتوقف على ذلك وإن كان بعض كلماته يدل عليه .

﴿باب ١١﴾

﴿الدين الحنيف والفطرة وصبغة الله والتعريف في الميثاق﴾

الآيات ، البقرة : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ١٣٨
 الروم : فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
 الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٠
 ١ - مع : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة
 قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « حنفاء لله غير مشركين به » فقلت : ما
 الحنيفية ؟ قال : هي الفطرة .^(١)

بيان : أي الملة الحنيفية هي التوحيد الذي فطر الله الخلق عليه ، ويؤمى إليه قوله
 تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
 الدين القيم » واختلاف في معنى ذلك الفطرة فقيل : المعنى أنه خلقهم على نوع من الجبلة
 والطبع المتتهيأ لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ، ولم يفارقها إلى غيرها ،
 وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من الآفات ، وتقليد الآباء والأمهات . وقيل : كلهم
 مفطورون على معرفة الله والإقرار به فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن الله تعالى صانع له ،
 وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره . وقيل : المعنى أنه خلقهم لها لأنه خلق كل
 الخلق لأن يوحدوه و يعبدوه . قال الجزري : فيه : خلقت عبادي حنفاء أي طاهري
 الأعضاء من المعاصي لأنه خلقهم كلهم مسلمين ، لقوله تعالى : « هو الذي خلقكم فمنكم
 كافر ومنكم مؤمن » .

وقيل : أراد أنه خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق : « ألسنت بربكم
 قالوا بلى » فلا يوجد أحد إلا وهو مقرر بأن له رباً وإن أشرك به ؛ والحنفاء جمع

(١) الظاهر أنه متعدد مع الحديث الاتي تحت الرقم ١٢٥١١ .

حنيف ، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه ، و الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم ؛ وأصل الحنف : الميل . انتهى .

أقول : الذي يظهر من الأخبار هو أن الله تعالى قرّر عقول الخلق على التوحيد و الإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق ، فقلوب جميع الخلق مذعنةٌ بذلك و إن جحدوه معاندةً . وسيأتي تمام الكلام في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله تعالى

٢ - فس : الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن جعفر بن بشير ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : فأقم وجهك للدين حنيفاً قال : الولاية .

٣ - فس : المحسن بن علي بن زكريا ، عن الهيثم بن عبدالله الرماني ، عن علي ابن موسى الرضا صلوات الله عليه ، عن أبيه ، عن جدّه محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في قوله : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : هو لا إله إلا الله ، محمد رسول الله - صلى الله عليه وآله - علي أمير المؤمنين - عليه السلام - إلى ههنا التوحيد .

٤ - يد أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن علاء بن الفضيل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : التوحيد .

٥ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : التوحيد .

٦ - يد : بالإسناد عن ابن هاشم ، وابن يزيد معاً ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ^(١) عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على التوحيد ^(٢) .

يد : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله .

(١) في التوحيد المطبوع : بكير عن زرارة ، والظاهر أنه غير صحيح .

(٢) الظاهر اتحاده مع ما يأتي تحت رقم ١٣٥١٠٥٨ .



عن : ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة مثله .

٧ - يد : ابن المتوكل ، عن علي بن إبراهيم ، عن اليقطيني ، عن يونس ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : «فطرة الله التي فطر الناس عليها» ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال : ألسن بربكم وفيهم المومن والكافر .

٨ - يد : أبي ، عن سعد ، عن أحمد وعبدالله ابني محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال : فطرهم جميعاً على التوحيد .

٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن علي بن حسان ، ^(١) عن الحسن بن يونس ، ^(٢) عن عبدالرحمن بن كثير ، ^(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال : التوحيد ، ومحمد رسول الله ، وعلي أمير المؤمنين .

ير : أحمد بن موسى ، عن الخشاب ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير مثله .

١٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابيه ، عن ابن المغيرة ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أصلحك الله قول الله عز وجل في كتابه «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال : فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنه ربهم . قلت : وخاطبوه ؟ قال : فطأطأ رأسه ثم قال : لولا ذلك لم يعلموا من ربهم ولا من رازقهم .

(١) هو علي بن حسان الواسطي كما في التوحيد المطبوع ، وسيأتي الحديث عنه عن عبدالرحمن بن كثير تحت رقم ١٩ . وستأتي ترجمته هنا .

(٢) عنه الشيخ في رجاله من اصحاب الصادق عليه السلام وظاهره كونه إمامياً .

(٣) مولى عباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، كان ضعيفاً ، غمز أصحابنا عليه ، وقالوا : كان يضع الحديث ، له كتاب فضائل سورة إننا أنزلناه ، وكتاب صلح الحسن عليه السلام . وكتاب فذك ، وكتاب الاظلة كتاب فاسد مختلط . قاله النجاشي . واستظهر الوحيد البهبهاني وناقته من رواية الثقة كته وايراد المشايخ رواياته في كتب الاخبار واعتناؤهم بها فتأمل .

١١ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن هاشم ، وابن أبي الخطاب ، وابن يزيد جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : «حنفاء لله غير مشركين به» وعن الحنيفية ، فقال : هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، قال : فطرهم الله على المعرفة .

قال زرارة : وسألته عن قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية » قال : أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرّفهم وأراهم صنعه و لولا ذلك لم يعرف أحد ربه . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كل مولود يولد على الفطرة ، يعني على المعرفة بأن الله عز وجل خالقه ، فذلك قوله : « ولئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولن الله » .

١٢ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام من قول الله : «حنفاء لله غير مشركين به» ما الحنيفية ؟ قال : هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، فطر الله الخلق على معرفته ^(١)

١٣ - سن : أبي ، عن علي بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على معرفته أنه ربهم ، ولولا ذلك لم يعلموا - إذا سئلوا - من ربهم ولا من رازقهم ^(٢)

١٤ - سن : المحسن بن أحمد ، ^(٣) عن أبان الأحمر ، ^(٤) عن أبي جعفر الأحول ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : عروة الله الوثقى : التوحيد ، والصبغة : الإسلام .

(١) الظاهر اتحاد مع صدر الحديث المتقدم .

(٢) الظاهر اتحاد ذلك مع ما تقدم تحت رقم ٦ و ٨ و ١٠ .

(٣) محسن بفتح السين المشددة إما في المحكي من الأيضاح ، وبكسرهما كما في المحكي عن تاج العروس هو محسن بن أحمد البجلي يكنى أبا محمد ؛ أورده الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ، و قال النجاشي : محسن بن أحمد القيسي من موالى قيس عيلان ، روى عن الرضا عليه السلام ، أخبرنا محمد بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد الزراري ، عن علي بن الحسن السعد آبادي ، عن أحمد بن محمد ابن خالد ، عن محسن بن أحمد بكتابه . انتهى . وظاهرهما كون الرجل إمامياً .

(٤) هو أبان بن عثمان الأحمر البجلي أبو عبد الله ، عده الكشي من الذين اجتمعت العصاة على تصحيح ما يصح عنهم .

بيان : قال البيضاوي في قوله تعالى : صبغة الله : أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فإنها حلية الإنسان ، كما أن الصبغة حلية المصبوع ، أو هدايا هدايته وأرشدنا حاجته ، أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره . وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوع ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب ، أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم .^(١)

١٥ - مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن فضالة ، عن أبان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » قال : هي الإسلام .

١٦ - سن : ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » قال : ثبتت المعرفة في قلوبهم ، ونسوا الموقف ، وسيدكرونها يوماً ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه .

١٧ - سن : البرزطي ، عن رفاعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » قال : نعم لله الحجية على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا - وقبض يده - .

١٨ - شف : من كتاب القاضي القزويني ، عن هارون بن موسى التلعكبري عن محمد بن سهل ، عن الحميري ، عن ابن يزيد ، عن علي بن حسان ،^(٣) عن عبد الرحمن بن

(١) قال الشيخ الطوسي في كتابه النبيان - بعد ذكر ذلك المعنى من الفراء - : وقال قتادة : اليهود تصبغ أبناءها يهودا ، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى . فهذا غير المعنى الأول ، وإنما معناه أنهم يلقنون أولادهم اليهودية والنصرانية فيصبونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه ، فقيل : صبغة الله التي أمر بها ورضيها يعني الشريعة لا صبغتهم . وقال الجبائي : سمي الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة .

(٢) هو علي بن حسان بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن أخي عبد الرحمن بن كثير ، قال النجاشي : ضعيف جدا ، ذكره بعض أصحابنا في الغلاة ، فاسد الاعتقاد له كتاب تفسير الباطن تخليط كله . انتهى . وحكى عن ابن الغضائري أنه لا يروى إلا عن أبيه . أقول : الظاهر اتحاد الحديث مع ما تقدم في الباب تحت الرقم ١٠ وتقدم ترجمة عبد الرحمن هنا .

كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال : هي التوحيد ، وأن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وآله - وأن علياً أمير المؤمنين - عليه السلام .

١٩ - شي : عن زرارة ، عن أبي جعفر وحران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الصبغة

الإسلام .

٢٠ - شي : عن عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : «صبغة الله

ومن أحسن من الله صبغة» قال : الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق .

٢١ - شي : عن الوليد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الحنيفية هي الإسلام .

٢٢ - غو : قال النبي صلى الله عليه وآله : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه

يهوداً أو نصراناً .^(١)

بيان : قال السيد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر - بعد نقل بعض

التأويلات عن المخالفين في هذا الخبر - : والصحيح في تأويله أن قوله : يولد على الفطرة

يحتمل أمرين : أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين ، ويكون «علي» بمعنى اللأم فكأنه

قال : كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين ؛ لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ

المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته ، يشهد بذلك قوله تعالى : «وما خلقت الجن والإنس

إلا ليعبدون» والدليل على أن «علي» يقوم مقام اللأم ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبي يزيد

عن العرب أنهم يقولون : صف علي كذا وكذا حتى أعرفه ، بمعنى صف لي ، ويقولون :

ما أعبطك علي يريدون ما أعبطك لي ، والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض ، وإنما

ساغ أن يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها ؛

وقد يجري على الشيء اسم ماله به هذا الضرب من التعلق والاختصاص ، وعلى هذا يتأول

قوله تعالى : «واقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها» أراد دين الله

(١) رواه السيد المرتضى في أول الجزء الرابع من أماليه مرسلًا عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وآله . ورواه أبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن الأسود بن

سريع واللفظ هكذا : كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه الخ قاله

السيوطي في ج ٢ ص ٩٤ من الجامع الصغير .

الذي خلق الخلق له ، وقوله تعالى : « لا تبدل لخلق الله » أراد به أن ما خلق الله العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ، فكانه قال : لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا

و الوجه الآخر في تأويل قوله ﷺ : الفطرة أن يكون المراد به الخلقة ، و تكون لفظة «على» على ظاهرها لم يرد بها غيره ، ويكون المعنى : كل مولود يولد على الفطرة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به ؛ لأنه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به ، وإن لم ينظروا و يعرفوا ؛ فكانه ﷺ قال : كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً ، وهذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى : فطرة الله التي فطر الناس عليها . وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام : حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه يعتمل وجهين : أحدهما أن من كان يهودياً أو نصرانياً ممن خلقته لعبادتي و ديني فإني فاعله أبواه كذلك ، أو من جرى مجراهما ممن أوقع له الشبهة و قلده الضلال عن الدين ، وإنما خص الأبوين لأن الأولاد في الأكثر ينشأون على مذاهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ، ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم ، وأنه إنما خلقهم للإيمان فصدّهم عنه آباؤهم ، أو من جرى مجراهم . والوجه الآخر : أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهما ، لأن أطفال أهل الذمّة قد ألحقوا بالشرع أحكامهم بأحكامهم فكانه ﷺ قال : لا تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلا للإيمان والدين الصحيح ، لكن آباؤهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم ؛ وعبر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله : يهودانه وينصرانه .



﴿ باب ١٢ ﴾

﴿ اثبات قدمه تعالى و امتناع الزوال عليه ﴾

١ - لى : ابن المتوكّل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن البزنطي ، (١) عن أبي الحسن الموصلي ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : جاء حبر من الأخبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربك ؟ فقال له : نكلتك أمك ومتى لم يكن حتى يقال : متى كان ، كان ربّي قبل القبل بلا قبل ، ويكون بعد البعد بلا بعد ، ولا غاية ولا منتهى لغايته ، انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كل غاية .

ج : مرسلًا بزيادة قوله : فقال : يا أمير المؤمنين أفنبي أنت ؟ فقال : ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد صلّى الله عليه وآله .

يد : بالإسناد المتقدم مع تلك الزيادة

وقال الصدوق بعده : يعني بذلك عبد طاعة لا غير ذلك

بيان : لما كان «متى كان» سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده ، ولا يصح فيما لا اختصاص لزمان به أجابه عليه السلام بقوله : متى لم يكن حتى يقال متى كان ، ونبه على بطلان الاختصاص الذي اخذ في السؤال ، ثم بيّن عليه السلام سر مدية ، فقال : كان ربّي قبل القبل أي هو قبل كل ما هو قبل شيء ، ولا قبل بالنسبة إليه ، وبعد كل ما هو بعد شيء ، ولا شيء بعده ، أو هو قبل الموصوف بالقبليّة والبعدية لذاته أي الزمان وبده بلا زمان إذ هو مبدأ كل شيء ، وغاية له ، والغاية : نهاية الامتداد ، وقد يطلق على نفس الامتداد ، والمعنى : أنه لا غاية لوجوده وسائر كمالاته أولاً وأبداً ، ولعل المراد بها ثانياً نفس الامتداد أي ليس لما يتوهم له من الامتداد نهاية .

(١) في بعض نسخ الكافي : عن أبي إبراهيم ، عن أبي الحسن الموصلي . ولعله كان بدلا عن أبي الحسن ، لان المكرر في أسناد الكافي رواية البزنطي عن أبي الحسن الموصلي بدون واسطة ، ولم نعرف لأبي الحسن هذا إسماً ، واحتمال كونه كنية لعبد العزيز بن عبد الله بن يونس الموصلي لا يلائم رواية التلعكبري عنه ، وسماعه منه في سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، مع كون الرجل راوياً عن أبي عبد الله عليه السلام .

ويحتمل أن يكون المراد بها أولاً أيضاً الامتداد فيكون مجرداً أي بلا امتداد زمني، ويحتمل أن يكون المراد بها ثانياً أيضاً النهاية، أي كل ما توهمت أنه غاية له فهو موجود بعده، ولا ينتهي إليه وجوده فكل غاية أي امتداد أو نهاية ينقطع عنه لوجوده تعالى قبله وبعده فهو منتهى كل غاية أي بعدها. أو هو علة لها وإليه ينتهي وجودها، فكيف تكون غاية له؟ ويحتمل أن يكون المراد بالغايات نهايات أفكار العارفين فإنها منقطعة عنه لا تصل إليه، وبكونه منتهى كل غاية أنه منتهى رغبات الخلائق و حاجاتهم، ويمكن أن يحمل الغاية في الأخيرتين على العلة الغائية أيضاً، والله يعلم.

٢ - مع: ابن المتوكل، عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمد بن حكيم، عن ميمون البان^(١) قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام - وقد سئل عن قوله جل وعز: «هو الأول والآخر» - فقال: الأول لا عن أول قبله ولا عن بدء سبقه، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين، ولكن قديم أول آخر، لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء.

بيان: لا عن أول قبله أي لا مبتدئ، عن أول يكون قبله زماناً ولا عن بدء على وزن فعل، أو بدي، على وزن فاعل أي مبتدأ سبقة رتبة بالعلية وقوله: لا عن نهاية أي لا معها مجازاً. ويحتمل أن تكون «عن» تعليلية أي ليست آخريته بسبب أن له نهاية بعد نهاية غيره. وقوله: لا يقع عليه الحدوث ناظر إلى الأول. وقوله عليه السلام: ولا يحول من حال إلى حال ناظر إلى الآخر أي آخريته بأنه أبدي بجميع صفاته لا يعتريه تغير في شيء من ذلك. وسيأتي تحقيقه في باب الأسماء.

٣ - ج: سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الله عز وجل متى كان؟ فقال له: ويلك أخبرني أنت متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟^(٢) سبحان من

(١) بالباء الموحدة والالف والنون المخففة، عده الشيخ في رجاله من أصحاب السجاد والصادقين عليهم السلام، وظاهره كونه إمامياً إلا أنه مجهول.

(٢) لأن ما يصح أن يسئل عن وجوده «بمتى» يصح أن يسئل عن عدمه أيضاً بذلك، فما لا يصح أن يسئل عن عدمه بمتى، لا يصح أن يسئل عن وجوده أيضاً بذلك والله تبارك وتعالى حيث لم يكن زمانياً - بل يكون وجوده أزلياً غير مسبوق بالعدم وأبدياً غير ملحق به - فلا يصح أن يسئل عن وجوده أو عدمه بمتى.

لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن الثمالي مثله .

فس : أبي ، عن ابن محبوب ، عن الثمالي ، عن أبي الربيع مثله .

٤ - يد : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن إسحاق بن حرث ،^(١) عن أبي بصير قال : أخرج أبو عبد الله عليه السلام حقاً^(٢) فأخرج منه ورقة فإذا فيها : سبحان الواحد الذي لا إله غيره ،^(٣) القديم المبدى الذي لا بدء له ، الدائم الذي لا نفاد له ، الحي الذي لا يموت ، الخالق ما يرى وما لا يرى ، العالم كل شيء ، بغير تعليم ، ذلك الله الذي لا شريك له .

٥ - يد : ابن المتوكل ، عن محمد العطار ، عن محمد بن أحمد ، عن عبد الله بن محمد ، عن علي بن مهزيار قال : كتب أبو جعفر عليه السلام إلى رجل بخطه - وقرأته - في دعاء كتب به أن يقول : يا ذا الذي كان قبل كل شيء ، ثم خلق كل شيء ، ثم يبقى ويفنى كل شيء ، ويا ذا الذي ليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا بينهن ولا تحتهن إله يعبد غيره .

٦ - يد : محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر ، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان ، عن علي بن سلمة اللبقي ،^(٤) عن إسماعيل بن يحيى ، عن عبد الله بن عبد الله بن طلحة ، عن سعد بن سنان ،^(٥) عن الضحاك ، عن النزال بن سبرة قال : جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربنا ؟ قال : فقال له علي عليه السلام : إنما يقال : متى كان لشيء لم يكن فكان ، و ربنا هو كائن بلا كينونة كائن ، كان بلا كيف يكون ، كان لم

(١) لم نجد له ذكراً في كتب التراجم .

(٢) في القاموس الحقه - بالضم - : وعاء من خشب .

(٣) وفي نسخة : فاذا فيها سبحان الله الواحد الذي لا إله غيره .

(٤) في التوحيد المطبوع : علي بن سلمة اللبقي .

(٥) الإسناد في التوحيد المطبوع هكذا : إسماعيل بن يحيى بن عبد الله ، عن عبد الله بن طلحة

بن هجيم قال : حدثنا ابن (أبو) سنان (أبوسفيان) الشيباني سعيد بن سنان الخ أقول : رجال الحديث كلها من العامة .

يزل بلالم يزل وبلا كيف يكون تبارك وتعالى ليس له قبل هو قبل القبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها غاية انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية .
 بيان : بلا كينونة كائن أي كان ولم يحدث حادث بعداً ولا على نحو حدوث الحوادث
 قال الفيروز آبادي : الكون : الحدث كالكينونة . قوله : بلا كيف يكون أي صفة موجودة زائدة ، ولعل الوصف بقوله : يكون للإشعار بأنه إذا كان له كيف يكون حادثاً لا محالة .
 قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : بلالم يزل أي بلا زمان قديم موحود يسمى بلم يزل ليكون معه قديماً ثانياً .
 وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ثانياً : بلا كيف يكون تأكيد لما سبق ، و يحتمل أن يكون الأول انفي الكيفيات الجسمانية أو الحادثة ، والثاني لنفي الصفات الحقيقية الزائدة أو القديمة ؛
 ويحتمل أن يكون المراد بالأخير أنه ليس لوجوده في الأزل واتصافه بها كيف ، فيكون إشارة إلى نفي معلولية الوجود أو زيادته . وفي الكافي بسند آخر : كيف يكون له قبل .
 وهو أظهر كما سيأتي أيضاً . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : بلا غاية أي امتداد وزمان موجود . ولا منتهى غاية أي في الأزل . ولا غاية أي منتهى ينتهي إليها غاية أي امتداد في لايزال .

٧ - يد : ابن المتوكل ، عن محمد العطّار ، عن سهل ، عن عمرو بن عثمان ، عن محمد بن يحيى الخزاز ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال رأس الجالوت لليهود : إن المسلمين يزعمون أن علياً من أجدل الناس وأعلمهم ، اذهبوا بنا إليه لعلني أسأله عن مسألة أخطئه فيها . فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين إنني أريد أن أسألك عن مسألة . قال : سل عما شئت . قال : يا أمير المؤمنين متى كان ربنا ؟ قال : يا يهودي إنما يقال «متى كان» لمن لم يكن فكان ؛ هو كائن بلا كينونة كائن ، كان بلا كيف ،^(١) يا يهودي كيف يكون له قبل وهو قبل القبل ؛ بلا غاية ولا منتهى غاية ، ولا غاية إليها غاية ، انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية . فقال : أشهد أن دينك الحق وأن ما خالفه باطل .

أقول : قد أثبتنا خبر محمد بن عبدالله الخراساني في باب إثبات الصانع ، وسيأتي كثير من الأخبار في باب نفي الزمان والمكان ، وسائر الأبواب مشحونة بما يناسب الباب من الأخبار .



(١) في الكافي : بلى يا يهودي نم بلى يا يهودي كيف يكون الخ .

﴿باب ١٢﴾

﴿ نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد ﴾

﴿ وأنه لا يدرك بالحواس والاهوام ، والعقول والافهام ﴾

الآيات : الأنعام «٩١» والحجج «٧٤» والزمر «٦٧» : ما قدروا الله حق قدره

حمصق : ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير ١١

١ - ما : محمد بن أحمد بن شاذان القمي ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسن ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن علي بن بلال ، ^(١) عن محمد بن بشير الدهقان ، ^(٢) عن محمد بن سماعة قال : سألت بعض أصحابنا الصادق عليه السلام : فقال له : أخبرني أي الأعمال أفضل ؟ قال : توحيدك لربك ، قال : فما أعظم الذنوب ؟ قال : تشبيهك الخالق .

٢ - نص : علي بن الحسين ، عن هارون بن موسى ، عن محمد بن همام ، عن الحميري ، عن عمر بن علي العبدي ، عن داود بن كثير الرقي ، عن يونس بن ظبيان قال : دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت : يا ابن رسول الله إنني دخلت على مالك ^(٣) وأصحابه فسمعت بعضهم يقول : إن لله وجهاً كالوجوه وبعضهم يقول : له يدان ! واحتجوا بذلك بقول الله تبارك وتعالى : « يدي استكبرت » وبعضهم يقول : هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة ! فما عندك في هذا يا ابن رسول الله ؟ قال : - وكان متكئاً فاستوى جالساً - وقال : اللهم عفوك عفوك . ثم قال : يا يونس من زعم أن لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك ، ومن زعم أن لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا

(١) البغدادي الثقة ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام .

(٢) لم نجده في التراجم بهذا العنوان .

(٣) أحد الأئمة الأربعة للعامة ، حكى عن ابن النديم في فهرسه أنه قال : مالك بن أنس بن أبي عامر من حمير : و عداة في بني تميم بن مرة من قريش ، وحمل به ثلاثين سنين ! وكان شديد البياض إلى الشفرة ، طويلًا عظيم الهامة أصلع الرأس ، يلبس الثياب العديئة الجياد ويكثر حلق شاربه ولا يغير شيبه ، وكان يأتي المسجد ويشهد الصلوات ويعود المرضى ويقضي الحقوق ، ثم ترك الجلوس في المسجد وكان يصلي في منزله وترك اتباع الجنائز فكان يعاتب على ذلك ، وكان يقول : ليس يقدر كل أحد بقول عذره ، وكان فقيه الحجاز وسيدها في وقته ، توفي سنة تسع وسبعين ومائة ، وهو ابن خمس وثمانين و دفن بالقيع .

ذبيحته ، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين ، فوجه الله أنبيأؤه وأولياؤه^(١) و قوله : « خلقت بيدي استكبرت » اليد : القدرة ، كقوله : وأيدكم بنصره ، فمن زعم أن الله في شيء ، أو على شيء ، أو يحول من شيء ، إلى شيء ، أو يخلو منه شيء ، أو يشتغل به شيء ، فقد وصفه بصفة المخلوقين ؛ والله خالق كل شيء ، لا يقاس بالقياس ، ولا يشبه بالناس ، لا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، قريب في بعده ، بعيد في قرب به ذلك الله ربنا لا إله غيره ، فمن أراد الله وأحببه بهذه الصفة فهو من الموحدين ، ومن أحببه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ، ونحن منه برآء .

٣ - لى : محمد بن محمد بن عاصم ، عن الكليني ، عن علان ،^(٢) عن محمد بن الفرغ الرخجي^(٣) قال : كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم ، وهشام بن سالم في الصورة . فكتب عليه السلام : دع عنك حيرة الحيران واستعد بالله من الشيطان ، ليس القول ما قال الهشامان .

يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن علي بن محمد رفعه عن الرخجي مثله .

بيان : لاريب في جلالة قدر الهشامين وبرائتهما عن هذين القولين ، و قد بالغ السيد المرتضى قدس الله روحه في براءة ساحتهم - عما نسب إليهما في كتاب الشافي ، مستدلاً عليها بدلائل شافية ، ولعل المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زرارة وغيره من أكابر المحدثين ، أولعدم فهم كلامهما ؛ فقد قيل : إنهما قالا بجسم لا كالأجسام ، وبصورة لا كالصور ، فلعل مرادهم - بالجسم الحقيقية القائمة بالذات ، وبالصورة الماهية ، وإن أخطأ في إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى .

(١) لان العباد يتوجهون بهم إلى الله تعالى والله تعالى يخاطب العباد ويواجههم بهم عليهم السلام .

(٢) الظاهر أنه هو علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني ، استناد محمد بن يعقوب الكليني وخاله . قال النجاشي : يكنى أبا الحسن ثقة ، عين . أقول : علان بالعين المهملة المفتوحة ثم اللام المشددة . وحكى عن الشهيد الثاني رحمه الله في تعليقه على الخلاصة أن علان مخفف اللام .

(٣) بالراء المهملة المضمومة والغاء المعجمة المفتوحة والجيم والياء نسبة إما إلى « رخج » كورة و مدينة من نواحي كابل ، وقد يشدد الغاء ، أو إلى الرخجة أو الرخجية بتشديد الغاء ، فيها ، قرية على نحو فراسخ من بكلواذى .

قال المحقق الدواني: المشبهة منهم من قال: إنه جسم حقيقة، ثم افرقوا فقال بعضهم: إنه مركب من لحم ودم. وقال بعضهم: هو نور متلاً إلى كالسبيكة البيضاء، طوله سبعة أشبار بشبر نفسه. ومنهم من قال: إنه على صورة إنسان؛ فمنهم من يقول: إنه شابٌ أمرد جعد ققط؛^(١) ومنهم من قال: إنه شيخ أشمط الرأس واللحية؛^(٢) ومنهم من قال: هو في جهة الفوق مماسُ الصفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات، وتضطُّ العرش تحته أطيط الرجل الجديد تحت الراكب الثقيل، وهو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع؛ ومنهم من قال: هو محاذ للعرش غير مماس له، وبعده عنه بمسافة متناهية، وقيل: بمسافة غير متناهية، ولم يستتف هذا القائل عن جعل غير المتناهي صوراً بين حاصرين؛ ومنهم من تستر بالكفة^(٣) فقال: هو جسم لا كالأجسام وله حيز لا كالأحياز، ونسبته إلى حيزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها، وهكذا ينفي جميع خواص الجسم عنه حتى لا يبقى إلا اسم الجسم؛ وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية انتهى.

وقال الشهرستاني: حكى الكعبي عن هشام بن الحكم أنه قال: هو جسم ذو أبعاد، له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا تشبهه. ونقل عنه أنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنه يتحرك وحر كته فعله، وليست من مكان إلى مكان، وقال: هو متناه بالذات غير متناه بالقدر؛ وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال: إن الله تعالى مماسٌ لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عنه شيء.

وقال هشام بن سالم: إنه تعالى على صورة إنسان، أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلاً، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء،^(٤) وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولادم.

(١) الجعد من الشعر: خلاف الاسترسال وفت الشعر كان قصيراً جمداً فهو ققط.

(٢) شمط شطناً: خالط بياض رأسه سواد فهو [أشمط]

(٣) الكفة - بضم الكاف - حاشية الشيء، وكفة القميص ما استدار حول الذيل. وفي نسخة:

«البلغة» ولم نجد له معنى.

(٤) الوفرة: ما سال من الشعر على الأذنين.

ثم قال : وغلا هشام بن الحكم في حق علي عليه السلام حتى قال : إنه إله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول ، لا يجوز أن يغفل عن إزاماته على المعتزلة فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ، و دون ما يظهره من التشبيه ، و ذلك أنه ألزم العلاف فقال : إنك تقول : إن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم وبيانها في أن علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين ، فلم لا تقول : هو جسم لا كالأجسام ؛ وصورة لا كالصور ، وله قدر لا كالأقدار ، إلى غير ذلك . انتهى .

أقول : فظهر أن نسبة هذين القولين إليهما إما لتخطئة رواية الشيعة وعلمائهم لبيان سفاهة آرائهم ، أو أنهم لما ألزموهم في الاحتجاج أشياء إسكاتاً لهم نسبوها إليهم ، والأئمة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إما للتبري عنهم إبقاءً عليهم ، أو لمصالح آخر . ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أن المراد : ليس هذا القول الذي تقول ما قال الهشامان بل قولهما مباين لذلك . ويحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام والأخذ بقولهم ، فقد قيل : إن هشام بن الحكم كان قبل أن يلقي الصادق عليه السلام على رأي جهنم بن صفوان ، فلما تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحق ، ويؤيده ما ذكره الكراجكي في كنز الفوائد في الرد على القائلين بالجسم بمعنييه حيث قال : وأما هو الاتنا هشاماً رحمه الله فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الذي كان ينصره ، ورجوعه عنه ، وإقراره بخطائه فيه وتوبته منه ؛ و ذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام إلى المدينة فحجبه ، وقيل له : إنه أمرنا أن لانوصلك إليه مادمت قائماً بالجسم ، فقال : والله ما قلت به إلا لأنني ظننت أنه وفاق لقول إمامي ، فأما إذا أنكره علي فأنتني تائب إلى الله منه ؛ فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعاه بخير وحفظ .

٤ - عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام : إن الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ،

وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه .

٥ - و روي عنه أيضاً أنه قال : سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو ، ليس

كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، لا يحد ولا يحس ، ولا يدركه الأبصار ، ولا يحيط به شيء ، ولا هو جسم ولا صورة ولا بذي تخطيط ولا تحديد .

٦ - شى : عن جابر الجعفي قال : قال محمد بن علي عليه السلام : يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله ، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذها مصلى ، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه ، تعالى عن صفة الواصفين ، وجل عن أوهام المتوهمين ، واحتجب عن عين الناظرين ، ولا يزول مع الزائلين ، ولا يافل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم .

٧ - شى : عن هشام المشرقي ^(١) ، عن أبي الحسن الخراساني قال : إن الله - كما وصف نفسه - أحد صمد نور ، ثم قال : بل يدها مبسوطتان . فقلت له : أفله يدان هكذا؟ - وأشارت يدي إلى يده - فقال : لو كان هكذا كان مخلوقاً .

٨ - ج : في سؤال الزنديق برواية هشام ، عن الصادق عليه السلام : لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ، ولا تغيره الأزمان . الخبر .

٩ - ج : قال الرضا عليه السلام : إن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال الله جل جلاله : ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقي ، ولا على ديني من استعمل القياس في ديني

يد ، ن ، لى : ابن المتوكل ، عن علي ، عن أبيه ، عن الريان بن الصلت ، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ، عن أبيه ، عن آباءه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله جل جلاله مثله .

١٠ - يد ، لى : ابن المتوكل ، عن علي ، عن أبيه ، عن الصقر بن دلف ^(٢) قال : سألت أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام عن التوحيد وقلت له : إنني أقول بقول هشام بن الحكم ، فغضب عليه السلام ثم قال : مالكم و لقول هشام ؟ إنه ليس منّا من زعم أن الله

(١) ضبطه الأكثر بالقاف وجزم المحقق الداماد أنه بالفاء .

(٢) الموجود في التوحيد المطبوع والبيجار : الصقر بن دلف ؛ والموجود في التراجم : الصقر ابن أبي دلف . وضبط الصقر بالصاد المهملة المفتوحة والقاف الساكنة ، ودلف بالبدال المهملة واللام المفتوحين والفاء .

جسم ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا ابن دلف إنَّ الجسم محدث ، والله محدثه و
مجسمه .

١١ - كش : علي بن محمد ، عن محمد بن أحمد ، عن ابن يزيد ، عن الحسين بن بشار ،
عن يونس بن بهمن^(١) قال : قال لي يونس : اكتب إلى أبي الحسن عليه السلام فأسأله عن آدم
هل فيه من جوهرية الله شيء ؛ قال : فكتبت إليه ، فأجاب : هذه المسألة مسألة رجل على
غير السنة . فقلت ليونس ؛ فقال : لا يسمع ذا أصحابنا فيبرؤون منك ، قال : قلت ليونس :
يتبرؤون مني أو منك ؟ .

١٢ - كش : طاهر بن عيسى ،^(٢) عن جعفر بن أحمد ، عن الشجاعى ،^(٣) عن ابن
يزيد ، عن الحسين بن بشار ، عن الوشاء ، عن يونس بن بهمن قال : قال يونس بن عبد
الرحمن : كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام سألته عن آدم هل كان فيه من جوهرية الرب
شيء ؛ فكتب إلي جواب كتابي : ليس صاحب هذه المسألة على شيء من السنة ، زنديق .
بيان : الكلام في يونس وما نسب إليه أيضاً كما مر في الهشامين . وقال الشهرستاني :
إنه زعم أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب وهو من مشبهة الشيعة انتهى .
١٣ - لى : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن علي بن مهزيار قال :
كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك أصلي خلف من يقول بالجسم ، ومن
يقول : بقول يونس - يعني ابن عبد الرحمن - ؛ فكتب عليه السلام لا تصلوا خلفهم ولا تعطوهم من
الزكاة وابرؤوا منهم ، برآء الله منهم .

(١) بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء ، وفتح الميم بعدها نون . حكى عن الغضائرى أنه قال

يونس بن بهمن غال خطابى كوفى يضع الحديث روى عن أبى عبد الله عليه السلام .

(٢) أورده الشيخ فى رجاله فى باب من لم يرو عنهم عليهم السلام قال : طاهر بن عيسى الوراق
يكنى أبا محمد من أهل كش ، صاحب كتب ، روى عنه الكشى ، و روى هو عن جعفر بن أحمد الخزاعى ،
عن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب . انتهى . أقول : ليس فى كتب التراجم ما يلحق الرجل وراويه
جعفر بن أحمد الخزاعى بالموتقين .

(٣) قال التفرشى فى نقد الرجال : اسمه على بن الشجاع كما يظهر من الكشى ، ويحتمل أن يطلق

على الحسن بن الطيب أيضاً ، ويظهر من النجاشى - عند ترجمة محمد بن إبراهيم بن جعفر - أنه يطلق
على محمد بن على أيضاً . انتهى .

١٤ - لى : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبي هاشم الجعفري قال : سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول : إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجهلوك . و به قدروك و التقدير على غير ما به وصفوك ، وإني بري ، يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ، ليس كمثلك شيء ، إلهي ولن يدركوك ، وظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك ، وفي خلقك يا إلهي مندوحة أن يتناولوك ، بل سوؤوك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك ، واتخذوا بعض آياتك رباً فبذلك وصفوك ، تعاليت ربّي عما به المشبهون نعتوك .

بيان : و به أي وبالجهل . قوله : والتقدير على غير ما به وصفوك أي التقدير بما قدروا به من المقادير الجسمانية ينافي ما وصفوك به من الربوبية ، ويحتمل أن يكون المراد بالتقدير مطلق التوصيف أي ينبغي ويجب توصيفك على غير ما وصفوك به من الجسم و الصورة . والمندوحة : السعة أي في التفكير في خلقك و الاستدلال به على عظمتك و تقدّسك عن صفات المخلوقين مندوحة عن أن يتفكروا في ذاتك فينسبوا إليك ما لا يليق بجنابك . أو المعنى : أن اتفكر في الخلق يكفي في أن لا ينسبوا إليك هذه الأشياء .

يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن بعض أصحابنا ^(١) قال : مرّ أبو الحسن الرضا عليه السلام بقبر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه ، ثم قال : إلهي بدت قدرتك . وذكر نحوه .

١٥ - شا : جاءت الرواية أن علي بن الحسين عليهما السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ، إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه ففرع لذلك وارتاع له ونهض حتى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده ودفع صوته يناجي ربه ، فقال في مناجاته له : إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجهلوك وقدروك بالتقدير على غير ما به أنت شبهوك . إلى آخر ما مرّ .

١٦ - ن : ابن المتوكل ، عن علي بن إبراهيم ، عن الصقر بن دلف ، ^(٢) عن ياسر

(١) لعله هو أبو هاشم الجعفري ، والظاهر اتحاد الخبر مع ما تقدم .

(٢) قدمر ذيل الخبر العاشر أن الموجود في التراجم الصقر بن أبي دلف .



الخادم قال : سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر .

١٧ - يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن علان ، عن سهل ، عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال : كتبت إلى الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام - : أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول : جسم ، ومنهم من يقول : صورة ، فكتب عليه السلام بخطه : سبحان من لا يحد ولا يوصف ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم أوقال : البصير .

١٨ - يد ، ن : الفامي - في مسجد الكوفة - عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن إبراهيم ابن هاشم ، عن علي بن معبد ، ^(١) عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : قلت له : يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آباءك الأئمة عليهم السلام ، فقال : يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك ؟ فقلت : بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر قال : فليقولوا : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في التشبيه والجبر إذا . فقلت له : إنهم يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنما روي عليه . قال : فليقولوا في آبائي الأئمة عليهم السلام : إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم . ثم قال عليه السلام : من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى ، فمن أحبهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنا ، ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برنا ، ومن برهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهانتنا ، ومن أهانتهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، ومن كذّبهم فقد صدّقنا ، ومن أعطاهم فقد حرّمنا ، ومن حرّمهم فقد أعطانا . يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم ولياً ولا نصيراً .

(١) وذان مسكن أو منبر .



ج : عن الحسين بن خالد عنه عليه السلام مثله .

١٩ - ج : الحسن بن عبدالرحمن الحماني قال : قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : إن هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم ليس كمثله شيء ، عالم سميع بصير ، قادر متكلم ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً . فقال : قاتله الله أما علم أن الجسم محدود والكلام غير المتكلم ؟ معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول ، لا جسم ولا صورة ولا تحديد ، وكل شيء سواه مخلوق ، وإنما تكون الأشياء بإرادته ومشيئته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان .

يد : الدقاق ، عن محمد الأسدي ، عن البرمكي ، عن علي بن العباس ، عن الحسين ابن عبدالرحمن الحماني مثله .^(٣)

بيان : قوله : ليس كمثله شيء يومي إلى أنه لم يقل بالجسمية الحقيقية ، بل أطلق عليه لفظ الجسم ونفى عنه صفات الأجسام ، ويحتمل أن يكون مراده أنه لا يشبهه شيء من الأجسام بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام ، فعلى الأول نفى عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى بأن الجسم إنما يطلق على الحقيقة التي يلزمها التقدير والحديد فكيف يطلق عليه تعالى ؟ .

قوله : يجري مجرى واحد إشارة إلى عينية الصفات وكون الذات قائمة مقام نفى عليه السلام كون الكلام كذلك ، ثم نبه على بطلان ما يوهم كلامه من كون الكلام من اسباب وجود الأشياء ، فاللغة «كن» في الآية الكريمة كناية عن تسخيره للأشياء وتهيئتها له ، من غير توقف على التكلم بها . ثم نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوفين من خطوط بال ، أو تردد في نفس . ويحتمل أن يكون المقصود بما نسب إلى هشام كون الصفات كلها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث والمخلوقية ، فنفاه عليه السلام بآيات المغايرة أو لا ثم بيان أن كل شيء سواه مخلوق ، والأول أظهر ؛ ولفظة «تكون» يمكن أن تقر أعلى المعلوم وعلى المجهول من باب التفعيل .

٢٠ - ج : عن يعقوب بن جعفر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال : لا أقول : إنه قائم فأزله عن مكان ، ولا أحده بمكان يكون فيه ، ولا أحده أن يتحرك في شيء من

(١) الموجود في التوحيد المطبوع الحسن بن الحسين بن عبدالله

الأركان و الجوارح ، ولا أحده بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال عز و جل : إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، بمشيئته من غير تردد في نفس ، صمداً فرداً لم يحتج إلى شريك يدبر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

بيان : فأزيله عن مكانه أي فأقول : إنه يجوز أن يزول ويتحرك من مكان إلى آخر فيلزم مع كونه تعالى جسماً محتاجاً تبدل الأحوال عليه . أو المعنى : أن القيام نسبة إلى المكان يخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه ، وشغل بعضه ببعضه ، مع أن نسبته تعالى إلى جميع الأمكنة على السواء ولا يشتغل به مكان . وقوله : في شيء من الأركان أي بشيء من الأجزاء و الجوارح ، ويحتمل أن يكون « في » بمعناه ويكون المراد بها الحركة الكمية . وقوله **عَلَيْهِ** : بلفظ شقّ فم أي بكلمة تخرج من فلقه الفم عند تكلمه بها .

٢١ - فس : محمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن العباس ، عن

جعفر بن محمد ، عن الحسن بن أسيد ،^(١) عن يعقوب بن جعفر قال : سمعت موسى بن جعفر صلوات الله عليه يقول : إن الله تبارك وتعالى أنزل على عبده محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه لا إله إلا هو الحي القيوم ، ويسمى بهذه الأسماء^(٢) الرحمن الرحيم العزيز الجبار العلي العظيم ، فتأهت هنالك عقولهم ، واستخفت حلومهم ، فضربوا له الأمثال ، وجعلوا له أندادا ، وشبهوه بالأمثال ، ومثّلوه أشباهاً ، وجعلوه يزول ويحول ، فتأهوا في بحر عميق لا يدرون ما غوره ولا يدركون كمية بعده .^(٣)

٢٢ - ب : ابن عيسى ، عن البرزني قال : قلت له : جعلت فداك هم يقولون في

الصفة فقال لي - هو ابتداءً - : إن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما أُسري به أوقفه جبرئيل **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** موقفاً لم يطأه أحد قط فمضى النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فأراه الله من نور عظمتها ما أحب . فوقفته على

(١) أقول : الصحيح كما في نسخة من «فس» الحسن بن أسد ، وفي نسخة أخرى منه الحسين بن

أسيد ، ولعل كلمة «أسيد» تصحيف لاسد ، وأورد الشيخ في رجاله الحسن بن أسد البصري في أصحاب الرضا عليه السلام ، والحسين بن أسد في أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام ، وحكى عن ابن النضائري تضعيف الحسن ، واحتل الميرزا وغيره اتحادهما .

(٢) وفي نسخة : وسمى بهذه الأسماء .

(٣) وفي نسخة : ولا يدركون كنه بعده .



التشبيه فقال : سبحان الله ! دع ذا لا يفتح عليك منه أمر عظيم .
 بيان : فقال لي هو ابتداء أي من غير أن أذكر ما وصفوه من التشبيه ، فوقفته على التشبيه أي فذكرت له ما يقولون في التشبيه فأجابه عليه السلام بتنزيهه تعالى عن ذلك ، ونهاه عن القول بذلك ، والتفكر فيه لئلا يفتح عليه من ذلك أمر عظيم هو الكفر والخروج عن الدين .

٢٣ - يد : المفسر بإسناده إلى أبي محمد العسكري ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال :
 قام رجل إلى الرضا عليه السلام قال له : يا ابن رسول الله صف لنا ربك فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا . فقال الرضا عليه السلام : إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس ، مائلاً عن المنهاج ، ظاعناً في الإعوجاج ، ضالاً عن السبيل ، قائلاً غير الجميل ، أعرفه بما عرف به نفسه من غير رؤية ، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بغير تشبيه ، ^(١) ومتدان في بعده لا بنظير ، لا يمثل بخلقته ، ولا يجوز في قضيته ، الخلق إلى ما علم منقادون ، وعلى ما سطر في الممكنون من كتابه ماضون لا يعملون خلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون ، فهو قريب غير ملتزم ، وبعيد غير متقص ، يحقق ولا يمثل ، ويوحّد ولا يبعّض ، يعرف بالآيات و يثبت بالعلامات فلا إله غيره الكبير المتعال . ثم قال عليه السلام - بعد كلام آخر تكلم به - : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه عن أبيه عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما عرف الله من شبهه بخلقه ، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده .

بيان : الطعن : السير ، والتقصي : البعد وبلوغ الغاية . يحقق على المجهول أي يثبت وجوده . ولا يمثل أي لا يوجد كنهه في الذهن .

٢٤ - ضه : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال له رجل : أين المعبود ؟ فقال عليه السلام : لا يقال له : أين لأنه أين الأينية ، ولا يقال له : كيف لأنه كيف الكيفية ولا يقال له : ما هو لأنه خلق الماهية ، سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيار أمواج عظمته ، ^(٢)

(١) في نسخة : معروف بغير تشبيه ، وفي أخرى : معروف بغير تشبيه .

(٢) التيار : موج البحر الهائج .



وحصرت الأبواب عند ذكر أزليته ، و تحيرت العقول في أفلاك ملكوته .
 ٢٥ - وروي عنه أيضاً - **بَيِّنَاتٍ** - أنه قال : اتقوا أن تمثّلوا بالربّ الذي لا مثله
 أو تشبّهوه من خلقه ، أو تلقوا عليه الأوهام ، أو تعملوا فيه الفكر ، وتضربوا له الأمثال ،
 أو تنتعوه بنعوت المخلوقين فإن لمن فعل ذلك ناراً .

٢٦ - يد : الدقاق ، عن الأُسديّ ، عن النخعيّ ، عن النوفليّ ، عن إبراهيم بن
 الحكم بن ظهير ، عن عبد الله بن جرير العبديّ ، عن جعفر بن محمد **ثُمَّلاً** أنه كان يقول :
 الحمد لله الذي لا يحسّ ولا يجسّ ولا يمسّ ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، ولا يقع عليه
 الوهم ، ولا تصفه الألسن ، فكلّ شيء حسسته الحواس ، أو حسسته الحواس ، ^(١) أو لمسته
 الأيدي فهو مخلوق ، والله هو العليّ حيث ما يتغى يوجد ، والحمد لله الذي كان قبل
 أن يكون ، كان لم يوجد لوصفه كان ، ^(٢) بل كان أزلاً كان كائناً ، ^(٣) لم يكن منه مكون
 جلّ ثناءه ، بل كوّن الأشياء قبل كونها فكانت كما كوّننا ، علم ما كان وما هو كائن ،
 كان إذ لم يكن شيء ، ولم ينطق فيه ناطق ، فكان إذ لا كان .

بيان : نفي كان إمّا لإشعاره بالحدوث كما مرّ ، ولعدم كونه زمانياً بناءً على
 أن الزمان يخصّ المتغيّرات . ويدلّ الخبر على حدوث العالم .

٢٧ - يد : الدقاق ، عن الأُسديّ ، عن محمد بن جعفر البغداديّ ، عن سهل ، عن أبي
 الحسن عليّ بن محمد **ثُمَّلاً** أنه قال : إلهي تاهت أوهام المتوهّمين وقصر طرف الطارفين
 وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك ، أو
 الوقوع بالبلوغ إلى علوك ، فأنت الذي لا تتناهى ، ولم يقع عليك عيون بإشارة ولا
 عبارة ، هيهات ثم هيهات يا أوّلّي يا وحداني يا فرداني ، شمخت في العلوّ بعزّ الكبر ،
 وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر .

بيان : أو الوقوع أي عليك ، و يحتمل تعلق قوله : بالبلوغ بالوقوع بأن تكون

(١) جس الاخبار والامور بحث عنها . الجواس : هي الحواس الخمس .

(٢) وفي نسخة : كان لا يوجد لوصفه كان .

(٣) وفي نسخة : بل كان اولاً كان كائناً .



الباء ظرفية ، ويحتمل أيضاً تنازع الوقوع والبلوغ في قوله : إلى علوك . فأنت الذي لا تتناهى أي ليس لمعرفتك و معرفة صفاتك حدود تنتهي إليها ، أولعلمك و قدرتك و رحمتك وغيرها نهاية تفنف عندها . والمراد بالعيون الجواسيس ؛ أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الاستعمال ، و إذا حمل على العيون - جمع العين بمعنى الباصرة - فإسناد العبارة إليها مجازي ، ويحتمل أن تكون العبارة متعلقة بقوله . لا تتناهى على اللف و النشر غير المرتب . وشمخ : علا و طال . والغور : القعر من كل شيء ، أي ارتفعت عن أن يدرك كنه ذاتك و صفاتك بالوصول إلى غور الأفكار و نهايتها بسبب جبروت و عظمة ذاتية توجب الفخر .

٢٨ - يد : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن داود بن القاسم قال : سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن وصفه بالمكان فهو كافر ، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب . ثم تلا هذه الآية : « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

٢٩ - يد : الفامي ، عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن غير واحد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن أنكر قدرته فهو كافر .

٣٠ - يد : الفامي ، عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن ابن أبي عمير ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، إن الله تبارك و تعالی لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، و كل ما وقع في الوهم فهو بخلافه .

قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات : أنه لا جهة لشيء من أفعاله إلا محدثة ، ولا جهة محدثة إلا وهي تدل على حدوث من هي له ، فلو كان الله جل ثناؤه يشبه شيئاً منها لدلت على حدوثه من حيث دلت على حدوث من هي له ، إذ المتماثلان في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلا منها ، وقد قام الدليل على أن الله عز وجل قديم ، ومحال أن يكون قديماً من جهة حادثاً من أخرى . ومن الدليل على أن الله تبارك و تعالی قديم : أنه لو كان حادثاً لوجب

أن يكون له محدث لأن الفعل لا يكون إلا بفاعل ، ولكان القول في محدثه كالقول فيه ، وفي هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أول ، وهو محال ، فيصح أنه لا بد من صانع قديم ، وإذا كان ذلك كذلك فالذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعا ويدل عليه .

٣١ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن ابن أبان ، عن ابن أورمة ، عن إبراهيم ابن الحكم بن ظهير ، ^(١) عن عبدالله بن جوين العبدى ، ^(٢) عن أبي عبدالله عليه السلام أنه كان يقول : الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، ولا يقع عليه الوهم ، ولا تصفه الألسن ، وكل شيء حسسته الحواس أو لمسته الأيدي فهو مخلوق ؛ الحمد لله الذي كان إذ لم يكن شيء غيره ، وكون الأشياء فكانت كما كونها ، وعلم ما كان وما هو كائن .

٣٢ - يد : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن القاسم ، ^(٣) عن جدّه ، عن يعقوب ابن جعفر قال : سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام - وهو يكلم راهباً من النصارى - فقال له في بعض ما ناظره : إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحدّ بيد ، أو رجل أو حركة ، أو سكون ، أو يوصف بطول ، أو قصر ، أو تبلغه الأوهام ، أو تحيط بصفته العقول ، أنزل مواعظه ووعدده ووعيده ، أمر بلا شفة ولا لسان ، وإنك كما شاء أن يقول : كن فكان خيراً كما أراد في اللوح .

٣٣ - يد : حمزة بن محمد العلوي ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن محمد بن حكيم قال : وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق ، ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال : إن الله عز وجل لا يشبهه شيء . ^(٤)

(١) ظهير وزان زبير ، أورد النجاشي ترجمته في ص ١١ من رجاله ، قال : إبراهيم بن الحكم ابن ظهير الغزاري ، أبو اسحاق صاحب التفسير عن السدي ، له كتب منها كتاب الملاحم وكتاب الخطب الخ . أقول : ظاهره كون الرجل امامياً .

(٢) في نسخة من التوحيد «جون» بدلا عن «جوين» . وتقدم الحديث باسناد آخر تحت رقم ٢٦ ، وفيه : عبدالله بن جرير العبدى . والرجل ليس مذكورا في كتب رجالنا

(٣) هو قاسم بن يحيى وجده الحسن بن راشد .

(٤) يأتي الحديث باسناد آخر مفصلا تحت رقم ٣٧ .



بيان : الموفق : هو الذي أعضاؤه موافقة لحسن الخلقة ؛ أو المستوي من قولهم :
أزفت الإبل : إذا اصطفت واستوت . وقيل : إنه تصحيف الريق أي ذال البهجة والبهاء
وقيل : هو تصحيف الموقوف - بتقديم القاف - بمعنى المزين ، فإن الوقف سوار من عاج ،
ووقفت يديها بالحناء نقطتها ، ويحتمل أن يكون تصحيف المونق .^(١)

٣٤ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن سهل ، عن حمزة بن محمد قال : كتبت إلى
أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب عليه السلام : سبحان من ليس كمثله شيء
لاجسم ولا صورة .

يد : العطار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن بعض أصحابه مثله .

يد : العطار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن حمزة بن محمد إلى قوله : شيء .

أقول : رواه الكراجكي عن الحسين بن عبيد الله الواسطي ، عن التلعكبري ، عن
الكليني ، عن محمد بن الحسن ، عن سهل .

٣٥ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ،
عن علي بن أبي حمزة ^(٢) قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم
أن الله جل وعز جسم صمدي نوري ، معرفته ضرورة ، يمن بها على من يشاء من خلقه .
فقال عليه السلام : سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ،^(٣) لا يحد
ولا يحس ولا يجس ولا يمس ، ولا يدركه الحواس ، ولا يحيط به شيء ، لاجسم ولا صورة ولا
تخطيط ولا تحديد .

بيان : معرفته ضرورة أي تقذف في القلب من غير اكتساب ، أو تحصل بالروية
تعالى الله عن ذلك . وقد أوّل كلامه بأن مراده بالجسم الحقيقة العينية القائمة بذاتها
لا غيرها ، وبالصمدي ما لا يكون خالياً في ذاته عن شيء ، فيستعد أن يدخل هوفيه ، أو
مشملاً على شيء ، يصح عليه خروجه عنه ، وبالنوري ما يكون صافياً عن ظلم المواد و
قابلياتها بل عن الماهية المغائرة للوجود وقابلياتها له .

(١) المونق : الحسن المعجب .

(٢) هو البطاني الواقفي الضعيف ، وقد ورد أحاديث كثيرة في ذمه

(٣) وفي نسخة : وهو السميع العليم .



٣٦ - يد : الدقباق ، عن محمد الأَسدي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، و الحسين بن علي ، عن صالح بن أبي حماد ، ^(١) عن بكر بن صالح ، ^(٢) عن الحسين بن سعيد ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن محمد بن زياد قال : سمعت يونس بن ظبيان ^(٣) يقول : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : إن هُشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً ؛ يزعم أن الله جسم لأن الأشياء شيان : جسم ، وفعل الجسم ، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل ، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل . فقال أبو عبد الله عليه السلام : وبه ؛ أما علم أن الجسم محدودٌ متناه ، والصورة محدودةٌ متناهية ، فإذا احتمل الحد احتمال الزيادة والنقصان ، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً . قال : قلت : فما أقول ؟ قال عليه السلام : لا جسم ولا صورة ، وهو مجسم الأجسام ، ومصوّر الصور لم يتجزأ أولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص ؛ لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ، ولا بين المنشئ والمنشأ ، لكن هو المنشئ ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه ، إذ كان لا يشبهه شيء ، ولا يشبهه هوشياً .

ايضاح : استدل عليه السلام على نفي جسميته تعالى بأنه لو كان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهياً إليها ، لاستحالة لاتناهي الأبعاد ، وكلٌ محتمل للحد قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم والحد ، فله حقيقة كلية غير متشخصة بذاتها ولا موجودة بذاتها

(١) قال النجاشي في ص ١٤٠ من رجاله : صالح بن أبي حماد أبو الخير الرازي ، واسم أبي الخير زاذويه ، لقي أبا الحسن العسكري عليه السلام وكان أمره ملبساً ، يعرف وينكر الخاقول : و حكى عن ابن الغضائري تضعيفه .

(٢) ضعفه النجاشي وابن الغضائري والعلامة وغيرهم .

(٣) قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة : يونس ظبيان - بالطاء المعجمة المفتوحة ، والباء المنقطعة تحتها نقطة ، قبل الباء والنون أخيراً - قال أبو عمرو والكشي قال الفضل بن شاذان في بعض كتبه : الكذابون المشهورون : أبو الخطاب ، ويونس بن ظبيان ، وبزيد الصانع ، ومحمد بن سنان ، وأبو سينة أشهرهم ، و قال النجاشي : انه مولى ، ضعيف جدا ، لا يلتفت الى ما رواه ، كل كتبه تخليط ؛ قال ابن الغضائري : يونس بن ظبيان كوفي غال كذاب وضاع للحديث ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، فانا لا نعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ العظاماء فيه .

أوهومر كَب من أجزاء حال كل واحد منهما ما ذكر فيكون مخلوقاً ، أو بأن كل قابل للحدّ والنهاية قابل للزيادة والنقصان لا يتأبى عنهما في حدّ ذاته ، وإن استقرّ على حدّ معين فإنّما استقرّ عليه من جهة جاعل . ثمّ استدلّ عليه السلام بوجه آخر وهو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأنًا وأرفع قدرًا من الموجد ، وعدم المشابهة والمشاركة بينهما ، وإلا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّة دون الآخر ؟ وكيف صار هذا موجداً لهذا بدون العكس ؟ ويحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة والمشابهة فيما يوجب الاحتياج إلى العلّة فيحتاج إلى علّة أخرى . قوله : فرق بصيغة المصدر أي الفرق حاصل بينه وبين من صورّه ؛ ويمكن أن يقرأ على الماضي المعلوم .

٣٧ - يد : عليّ بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله البرقيّ ، عن أبيه ، عن جدّه أحمد ، عن البرز نظي ، عن محمد بن حكيم قال : وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام الجواليقي ، وحكيت له قول هشام بن الحكم : إنّه جسم فقال : إن الله لا يشبهه شيء ؛ أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم ، أو صورة ، أو بخلقة ، أو بتحديد وأعضاء ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

بيان : الخناء : الفحش في القول ، ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي .

٣٨ - يد : ابن المتوكّل ، عن محمد العطّار ، عن سهل ، عن محمد بن عليّ القاسانيّ قال : كتبت إليه عليه السلام : أن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد . قال : فكتب عليه السلام : سبحان من لا يحدّ ولا يوصف ولا يشبهه شيء ، وليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

٣٩ - يد : ما جيلويه ، عن محمد العطّار ، عن الأشعريّ ، عن عمران بن موسى ، عن الحسن بن جريش الرازيّ ، عن بعض أصحابنا ، عن الطيّب - يعني عليّ بن محمد - وعن أبي جعفر عليه السلام أنّهما قالوا : من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة ولا تصلّوا وراءه .

٤٠ - نص : أبو المفضل الشيبانيّ ، عن أحمد بن مطوق بن سوار ، عن المغيرة بن

محمد بن المهلب ، عن عبد الغفار بن كثير ، عن إبراهيم بن حميد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال . قدم يهوديٌّ على رسول الله صلّى الله عليه وآله - يقال له : نعثل - فقال : يا محمد إنّي سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أنت أحببني عنها أسلمت على يدك

قال : سل يا أبا عمارة . فقال : يا محمد صف لي ربك ، فقال ﷺ : إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، و كيف يوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه ، و الأوهام أن تتاله ، و الخطرات أن تحده ، و الأبصار عن الإحاطة به ، جل عما يصفه الواصفون ، نأى في قربه ، و قرب في نأيه كيف الكيفية فلا يقال له : كيف ، و أين الأين فلا يقال له : أين ، هو منقطع الكيفية و الأينونية ، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه و الواصفون لا يبلغون نعتة ، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد .

قال : صدقت يا محمد أخبرني عن قولك : إنه واحد لا شبيه له ، أليس الله واحد و الإنسان واحد ؟ فوحدانيته أشبهت وحدانية الإنسان . فقال ﷺ : الله واحد و أحدي المعنى ، و الإنسان واحد تنوي المعنى ، جسم و عرض ، و بدن و روح ، فإنما التشبيه في المعاني لا غير ، قال : صدقت يا محمد .

٤١ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن الأشعري ، عن محمد بن عيسى ، عن هشام بن إبراهيم العباسي قال : قلت له - يعني أبا الحسن عليه السلام - : جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة ، قال : و من هو ؟ قلت : الحسن بن سهل قال : و في أي شيء المسألة ؟ قلت : في التوحيد ، قال : و أي شيء من التوحيد ؟ قال : يسألك عن الله جسم أو لا جسم ؟ فقال لي : إن للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : إثبات بتشبيهه ، و مذهب النفي ، و مذهب إثبات بلا تشبيه ، فمذهب الإثبات بتشبيهه لا يجوز ، و مذهب النفي لا يجوز ، و الطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه

٤٢ - يد : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن بعض أصحابنا يزعم أن لله صورة مثل الإنسان و قال آخر إنه في صورة أمر دجعد قطط ! فخر أبو عبد الله عليه السلام ما جداً ثم رفع رأسه فقال : سبحان الله الذي ليس كمثل شيء ، و لا تدركه الأبصار ، و لا يحيط به علم ، لم يلد لأن الولد يشبه أباه ، و لم يولد فيشبهه من كان قبله ، و لم يكن له من خلقه كفواً أحد ، تعالى عن صفة من سواه علواً كبيراً .

بيان : الجعد : ضد السبط ، قال الجزري في صفة شعره عليه السلام : ليس بالسبط

ولا الجعد القلط ؛ السبط من الشعر: المنبسط المسترسل ، والقطط : الشديدة الجعودة .
 ٤٣ - كش : محمد بن مسعود ، عن علي بن محمد القمي ، عن البرقي ، عن محمد بن موسى
 ابن عيسى ،^(١) عن اسكيب بن أحمد الكيسانى ،^(٢) عن عبد الملك بن هشام الخياط^(٣) قال :
 قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : أسألك جعلني الله فداك ؟ قال : سل يا جبلي ، عما ذاتسألني ؟
 فقلت : جعلت فداك زعم هشام بن سالم أن لله عز وجل صورة ، وأن آدم خلق على مثال
 الرب ، فيصف هذا ويصف هذا - وأومات إلى جانبي وشعر رأسي - وزعم يونس مولى
 آل يقطين وهشام بن الحكم أن الله شيء ، لا كالأشياء ، وأن الأشياء بائنة منه ، وأنه
 بائن من الأشياء ، وزعم أن إثبات الشيء أن يقال : جسم ، فهو جسم لا كالأجسام ، شيء
 لا كالأشياء ، ثابت موجود غير مفقود ولا معدوم ، خارج عن الحدين : حد الإبطال ،
 وحد التشبيه ، فبأي القولين أقول ؟ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : أراد هذا الإثبات ، و
 هذا شبه ربه تعالى بمخلوق ، تعالى الله الذي ليس له شبه ولا مثل ولا عدل ولا نظير ،
 ولا هو بصفة المخلوقين ، لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم ، وقل بما قال مولى آل يقطين
 وصاحبه . قال : فقلت : يعطى الزكاة من خالف هشاماً في التوحيد ؟ فقال برأسه : لا .
 بيان : أراد هذا الإثبات أي يونس وهشام بن الحكم ، ولعله عليه السلام إنما صوب
 قولهما في المعنى لافي إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى ، ويظهر مما زعم « من أن إثبات الشيء
 أن يقال جسم » أن مرادهم بالجسم أعم من المعنى المصطلح كما مر .

(١) الظاهر هو أبو جعفر السمان الهمداني الذي قال النجاشي في حقه : ضعفه القميون بالغلو
 وكان ابن الوليد يقول : إنه كان يضع الحديث والله أعلم . أقول : حكى عن ابن الفضائري أيضاً
 تضعيفه وأنه يردى عن الضعفاء ، ويجوز أن يخرج شاهداً ، تكلم القميون فيه بالرد . واستثنوا من
 نوادر الحكمة مارواه .

(٢) لم نجد له ذكراً في التراجم ، والموجود في الكشي : اسكيب بن عبدك الكيسانى .

(٣) لم نجد له ذكراً في التراجم ، نعم قال صاحب تنقيح المقال : عبد الملك بن هشام الخياط
 الجبلي روى عنه الكشي مسنداً عنه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام رواية تأتي في هشام بن سالم
 يظهر منها كونه من الشيعة المتدينين ، بل يستشم من مجموع الرواية كونه مورد لطف الرضا عليه
 السلام فلاحظ وتدبر . انتهى . أقول : وأنت ترى أن الرواية خالية عما ذكره رحمه الله .

٤٤ - يد : ما جيلويه ، عن عمته ، عن محمد بن علي الصيرفي ، عن علي بن حماد ، عن المفضل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى لا يقدر قدرته ولا يقدر العباد على صفته ، ولا يبلغون كنه علمه ، ولا يبلغ عظمته ، وليس شيء غيره ، وهو نور ليس فيه ظلمة ، وصدق ليس فيه كذب ، وعدل ليس فيه جور ، وحق ليس فيه باطل ، كذلك لم يزل ولا يزال أبداً بدين ، وكذلك كان إذ لم تكن أرض ولا سماء ، ولا ليل ولا نهار ، ولا شمس ولا قمر ، ولا نجوم ولا سحب ، ولا مطر ولا رياح ؛ ثم إن الله تبارك وتعالى أحب أن يخلق خلقاً يعظمون عظمته ، ويكبرون كبريائه ، ويجلون جلاله ، فقال : كونا ظليين ، فكانا كما قال الله تبارك وتعالى .

قال الصدوق رحمه الله : معنى قوله : هو نور أي هو منير وهاد ، ومعنى قوله : كونا ظليين الروح المقدس و الملك المقرب ، والمراد به أن الله كان ولا شيء معه فأراد أن يخلق أنبياءه و حججه وشهداءه فخلق قبلهم الروح المقدس ، وهو الذي يؤيد الله عز وجل به أنبياءه وشهداءه و حججه صلوات الله عليهم ، وهو الذي يحرسهم به من كيد لشيطان ووسواسه ، ويسددهم ويوققهم ويمددهم بالخواطر الصادقة ، ثم خلق الروح الأمين الذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عز وجل وقال لهما : كونا ظليين ظليلين لأنبيائي ورسلي و حججي وشهدائي ، فكانا كما قال الله عز وجل ظليين ظليلين لأنبيائه ورسله و حججه وشهداءه ، يعينهم بهما ، وينصرهم على أيديهما ، ويحرسهم بهما ، وعلى هذا المعنى قيل للسلطان العادل : إن الله ظل الله في أرضه لعباده ، يأوي إليه المظلوم ، ويأمن به الخائف الوجل ، ويأمن به السبل ، وينتصر به الضعيف من القوي ،^(١) وهذا هو سلطان الله و حجته التي لا تخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة .^(٢)

(١) وفي نسخة : وينتصر به الضعيف من القوي .

(٢) ما ذكره الصدوق رحمه الله وما أورده المصنف في البيان لا ينطبق شيء منهما على فقرات الرواية ، والذي يظهر من الروايات الواردة في هذا اللسان أن المراد بقوله : ليس شيء غيره : أنه الشيء بعقبة الشبهة والوجود كما يؤيد الفقرات التالية . والمراد بالظليين : العالمين العلوي والسفلي وهو المعنى المناسب لقوله : ليس شيء غيره . ط

بيان : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وليس شيء غيره أي كذلك ، أو كان كذلك حين لاشيء غيره ، ويحتمل اتصاله بما بعده أي هو متصف بتلك الأوصاف المذكورة بعد ذلك لاشيء غيره . وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : كونا ظلمين يحتمل أن يكون إشارة إلى خلق أرواح الثقلين ، فإن الظلال تطلق على عالم الأرواح في الأخبار كما سيأتي ، أو إلى الملائكة وأرواح البشر ، أو إلى نور محمد وعلي صلوات الله عليهما ، أو نور محمد ونور أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ويؤيده ما سيأتي في باب بدء خلق أرواح الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن جابر عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : كان الله ولا شيء غيره ، فأول ما ابتداء من خلق خلقه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته ، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه ، حيث لاسماء ولأرض ولامكان ، ولاليل ولانهار ولاشمس ولاقمر الخبر . وعن صفوان ، عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : لما خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرة ، فقال عز وجل ، هذان نوران لي مطيعان ، فخلق الله من ذلك النور محمداً وعلياً والأصفياء من ولده عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وعن الثمالي قال : دخلت حباية الوالبيّة^(١) على أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالت : أخبرني يا ابن رسول الله أي شيء كنتم في الأظلة ؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : كنا نوراً بين يدي الله قبل خلق خلقه . الخبر .

ويحتمل أن يكوق المراد بهما مادتي السماء والأرض .

٤٥ - فس : أبي ، عن البرزطي ، عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال لي : يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد ؟ فقلت : جعلت فداك قلنا نحن بالصورة للحديث الذي روي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رأى ربه في صورة شاب ! فقال هشام ابن الحكم بالنفي بالجسم . فقال : يا أحمد إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما أُسري به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى خرق له في الحجب مثل سمّ الأبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى ، وأردتم أنتم التشبيه ، دع هذا يا أحمد لا يفتح عليك منه أمر عظيم . بيان : بالنفي أي نفي الصورة مع القول بالجسم ، والمراد بالحجب إما الحجب المعنوية وبالرؤية الرؤية القلبية ، أو الحجب الصورية ، فالمراد بنور العظمة آثار عظمته برؤية عجائب خلقه .

(١) الحباية بفتح الحاء وتخفيف الباء .



٤٦ - سن : محمد بن عيسى ، عن أبي هاشم الجعفري قال : أخبرني الأشعث بن حاتم أنه سأل الرضا عليه السلام عن شيء من التوحيد فقال : ألا تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : اقرأ : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . فقرأت فقال : وما الأبصار ؟ قلت : أبصار العين قال : لا إنما عنى الأوهام ، لا تدرك الأوهام كيفيته وهو يدرك كل فهم .
 سن : محمد بن عيسى ، عن أبي هاشم ، عن أبي جعفر عليه السلام نحوه ، إلا أنه قال :
 الأبصار ههنا أوهام العباد ، والأوهام أكثر من الأبصار ، وهو يدرك الأوهام ولا تدركه الأوهام .

بيان : كون الأوهام أكثر لأن البصر في الشخص متحد ، وله واهمة ومتفكرة و متخيّلة وعاقلة ، وكثيراً ما يسلب عن الشخص البصر وتكون له تلك القوى ، ويحتمل أن يكون المراد بها أكثرية مدركاتها فإنها تدرك ما لا يدركه البصر أيضاً .

٤٧ - شي : عن الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سمعته يقول : لا يوصف الله بمحكم وحيه ، عظم ربنا عن الصفة ، وكيف يوصف من لا يحد ، وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير .

بيان : أي دلّ محكم الآيات على أنه لا يوصف كقوله تعالى : «ليس كمثله شيء» ، وقوله : «لا تدركه الأبصار» .

أقول : قد مرّ كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع ، و باب النهي عن التفكير ، و سيأتي بعضها في باب جوامع التوحيد ، و باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على النصارى ، و باب الرؤية .



﴿باب ١٤﴾

﴿نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى﴾

﴿وتأويل الآيات والأخبار في ذلك﴾

١ - لى : السناني ، عن الأسيدي ، عن النخعي ، عن عمه النوفلي ، عن علي بن سالم عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون ؛ بل هو خالق الزمان و المكان و الحركة و السكون و الانتقال ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٢ - شا ، ج : روي أن بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له : أنت خليفة رسول الله على الأمة ؟ ^(١) فقال : نعم ، فقال : إننا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم ، فخبّرني عن الله أين هو ؟ في السماء هو أم في الأرض ؟ فقال له أبو بكر : في السماء على العرش ، قال اليهودي : فأرى الأرض خالية منه ، فأراه على هذا القول في مكان دون مكان ؛ فقال له أبو بكر : هذا كلام الزنادقة ، اعزب عني وإلا قتلتك ؛ فولى الرجل متعجباً يستهزئ ، بالإسلام ، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وما أجبته به وإنما نقول : إن الله عز وجل أين فلا أين له ، وجل من أن يحويه مكان ، وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة ، يحيط علماً بما فيها ، ولا يخلو شيء ، من تدبيره تعالى ، وإني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم ، يصدق بما ذكرته لك فإن عرفت أنه يؤمن به ؛ قال اليهودي : نعم ، قال : أستم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً . إذ جاءه ملك من المشرق فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجل ، ثم جاءه ملك من المغرب فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجل ، ثم جاءه ملك آخر ، فقال له : من أين جئت ؟ قال : قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عز وجل ، وجاءه ملك آخر فقال : من أين جئت ؟ قال : قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجل ، فقال موسى عليه السلام : سبحان

(١) في نسخة : أنت خليفة رسول هذه الأمة

من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان ؛ فقال اليهودي : أشهد أن هذا هو الحق المين ، وأنتك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه .

بيان : عزب عنه يعزب ويعزب أي بعد وغاب ، وفسر عزب قوله : وهو في كل مكان بما ذكره بعده ليظهر أن المراد به الإحاطة بالعلم والتدبير .

٣ - شا ، ج : روى الشعبي أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول : والذي احتجب بسبع طباق ؛ فعلاه بالدرّة ،^(١) ثم قال له : يا ويلك إن الله أجل من أن يحتجب عن شيء ، أو يحتجب عنه شيء ، سبحانه الذي لا يحويه مكان ، ولا يخفى عليه شيء ، في الأرض ولا في السماء ؛ فقال الرجل : أفأكفر عن يميني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لالم تحلف بالله فيلزمك الكفارة^(٢) وإنما حلفت بغيره .

٤ - ج : في جواب أسئلة الزنديق المنكر للقرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : معنى قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك » ، فإنما خاطب نبينا صلى الله عليه وآله هل ينظر المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعابنهم ، أو يأتي ربك ، أو يأتي بعض آيات ربك ؛ يعني بذلك أمر ربك ، والآية هي العذاب في دار الدنيا كما عذب الأمم السالفة ، والقرون الخالية ، وقال : « أولم يروا أننا أتى الأرض تنقصها من أطرافها » يعني بذلك ما يهلك من القرون فسماه إتياناً ، وقوله : « الرحمن على العرش استوى » يعني استوى تديره وعلا أمره ، وقوله : « وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله » وقوله : « وهو معكم أينما كنتم » وقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، فإنما أراد بذلك استيلاء أمثاله بالقدرة التي زكّبه فيها على جميع خلقه ، وأن فعلهم فعله . الخبر .

يد : في هذا الخبر : وقال في آية أخرى : « فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » يعني أرسل عليهم عذاباً ، وكذلك إتيانه بنيانهم ؛ وقال الله عز وجل : « فاتى الله بنيانهم من القواعد » ، فاتى الله بنيانهم من القواعد إرسال العذاب .

(١) الدرّة بكسر الدال وتشديد الراء : السوط .

(٢) في شا : فيلزمك الكفارة كفارة العنت .



تبيان : قال البيضاوي : هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين . إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أو العذاب . أو يأتي ربك أي أمره بالعذاب ، أو كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله : «أو يأتي بعض آيات ربك» يعني أشرط الساعة .^(١)

أقول : لعنه عليه السلام فسّر إتيان الرب بالقيامة ، وإتيان أمره تعالى بقيامها ، وإتيان بعض الآيات بنزول العذاب في الدنيا ، وإتيان الملائكة بظهورهم عند الموت ، أو الأعم منه ومن غيره .

وقال الطبرسي رحمه الله أولم يروا أننا نأتي الأرض أي نقصدها . نتقصها من أطرافها اختلف في معناه على أقوال : أحدها : أولم يرهؤلاء الكفار أننا نتقص أطراف الأرض بمائة أهلها . وثانيها : نتقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها . وثالثها : أن المراد نقصد الأرض نتقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها فنقص من أهل الكفر ونزيد في المسلمين ، يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك . ورابعها : أن معناه أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة ، والموت بعد الحياة ، والنقصان بعد الزيادة انتهى .

و أمّا ما ذكره عليه السلام أخيراً في الخبر الأول فالظاهر تعلقه بالثلاثة الأخيرة ، فالمراد بالأولى نفوذ أمره تعالى في السماء والأرض ، وخلق الملائكة والحجج فيهما ، وإنفاذهم أمره تعالى فيهما ، وبالثانية كون الملائكة والحجج معهم شاهدين عليهم ، وكذا الثالثة .

٥ - ج : عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، عن أبي إبراهيم موسى عليه السلام قال : ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ؛ فقال : إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل ، إنما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه ، وهو ذو الطول لإله إلا هو العزيز الحكيم ؛ أمّا قول الواصفين : إنه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك فإِنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به فمن ظن بالله الظنون

(١) أشرط الساعة : علامتها .

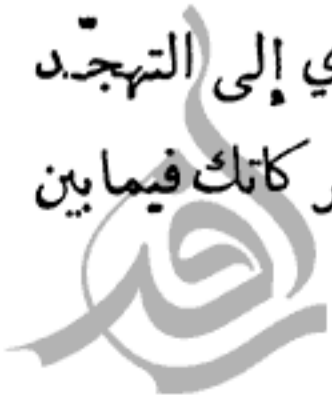
فقد هلك وأهلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد من نقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرك ، أو زوال أو استئزال ، أو نهوض أو قعود فإن الله عز وجل عن صفة الواصفين و نعت الناعتين وتوهم المتوهمين .

يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن البرمكي ، عن علي بن عياش ، عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري مثله . وزاد في آخره : وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين .

بيان : إنما منظره أي نظره وعلمه وإحاطته ، بأن يكون مصدراً ميمياً ، أو ما ينظر إليه في القرب والبعد منه سواء أي لا يختلف اطلاعاً على الأشياء بالقرب والبعد لأن القرب والبعد إنما يجريان في المكاني بالنسبة إلى المكان ، وهو سبحانه متعال عن المكان . والطول : الفضل والإنعام .

قوله : فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أي النزول المكاني إنما يتصور في المتحيز ، وكل متحيز موصوف بالتقدير ، وكل متقد رمتصف بالنقص عما هو أزيد منه ، وبالزيادة على م هو أنقص منه ، أو يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان ، والوجوب الذاتي ينافي ذلك ، لاستلزامه التجزي والانقسام المستلزمين للإمكان ؛ وأيضاً كل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به لأن المتحرك إما جسم أو متعلق بالجسم ، والجسم المتحرك لا بد له من محرّك لأنه ليس يتحرك بجسميته ، والمتعلق بالجسم لا بد له في تحركه من جسم يتحرك به ، وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرك ، وعن التغيير بمغير ، وعن التعلق بجسم يتحرك به ؛ ويحتمل أن يكون المراد بالأول الحركة القسريّة ، وبالثاني ما يشمل الإرادية والطبيعية ، بأن يكون المراد بقوله : من يتحرك به ما يتحرك به من طبيعة أو نفس .

وقوله : من أن تقفوا من وقف يقف أي أن تقوموا في الوصف له وتوصيفه على حد فتحدّونه بنقص أو زيادة ؛ ويحتمل أن يكون من قفايقفو أي أن تتبعوا له في البحث عن صفاته تتبعاً على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة . وقوله : حين تقوم أي إلى التهجّد أو إلى الخيرات أو إلى الأمور كلها . وتقلبك في الساجدين أي تردّدك وحرّكاتك فيما بين المصلين بالقيام والعقود والركوع والسجود .



٦- ج : عن يعقوب بن جعفر الجعفري قال سألت رجلاً - يقال له : عبدالغفار السلمي -
 أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : «ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى»
 فقال : أرى ههنا خروجاً من حجب وتدلياً إلى الأرض ، وأرى محمداً صلوات الله عليه وآله رأى ربه
 بقلبه ونسب إلى بصره وكيف هذا ؟ فقال أبو إبراهيم عليه السلام : دنى فتدلى ، فإنه لم يدل
 عن موضع ، ولم يتدل بيدين . فقال عبدالغفار : أصفه بما وصف به نفسه حيث قال : دنى
 فتدلى فلم يتدل عن مجلسه إلا قد زال عنه ، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه . فقال
 أبو إبراهيم عليه السلام : إن هذه لغة في قریش إذا أراد الرجل منهم أن يقول : « قد سمعت »
 يقول : قد تدليت ، وإنما التدلى : الفهم .

بيان : التدلى : القرب ، والنزول من علو ، والامتداد إلى جهة السفلى ، ويكون
 من التدليل بمعنى الغنج ؛ وما ذكره عليه السلام أن المراد به الفهم فهو على المجاز لأن من يريد
 فهم شيء ، يتدلى إلى القائل ليسمعه ويفهمه . ثم أعلم أنه قد اختلف في تفسير هذه الآية
 على وجوه :

الاول : أن تكون الضمائر راجعة إلى جبرئيل عليه السلام ، فالمعنى : وهو أي جبرئيل
 بالأفق الأعلى « أفق السماء » ثم دنى من النبي صلوات الله عليه وآله فتدلى أي تعلق به ، وهو تمثيل
 لعروجه بالرسول صلوات الله عليه وآله ، أو تدلى من الأفق الأعلى فدنى من الرسول ، فيكون إشعاراً
 بأنه عرج به غير منفصل عن محله وتقريراً لشدة قوته ، وقيل : المعنى : قرب فاشتد قرب به ،
 فكان البعد بينهما قاب قوسين أي قدرهما أو أدنى ، والمقصود تمثيل ملكة الاتصال و
 تحقيق استماعه لما أوحى إليه بنفي البعد الملبس .

الثاني : أن تكون الضمائر راجعة إلى محمد صلوات الله عليه وآله أي ثم دنى محمد من الخلق والأمة ،
 وصار كواحد منهم فتدلى إليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فالحاصل أنه صلوات الله عليه وآله استوى
 وكمل فدنى من الخلق بعد علوه وتدلى إليهم وبلغ الرسالة .

الثالث : أن تكون الضمائر راجعة إلى الله تعالى ، فيكون دنوه كناية عن رفع
 مكانته ، وتدليه عن جذبه بشرائه إلى جناب القدس ، والحاصل أنه مؤول بالدنوة
 المعنوي ، والتقرب والمعرفة واللطف ، على ما يؤول حديث «من ترقب إلي شبراً تقربت

إليه ذراعاً ، وقيل : الدنوّ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو كناية عن عظم قدره حيث انتهى إلى حيث لم ينته إليه أحد ، والتدلّي منه تعالى كناية عن غاية لطفه ورحمته .

٧ - لى ، يد ، ن : الدقاق ، عن الصوفي ، عن الروياني ، عن عبد العظيم الحسيني ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال : قلت للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أنه قال : إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : لعن الله المحرّفين للكلم عن مواضعه ، والله ما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كذلك إنما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن الله تبارك وتعالى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير ، وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ ياطالب الخير أقبل ، ياطالب الشر أقصر ؛ فلا يزال ينادي بهذا إلى أن يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء .^(١) حدّثني بذلك أبي ، عن جدّي ، عن آبائه ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ج : مرسلًا مثله .

بيان : الظاهر أن مراده عَلَيْهِ السَّلَامُ تحريفهم لفظ الخبر ، ويحتمل أن يكون المراد تحريفهم معناه بأن يكون المراد بنزوله تعالى إنزال ملائكته مجازاً .

ع : السناني والدقاق والمكتب والوراق ، عن الأسيدي مثله .

٨ - لى : السناني ، عن الأسيدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبيه ، عن ثابت بن دينار قال : سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان ؟ فقال : تعالى الله عن ذلك . قلت : فلم أسرى نبيّه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء ؟ قال : ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعته وبدائع خلقه . قلت : فقول الله عزّ وجلّ «ثمّ دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى» قال : ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دنى من حجب النور فرأى ملكوت السماوات ، ثمّ تدلّى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى .

(١) الملكوت : الملك العظيم ، العز والسلطان . والملكوت السماوي : هو «عجل القديسين

في السماء .

٩ - فس : أبي ، عن حماد ، عن حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الرب تبارك وتعالى ينزل كل ليلة جمعة إلى سماء الدنيا من أول الليل ، وفي كل ليلة في الثلث الأخير ، وأمامه ملك ينادي : هل من تائب يتاب عليه ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ؟ اللهم أعط كل منفق خلفاً^(١) و كل ممسك تلفاً ؛ فإذا طلع الفجر عاد الرب إلى عرشه فيقسم الأرزاق بين العباد . ثم قال للفضيل بن يسار : يا فضيل نصيبك من ذلك وهو قول الله : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » إلى قوله : « أكثرهم بهم مؤمنون » .

بيان : نزوله تعالى كناية عن تنزله عن عرش العظمة والجلال ، وأنه مع غناؤه عنهم من جميع الوجوه يخاطبهم بما يخاطب به من يحتاج إلى غيره تلطفاً و تكرماً ، و عوده إلى عرشه عن توجهه تعالى إلى شؤون آخر يفعله الملوك إذا تمكّنوا على عرشهم . قوله عليه السلام : نصيبك أي خذ نصيبك من هذا الخير ولا تغفل عنه .

١٠ - ع : المكتب والوراق والهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن يحيى بن أبي عمران ، وصالح بن السندي ، عن يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : لأي علة عرج الله بنبيه عليه وآله إلى السماء ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومنها إلى حجب النور ، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان ؟ فقال عليه السلام : إن الله لا يوصف بمكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولكنه عز وجل أراد أن يشرّف به ملائكته وسكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته ، ويريه من عجائب عظمتة ما يخبر به بعد هبوطه ، وليس ذلك على ما يقوله المشبهون ، سبحان الله وتعالى عما يصفون .

يد : علي بن الحسين بن الصلت ، عن محمد بن أحمد بن علي بن الصلت ، عن عمه عبد الله ابن الصلت ، عن يونس مثله .

١١ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عيينة^(٢) عن حبيب السجستاني قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل : « ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى » فقال لي : يا حبيب لا تقرأ هكذا

(١) الخلف : البديل والموض .

(٢) لم نجد له ذكر أفي التراجم .



اقرأ : ثم دنى فتدانا فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إلى عبده يعني رسول الله ﷺ ما أوحى ؛ يا حبيب إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة أتعب نفسه في عبادة الله عز وجل والشكر لنعمه في الطواف بالبيت و كان عليٌّ رضي الله عنه معه فلما غشيهم الليل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي ، قال : فلما هبطا من الصفا إلى المروة وصارا في الوادي دون العلم الذي رأيت غشيتهما من السماء نور فأضاءت لهما جبال مكة ، و خسأت أبصارهما ،^(١) قال : ففرعا لذلك فرعا شديداً ، قال : فمضى رسول الله ﷺ حتى ارتفع من الوادي ، وتبعه عليٌّ رضي الله عنه فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء فإذا هو برمانتين على رأسه ، قال : فتناولهما رسول الله ﷺ فأوحى الله عز وجل إلى محمد : يا محمد إنهما من قطف الجنة فلا يأكل منها إلا أنت ووصيك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : فأكل رسول الله ﷺ إحداهما ، وأكل عليٌّ رضي الله عنه الأخرى ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد رضي الله عنه ما أوحى . قال أبو جعفر رضي الله عنه : يا حبيب ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، يعني عندها و افا به جبرئيل حين صعد إلى السماء ، قال : فلما انتهى إلى محل السدرة وقف جبرئيل دونها و قال : يا محمد إن هذا موقفي الذي وضعني الله عز وجل فيه ، وئن أقدر على أن أتقدمه ، ولكن امض أنت أمامك إلى السدرة ، فوقف عندها ؛ قال : فتقدم رسول الله ﷺ إلى السدرة وتخلّف جبرئيل رضي الله عنه ، قال أبو جعفر رضي الله عنه : إنما سميت سدرة المنتهى لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة ، و الحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما ترفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض ، قال : فينتهون بها إلى محل السدرة ، قال : فنظر رسول الله ﷺ فرأى أغصانها تحت العرش وحوله ، قال : فتجلّى لمحمد ﷺ نور الجبار عز وجل ، فلما غشي محمداً ﷺ نور الله شخص ببصره ، و ارتعدت فرائصه ، قال : فشدّ الله عز وجل لمحمد قلبه و قوى له بصره حتى رأى من آيات ربه ما رأى ، وذلك قول الله عز وجل : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » قال يعني الموافاة ، قال : فرأى محمداً ﷺ ما رأى ببصره من آيات ربه الكبرى ، يعني أكبر الآيات .

قال أبو جعفر رضي الله عنه : وإن غلظ السدرة بمسيرة مائة عام من أيام الدنيا ، وإن

(١) خسا البصر : كل وأعبا .

الورقة منها تغطي أهل الدنيا ، وإن لله عز وجل ملائكة وكلهم بنبات الأرض من الشجر والنخل فليس من شجرة ولا نخلة إلا ومعها من الله عز وجل ملك يحفظها وما كان فيها ولولا أن معها من يمنعها لأكلها السباع وهوام الأرض إذا كان فيها ثمرها ، قال : و إنما نهى رسول الله ﷺ أن يضرب أحد من المسلمين خلاه تحت شجرة أو نخلة قد أثمرت لما كان الملائكة الموكلين بها ، قال : ولذلك يكون الشجر والنخل إنساً إذا كان فيه حمله ،^(١) لأن الملائكة تحضره .

إيضاح : القطف بالكسر : اسم للثمار المقطوعة من أصولها . وشخص البصر : فتحه بحيث لا يطرف . والفريضة : ودج العنق واللحمة بين الجنب والكتف لاتزال ترعد .

١٢ - فس : قوله : وهو بالأفق الأعلى يعني رسول الله ﷺ ، ثم دنى يعني رسول الله ﷺ من ربه عز وجل فتدلى ، قال : إنما أنزلت «ثم دنى فتدانا فكان قاب قوسين» قال : كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية أو أدنى ،^(٢) قال : بل أدنى من ذلك ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، قال : وحي المشافهة .

تبيين : قال الجوهرى تقول : بينهما قاب قوس ، وقب قوس ، وقاد قوس ، وقيد قوس أي قدر قوس ، والقاب ما بين المقبض والسية ، ولكل قوس قابان . وقال بعضهم في قوله تعالى : «فكان قاب قوسين» أراد قابي قوس فغلبه .

١٣ - ل : في مسائل اليهودي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له : فربك يحمله أو يحمله ؟ قال : إن ربي عز وجل يحمله كل شيء ، بقدرته ، ولا يحمله شيء . قال : فكيف قوله عز وجل : «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» ؟ قال : يا يهودي ألم تعلم أن لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، فكل شيء على الثرى ، والثرى على القدرة ، والقدرة تحمل كل شيء . الخبر .

١٤ - يد ، ن : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن علي الأنصاري ، عن الهروي قال : سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً»

(١) وفي نسخة : ولذلك يكون للشجر والنخل إنساً إذا كان فيه حمله .

(٢) سية القوس بكسر السين : ماءطف من طرفيها .

فقال : إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض ، وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله عزّ وجلّ ، ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنه على كل شيء قدير ، ثم رفع العرش بقدرته ونقله ، وجعله فوق السماوات السبع ، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهو مستول على عرشه ، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ، ولكنه عزّ وجلّ خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء ، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرّة بعد مرّة ، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنه عني عن العرش وعن جميع ما خلق ، لا يوصف بالكون على العرش لأنه ليس بجسم ، تعالى عن صفة خلقه علواً كبيراً .

١٥ - يد ، مع ، ن : المعاذي ، عن أحمد الهمداني ^(١) ، عن علي بن فضال ^(٢) ، عن أبيه قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «كلاً إنهم عن ربهم يومئذ محبوبون» فقال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده ، ولكنه يعني أنهم عن ثواب ربهم محبوبون .

قال : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ «وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً» فقال : إن الله عزّ وجلّ لا يوصف بالمجيب ، والذهاب ، تعالى عن الانتقال ، إنما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفّاً صفّاً .

(١) هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني الحافظ ، المكنى بأبي العباس ، المعروف بابن عقدة ، كان كوفياً زدياً جارودياً ثقة ، تقدم ترجمته مفصلاً .

(٢) هو علي بن الحسن بن علي بن فضال بن عمر بن أيمن مولى عكرمة بن ريمي الفياض أبو الحسن كان فقيه أصحابنا بالكوفة ، ووجههم وتقنهم وعارفهم بالحديث والسموع قوله فيه ، سمع منه شيئاً كثيراً ولم يشر له على زلة فيه ولا ما يشينه ، وقل ما روى عن ضعيف ، وكان فطحياً ، ولم يرو عن أبيه شيئاً ، وقال : كنت أقابله - وسني ثمان عشرة سنة - بكتبه ، ولا أفهم إذ ذاك الروايات ، ولا أستحل أن أروها عنه ، و روى عن أخويه عن أبيهما ، و ذكر أحمد بن الحسين رحمه الله أنه رأى نسخة أخرجها أبو جعفر بن بابويه ، وقال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن اسحاق الطالقاني ، قال : حدثنا أحمد بن سعيد ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ، عن الرضا عليه السلام ، ولا يعرف الكوفيون هذه النسخة ، ولا رويت من غير هذا الطريق . قال النجاشي وعده له كتباً كثيرة .

قال : وسألته عن قول الله عز وجل : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة» قال : يقول : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام ، وهكذا نزلت . قال : وسألته عن قول الله عز وجل : «سخر الله منهم» وعن قول الله : «يستهزي بهم» وعن قوله تعالى : «ومكروا ومكر الله» وعن قول الله عز وجل : «يخادعون الله وهو خادعهم» . فقال : إن الله عز وجل لا يسخر ولا يستهزي ، ولا يمكر ولا يخادع ، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ج : مرسل عنه عليه السلام

بيان : قال الزمخشري في الآية الأولى : كونهم محجوبين عنه ، تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا المهانون عندهم . وقال الرازي في الآية الثانية : اعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله محال لأن كل ما كان كذلك كان جسماً ، والجسم مستحيل أن يكون أزلياً ، فلا بد فيه من التأويل ، وهو أن هذا من باب حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه : ثم ذلك المضاف ما هو؟ فيه وجوه :

أحدها : وجاء أمر ربك للمحاسبة والمجازاة . وثانيها : وجاء قهر ربك كما يقال : جاء تنابوا مية أي قهرهم . وثالثها : وجاء جلائل آيات ربك ، لأن هذا يكون يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم تظهر العظام وجلائل الآيات ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات . ورابعها : وجاء ظهوره ، وذلك لأن معرفة الله تصير ذلك اليوم ضرورة فصار ذلك كظهوره و تجليه للخلق ، فقال : وجاء ربك أي زالت الشبه و ارتفعت الشكوك . وخامسها : أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا ظهر بنفسه فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة ، السياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها . وسادسها : أن الرب المرابي فلعن ملكاً هو أعظم الملائكة هو مرب للنبي صلى الله عليه وآله جداً ، فكان هو المراد من قوله : وجاء ربك . وقال الطبرسي رحمه الله في الآية الثالثة : أي هل ينتظر هؤلاء المكذبون بآيات الله

إلا أن يأتيهم أمر الله أي عذاب الله ، وما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب ، و قيل : قطع من السحاب ، وهذا كما يقال : قتل الأمير فلاناً وضربه وأعطاه ، وإن لم يتول شيئاً من ذلك بنفسه ، بل فعل بأمره فأُسند إليه لأمره به . وقيل : معناه ما ينتظرون إلا أن تأتيهم جلائل آيات الله ، غير أنه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال : دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده ، وإنما ذكر الغمام ليكون أهول ، فإن الأهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه : « وإذا غشيهم موج كالظلل » وقال الزجاج : معناه : يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب ، كما قال : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » أي أتاهم بخذلانه إيّاهم ؛ والأقوال متقاربة . وقد يقال : أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء ، والذهاب ، يقال : أتاني وعيد فلان ، وجاءني كلام فلان ، وأتاني حديثه ، ولا يراد به إلا تيان الحقيقي ، ثم قال : وقرأ أبو جعفر الملائكة بالجر ، قال : وقيل : معنى الآية : إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام أي بجلائل آياته وبالملائكة . انتهى أقول : على قرائته بالتأني لا يحتاج إلى شيء من هذه التأويلات .

١٦ - ج : عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في جواب اليهودي الذي سأل عن معجزات الرسول صلوات الله عليه وآله : إنه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر ، وخرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقل من ثلث ليلة ، حتى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلى ، فدلى له من الجنة رفرق أخضر وغشى النور بصره فرأى عظمة ربه بفؤاده ولم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينها وبينه أو أدنى . الخبر .

بيان : الضمير في قوله : بينها راجع إلى الجنة ، ورجوعه إلى العظمة بعيد .

١٧ - يد ، ع : ابن عصام ، عن الكليني ، عن علي بن محمد بن سليمان ، عن إسماعيل ابن إبراهيم ، عن جعفر بن محمد التميمي ، عن الحسين بن علوان ، عن عمرو بن خالد ، عن زيد بن علي قال : سألت أبي سيد العابدين عليه السلام فقلت له : يا أبا أخبرني عن جدنا رسول الله صلوات الله عليه وآله لما عرج به إلى السماء وأمره ربه عز وجل بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران عليه السلام : ارجع إلى ربك .

فاسأل التخفيف ، ^(١) فإن أمتك لاتطبق ذلك ؛ فقال يا بني : إن رسول الله ﷺ كان لايقترح ^(٢) على ربه عز وجل ولايراجعه في شيء ، يأمره به ، فلما سأله موسى ﷺ ذلك فكان شفيحاً لأُمَّته إليه لم يجزله رد شفاعة أخيه موسى فرجع إلى ربه فسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات .

قال : قلت له : يا أبة فلم لا يرجع إلى ربه عز وجل ^(٣) ويسأله التخفيف عن خمس صلوات وقد سأله موسى ﷺ أن يرجع إلى ربه و يسأله التخفيف ؛ فقال يا بني أراد ﷺ أن يحصل لأُمَّته التخفيف مع أجر خمسين صلاة يقول الله عز وجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ألا ترى أنه ﷺ لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل ﷺ فقال : يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول : إنها خمس بخمسين ، ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد قال : قلت له : يا أبة أليس الله تعالى ذكره لا يوصف بمكان ؛ قال : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قلت : فما معنى قول موسى ﷺ لرسول الله ﷺ : ارجع إلى ربك ؛ فقال : معناه معنى قول إبراهيم ﷺ : إنني ذاهب إلى ربي سيهدين ، ومعنى قول موسى ﷺ : و عجلت إليك رب لترضى ، ومعنى قوله عز وجل : « ففرشوا إلى الله » يعني حجوا إلى بيت الله ، يا بني إن الكعبة بيت الله تعالى ، فمر حج بيت الله فقد قصد إلى الله ، والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه ، والمصلي مادام في صلاته فهو واقف بين يدي الله جل جلاله ، وأهل موقف عرفات هم وقوف بين يدي الله عز وجل ، وإن لله تبارك و تعالى بقاعاً في سماواته فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه ، ألا تسمع الله عز وجل يقول : « تعرج الملائكة والروح إليه » ويقول في قصة عيسى ﷺ : « بل رفعه الله إليه » ويقول عز وجل : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

بيان : الغرض من ذكر هذه الاستشهادات بيان شيوع تلك الاستعمالات و التجوزات في لسان أهل الشرع والعرف .

(١) وفي نسخة : فاسأله التخفيف .

(٢) اقترح عليه كذا أو بكذا : تحكم وسأله إياه بالعنف ومن غير روية .

(٣) وفي نسخة : فلم لم يرجع إلى ربه عز وجل .



١٨ - يد : ماجيلويه ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المغيرة رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تعالى خلو من خلقه ، وخلقه خلومنه ، و كل ما وقع عليه اسم شيء ، فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل .

يد : حمزة العلوي ، عن علي ، عن أبيه ، عن علي بن عطية ، عن خثيمة ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وابن الوئيد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله بزيادة .

١٩ - يد : حمزة العلوي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » فقال : هو واحد أحدي الذات ، بائن من خلقه ، وبذاك وصف نفسه ، وهو بكل شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالإحاطة والعلم بالذات لأن الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمه الحواية .

بيان : ما يكون من نجوى ثلاثة أي ما يقع من تناجي ثلاثة ، و يجوز أن يقدر مضاف ، أو يؤول نجوى بمتناجين ، ويجعل ثلاثة صفة لها . إلا وهو رابعهم أي إلا الله يجعلهم أربعة من حيث إنه يشار كهم في الإطّلاع عليها . ولا خمسة أي ولا نجوى خمسة ، وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة ، أو لأن الله وتر يحب الوتر ، والثلاثة أوّل الأوتار ، أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما .

ثم أعلم أنه لما كان القدام والخلف واليمين والشمال غير متميزة إلا بالاعتبار عد الجميع حدّين والفوق والتحت حدّين فصارت أربعة ، والمعنى : أنه ليست إحاطته سبحانه بالذات لأن الأماكن محدودة فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكّن ، وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكّن كالمكان .



٢٠ - يد : العطار ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن الحسن بن علي الخزاز ، عن
 مشي الحنط ، عن أبي جعفر - أظنه محمد بن النعمان - قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن
 قول الله عز وجل : «وهو الله في السماوات وفي الأرض» قال : كذلك هو في كل مكان .
 قلت : بذاته ؟ قال : ويحك إن الأماكن أقدار ، فإذا قلت : في مكان بذاته لزمك أن تقول
 في أقدار وغير ذلك ، ولكن هو بائن من خلقه ، محيط بما خلق علماً وقدرة وإحاطة
 وسلطاناً ، وليس علمه بما في الأرض باقل مما في السماء ، لا يبعد منه شيء ، و الأشياء
 له سواء علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً وإحاطة .

تفسير : قال البيضاوي : «وهو الله» الضمير لله ، والله خبره ؛ في السماوات وفي الأرض
 متعلق باسم الله ، والمعنى : هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله : «هو الذي في السماء إله
 وفي الأرض إله» أو بقوله : «يعلم سركم وجهركم» والجملة خبر ثان أو هي الخبر ، والله
 بدل ، ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما ، كقولك : رميت الصيد في الحرم - إذا كنت
 خارجه و الصيد فيه - أو ظرف مستقر وقع خبراً بمعنى أنه تعالى لكمال علمه بما فيهما
 كأنه فيهما . ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له .

٢١ - يد : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال :
 قال أبو شاكر الديباني : إن في القرآن آية هي قوة لنا . قلت : وما هي ؟ فقال : «وهو
 الذي في السماء إله وفي الأرض إله» فلم أدر بما أجيبه ، فحججت فخبرت أبا عبد الله
عليه السلام فقال : هذا كلام زنديق خبيث ، إذا رجعت إليه فقل له : ما اسمك بالكوفة ؟
 فإنه يقول : فلان ، فقل : ما اسمك بالبصرة ؟ فإنه يقول : فلان ، فقل كذلك الله ربنا
 في السماء إله وفي الأرض إله ، وفي البحار إله ، وفي كل مكان إله . قال : فقدمت فأبيت
 أباشاكر فأخبرته فقال : هذه نقلت من الحجاز .

بيان : لعل هذا الديباني لما كان قائلاً بالهين : نور ملكه السماء ، وظلمة ملكها
 الأرض ، أو الآية بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله : وفي الأرض إله جملة تامة معطوفة
 على مجموع الجملة السابقة أي وفي الأرض إله آخر ، ويظهر من بعض الأخبار أنه كان

من الدهريين فيمكن أن يكون استدلاله بما يوهم ظاهر الآية^(١) من كونه بنفسه حاصلاً في السماء والأرض فيوافق ما ذهبوا إليه من كون المبدء الطبيعية فإنها حاصلة في الأجرام السماوية والأجسام الأرضية معاً، فأجاب عليه السلام بأن المراد أنه تعالى مسمي بهذا الاسم في السماء وفي الأرض؛ والأكثر على أن الظرف متعلق بالإله، لأنه بمعنى المعبود، أو مضمن معناه كقولك: هو حاتم في البلد.

٢٢ - يد: القطبان والدقاق معاً، عن ابن زكريا القطبان، عن ابن حبيب، عن محمد بن عبيد الله، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن بن أسود، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وآله صديقان يهوديان قد آمنا بموسى رسول الله وأتيا محمداً صلى الله عليه وآله وسمعا منه، وقد كانا قرءا التوراة و صحف إبراهيم عليه السلام، وعلما عام الكتب الأولى فلما قبض الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله أقبلنا يسألان عن صاحب الأمر بعده وقالوا: إنه لم يمت نبي قط إلا وله خليفة يقوم بالأمر في أمته من بعده، قريب القرابة إليه من أهل بيته، عظيم القدر،^(٢) جليل الشأن. فقال أحدهما لصاحبه: هل تعرف صاحب الأمر من بعد هذا النبي؟ قال الآخر: لا أعلمه إلا بالصفة التي أجدها في التوراة هو الأصلع^(٣) المصفر فإنه كان أقرب القوم من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما دخلا المدينة وسألا عن الخليفة أرشداً إلى أبي بكر، فلما نظرا إليه قالوا: ليس هذا صاحبنا، ثم قالوا له: ما قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: إنني رجل من عشيرته، وهو زوج ابنتي عائشة قالوا: هل غير هذا؟ قال: لا، قالوا: ليست هذه بقرابة فأخبرنا أين ربك؟ قال: فوق سبع سماوات! قالوا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالوا: دلنا على من هو أعلم منك، فإنك أنت لست بالرجل الذي نجد في التوراة أنه وصي هذا النبي وخليفته. قال: فتغيظ من قولهما، وهم بهما،^(٤) ثم أرشدهما إلى عمر، وذلك أنه عرف من عمر أنهما إن

(١) أو يكون استدلاله بظاهرها على وقوع التناقض في القرآن فيكون صادراً من غير حكيم

فيكون فيها قوة له من إنكاره الصانع وبطلان الشرائع.

(٢) وفي نسخة: عظيم الخطر.

(٣) الأصلع: من سقط شعر مقدم رأسه.

(٤) أي عزم علي قتلها.



استقبلاه بشيء بطش بهما، (١) فلما أتياه قالا : ما قرابتك من هذا النبي؟ قال : أنا من عشيرته ، وهو زوج ابنتي حفصة . قالا : هل غير هذا؟ قال : لا . قالا : ليست هذه بقرابة وليست هذه الصفة التي نجدها في التوراة ، ثم قالا له : فأين ربك؟ قال : فوق سبع سماوات ! قالا : هل غير هذا؟ قال : لا . قالا : دلنا على من هو أعلم منك فأرشدتهما إلى عليٍّ عليه السلام فلما جاءاه فنظرا إليه قال أحدهما لصاحبه : إنه الرجل الذي صفته في التوراة ، إنه وصي هذا النبي ، وخليفته وزوج ابنته ، وأبو السبطين والقائم بالحق من بعده

ثم قالا لعليٍّ عليه السلام : أيها الرجل ما قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال : هو أخي وأنا وارثه ووصيه ، وأول من آمن به ، وأنا زوج ابنته .

قالا : هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة ، وهذه الصفة التي نجدها في التوراة فأين ربك عز وجل؟ .

قال لهما عليٌّ عليه السلام : إن شئتما أنباتكما بالذي كان علي عهد نبيكما موسى عليه السلام ، وإن شئتما أنباتكما بالذي كان علي عهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله . قالا : أنبتنا بالذي كان علي عهد نبينا موسى عليه السلام .

قال عليٌّ عليه السلام : أقبل أربعة أملاك : ملك من المشرق ، وملك من المغرب ، وملك من السماء ، وملك من الأرض ، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من أين أقبلت؟ قال : أقبلت من عند ربي ؛ وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من أين أقبلت؟ قال : أقبلت من عند ربي ؛ وقال النازل من السماء للخارج من الأرض : من أين أقبلت؟ قال : أقبلت من عند ربي ؛ وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء : من أين أقبلت؟ قال : أقبلت من عند ربي فهذا ما كان علي عهد نبيكما موسى عليه السلام .

و أمّا ما كان علي عهد نبينا فذلك قوله في محكم كتابه : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » . الآية .

(١) أي فتك بهما وأخذهما بصولة وشدة .



قال اليهوديان : فما منع صاحبك أن يكونا جعلاك في موضعك الذي أنت أهله ؟ فوالذي أنزل التوراة على موسى إنك لانت الخليفة حقاً ، نجدصفتك في كتبنا ونقرؤه في كنائسنا ، و إنك لانت أحق بهذا الأمر وأولى به ممن قدغلبك عليه . فقال علي عليه السلام : قدما وأخرا وحسابهما على الله عز وجل يوقفان ويسألان .

٢٣ - يد : العطار ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم ابن محمد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : يا أبا جعفر أخبرني عن ربك متى كان ؟

فقال : ويلك إنما يقال لشيء لم يكن فكان : «متى كان» إن ربّي تبارك وتعالى كان لم يزل حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كيف ، ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لكانه مكاناً .^(١) الخبر .

٢٤ - يد : وروي أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام : أين كان ربنا قبل أن يخلق سماءاً وأرضاً ؟ فقال عليه السلام : «أين» سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

٢٥ - يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن ابن أبان ، عن ابن أورمة ،^(٢) عن ابن محبوب ، عن صالح بن حمزة ، عن أبان ، عن أسد ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك ، لو كان عزاً وجل على شيء لكان محمولاً ،^(٣) ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً .^(٤)

(١) كذا فيما عندنا من النسخ ، وفي التوحيد المطبوع : ولا ابتدع لكونه مكاناً . وفي نسخة أخرى منه : ولا ابتدع لكانه مكاناً .

(٢) بضم الهمزة وإسكان الواو وفتح الراء المهملة ، كذا في الخلاصة . وأورد النجاشي وغيره ترجمته في كتبهم ، قال النجاشي في ص ٢٣١ من رجاله : محمد بن أورمة أبو جعفر القمي ذكره القميون وغزوا عليه ورموه بالفلو ، حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلح من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه ، وحكى جماعة من شيوخ القميين ، عن ابن الوليد أنه قال : محمد بن أورمة طعن عليه بالفلو ، فكل ما كان في كتبه مما وجد في كتاب الحسين بن سعيد وغيره فقل به ، وما تفرد به فلا تعتمد ، وقال بعض أصحابنا : إنه رأى توقيعات أبي الحسن الثالث عليه السلام إلى أهل قم في معنى محمد بن أورمة وبراهته مما قذف به ، وكتبه صحاح إلا كتاباً ينسب إليه ترجمته تفسير الباطن فانه مختلط .

(٣) ولازمه جسميته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

(٤) يأتي الحديث بطريق آخر عن المفضل تحت الرقم ٣٩ .



بيان : لكان محمولاً أي محتاجاً إلى ما يحمله . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : محصوراً أي عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان ، أو محصوراً بذلك الشيء ، و محويّاً به فيكون له انقطاع و انتهاء فيكون ذا حدود و أجزاء .

٢٦ - يد : أبي ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن حماد بن عمرو ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : كذب من زعم أن الله عزّ وجلّ في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء .
قال الصدوق رحمه الله : الدليل على أن الله عزّ وجلّ لا في مكان أن الأماكن كلها حادثة ، وقد قام الدليل على أن الله عزّ وجلّ قديم سابق للأماكن ، و ليس يجوز أن يحتاج الغني القديم إلى ما كان غنياً عنه ، ولا أن يتغيّر عمّالهم يزل موجوداً عليه ، فصحّ اليوم أنّه لا في مكان كما أنّه لم يزل كذلك ؛ وتصديق ذلك ما حدثنا به القطان ، عن ابن زكريّا القطان ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن سليمان المرزقي ، عن سليمان بن مهران قال : قلت لجعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ هل يجوز أن نقول : إنّ الله عزّ وجلّ في مكان ؟ فقال : سبحان الله وتعالى عن ذلك إنّه لو كان في مكان لكان محدثاً لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان ، و الاحتياج من صفات الحدث ، لا من صفات القديم .

٢٧ - يد : الدقاق ، عن الأُسديّ ، عن البرمكيّ ، عن عليّ بن عباس ، عن الحسن ابن راشد ، عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال : إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان ، وهو الآن كما كان ، لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ، ولا يحلّ في مكان ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه ، احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، لا إله إلا هو الكبير المتعال .^(١)

(١) من غرد الاحاديث ؛ وكون الخلق حجاباً بأنفسهم نظير قول الرضا عليه السلام في خطبته الاتية تحت رقم ٣ من باب جوامع التوحيد : « حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه و بينها غيرها » الخطبة . معناه استعالة المعاينة بالاحاطة اذ لا يمكن ذلك إلا بارتفاع الحجاب ومع ارتفاع الحجاب الذي هو نفس الخلق لا يبقى موضوع الخلق هذا . وهذا الكلام إذا انضم إلى قول أمير المؤمنين .

بيان : قوله : غير خلقه أي ليس الحجاب بينه و بين خلقه إلا عجز المخلوق عن الإحاطة به . وقوله : محجوب إماماً نعت لحجاب ، أو خبر مبتدأ محذوف ، فعلى الأول فهو إماماً بمعنى حاجب إذ كثيراً ما يجيب ، صيغة المفعول بمعنى الفاعل كما قيل في قوله تعالى : «حجاباً مستوراً» أو بمعناه ويكون المراد أنه ليس له تعالى حجاب مستور ، بل حجاب ظاهر وهو تجرّده وتقدّسه وعلوه عن أن يصل إليه عقل أو وهم ، ويحتمل على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجة الذي أقامه بينه وبين خلقه فهو ظاهر غير مخفي ، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد به أنه لم يحتجب بحجاب مخفي فكيف الظاهر . وأمّا على الثاني فالظرف متعلق بقوله : محجوب أي هو محجوب بغير حجاب ، و ههنا احتمال ثالث و هو أن يكون محجوب مضاف إليه بتقدير اللأم ، و إجراء الاحتمالات في الفقرة الثانية ظاهر ، و هي إماماً تأكيداً للأولى أو الأولى إشارة إلى الاحتجاب عن الجواس و الثانية إلى الاستتار عن العقول والأفهام .

٢٨ - يد : محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي ، عن أحمد بن محمد بن محمد النشوي ، عن أحمد بن محمد الصفدي ، عن محمد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ معاً ، عن محمد بن سنان الحنظلي عن عبد الله بن عاصم ، عن عبد الرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرهثاني ، عن زاذان ، عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجائليق المدينة مع مائة من النصاري بعد وفاة النبي ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ثم أُرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فسأله عنها فأجابها ، فكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى ، فدعا علي ﷺ بنار وخطب فأضرمه فلما اشتعلت قال علي ﷺ : أين وجه هذه النار ؟ قال النصراني : هي وجه من جميع حدودها . قال علي ﷺ : هذه النار مدبرة مصنوعة لا تعرف وجهها ، وخالفها لا يشبهها ؛ والله المشرق والمغرب

• عليه السلام في خطبته الآتية تحت رقم ٣٤ من باب جوامع التوحيد : «حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لأحجاب بينه وبين خلقه غير خلقه» الخطبة أفاد أن العباد لو انصرفوا عن الاشتغال بأنفسهم واتباع هواهم وتوجهوا إلى ربهم لاشرقت عليهم أنوار العظمة الإلهية ، وهذا هو الذي يعبر عنه برؤية القلب كما مر في عدة من الاخبار في باب نفى الرؤية . ط

فأينما تولّوا فثمّ وجه الله ، لا يخفى على ربّنا خافية . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

٢٩ - يد : الأشناني ، عن علي بن مهرويه ، عن داود بن سليمان ، عن الرضا ، عن أبيه ، عن آباءه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن موسى بن عمران لما ناجى ربّه قال : يارب أبعد أنت منّي فأزاديك ، أم قريب فأناجيك ، فأوحى الله جلّ جلاله إليه : أناجليس من ذكرني . فقال موسى : يارب إنّي أكون في حال أجلك أن أذكرك فيها . فقال : يا موسى اذكرني على كل حال .

٣٠ - يد : محمد بن إبراهيم الفارسي ، عن أبي سعيد الرمحي ، عن محمد بن عيسى الواسطي ، عن محمد بن زكريا المكيّ قال : أخبرني منيف - مولى جعفر بن محمد - قال : حدّثني سيدي جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال : كان الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١) يصلي فمرّ بين يديه رجل فنهاء بعض جلسائه فلمّا انصرف من صلاته قال له : لم نهيت الرجل ؟ قال : يا ابن رسول الله حظ فيما بينك وبين المحراب . فقال : ويحك إن الله عزّ وجلّ أقرب إليّ من أن يحظر فيما بيني وبينه أحد .

٣١ - يد : المظفر العلوي ، عن ابن العياشي ، عن أبيه ، عن الحسين بن اشكيب ، ^(٢) عن هارون بن عقبة ، عن أسد بن سعيد ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال الباقر عليه السلام : يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله عزّ وجلّ ، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، ولقد وضع عبداً لله قدمه على حجر ^(٣) فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلي ، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه ، تعالى عن صفة الواصفين ، وجلّ عن أوهام المتوهّمين ، واحتجب عن أعين الناظرين ، لا يزول مع الزائلين ، ولا يأفل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم .

(١) وفي نسخة : كان الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

(٢) بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة أو السين المهملة ، والكاف والياء المثناة من تحت

والباء الموحدة .

(٣) وفي نسخة : على صخرة .



٣٢ - يد : الدقاق ، عن الأُسدي ، عن البرمكي ، عن علي بن عيَّاش ، عن الحسن ابن راشد ، عن يعقوب بن جعفر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال : لا أقول : إنه قائم فأزيله عن مكانه ، ولا أحده بمكان يكون فيه ، ولا أحده أن يتحرك في شيء ، من الأركان والجوارح ، ولا أحده بلفظ شقّ فم ، ولكن كما قال تبارك وتعالى : كن فيكون بمشيئته ، من غير تردد في نفس ، فرد سمد لم يحتج إلى شريك يكون له في ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

ج : عن يعقوب مثله .

٣٣ - يد : السناني ، عن الأُسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبي بصير ؛ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون ، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٣٤ - يد : محمد بن إبراهيم بن إسحاق العزائمي ، عن أحمد بن محمد بن رميح ، ^(١) عن عبد العزيز بن إسحاق ، عن جعفر بن محمد الحسن ، عن محمد بن علي بن خلف ، عن بشر ابن الحسن ، عن عبد القدوس ، عن أبي إسحاق السبعي ، عن الحارث الأعور ، عن علي ابن أبي طالب عليه السلام أنه دخل السوق فإذا هو برجل مولاه ظهره يقول : لا والذي احتجب بالسبع ؛ فضرب علي عليه السلام ظهره ثم قال : من الذي احتجب بالسبع ؟ قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : أخطأت ثكلتك أمك ، إن الله عزّ وجلّ ليس بينه وبين خلقه حجاب لأنه معهم أينما كانوا .

قال : ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن تعلم أن الله معك حيث كنت ؛ قال : أطمع المساكين ؟ قال : لا إنما حلفت بغير ربك .

٣٥ - يد : الدقاق ، عن أبي القاسم العلوي ، عن البرمكي ، عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القمي ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم - في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام - قال : سأله عن قوله : «الرحمن على العرش استوى»

(١) في نسخة من التوحيد : عن أحمد بن محمد بن رميح .

قال أبو عبد الله عليه السلام : بذلك وصف نفسه ، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ، ولا أن يكون العرش حاوياً له ، ولا أن العرش محتاز له ، و لكننا نقول : هو حامل العرش ، وممسك العرش ؛ ونقول من ذلك ما قال : «وسع كرسيه السموات والأرض» فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته ، و نفينا أن يكون العرش أو الكرسي حاوياً له ، وأن يكون عزاً وجللاً محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء ، مما خلق ، بل خلقه محتاجون إليه .

قال السائل : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء و بين أن تخفضوها نحو الأرض : قال أبو عبد الله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء ، ولكنّه عز وجلّ أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق فثبتنا ما ثبتته القرآن والأخبار عن الرسول صلّى الله عليه وآله حين قال : ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجلّ . وهذا يجمع عليه فرق الأمة كلها .

قال السائل : فتقول : إنه ينزل إلى السماء الدنيا ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : نقول ذلك ، لأن الروايات قد صحّت به و الأخبار . قال السائل : وإذا نزل أليس قد حال عن العرش و حوّلته عن العرش انتقال ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملاحة والسأمة و ناقل ينقله و يحوّلته من حال إلى حال ، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال ، ولا يجري عليه الحدوث ، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحى عن مكان خلامنه المكان الأوّل ولكنه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة . ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنّما يكشف عن عظّمته ، ويرى أوليائه نفسه حيث شاء ، ويكشف ما شاء من قدرته ، ومنظره في القرب والبعد سواء .

ثم قال : قال مصنف هذا الكتاب : قوله عليه السلام : إنه على العرش إنه ليس بمعنى التمكّن فيه ، ولكنه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال : فلان على خير واستعانة على عمل كذا وكذا ، ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه ، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه ، وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة ، ولكنه على معنى

إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا لأن العرش هو المكان الذي ينتهي إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه ، وقد يجعل الله عز وجل السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش . وقوله : يري أوليائه نفسه فإنه يعني بإظهار بدائع فطرته ، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوة وقدرة وخيلاً ورجلاً : قد أظهر نفسه ، وعلى ذلك دل الكلام ومجاز اللفظ . أقول : من قوله قال السائل إلى آخر كلامه لم يكن في أكثر النسخ وليس في الاحتجاج أيضاً .

٣٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، وابن هاشم ، عن الحسن بن علي ، عن داود بن عليّ اليعقوبي ،^(١) عن بعض أصحابنا ، عن عبد الأعلی - مولى آل سام - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله يهوديٌ يقال له : سبحت^(٢) فقال له : يا محمد جئت أسألك عن ربك فإن أجبتني عما أسألك عنه وإلا رجعت . فقال له : سل عما شئت . فقال : أين ربك ؟ فقال : هو في كل مكان ،^(٣) وليس هو في شيء ، من المكان بمحدود . قال : فكيف هو ؟ فقال : وكيف أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق ؟ والله لا يوصف بخلقه . قال : فمن يعلم أنك نبي ؟ قال : فما بقي حوله حجر ولا مدر ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربي مبین : يا شيخ إنّه رسول الله .^(٤)

(١) بالياء المثناة كما هو المحكى عن الايضاح أو بالباء الموحدة نسبة إلى يعقوباً قرية من قرى البغداد على ما حكى عن الشهيد الثاني رحمه الله ، وهو داود بن علي الهاشمي المترجم في ص ١١٥ من رجال النجاشي بقوله : داود بن علي اليعقوبي الهاشمي أبو علي بن داود ، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، وقيل : روى عن الرضا عليه السلام ، له كتاب يرويه جماعة ، منهم عيسى بن عبد الله العمري .

(٢) اختلفت النسخ في ضبطه ففي بعضها «سبحت» بالياء الموحدة ثم الحاء المهملة ، وفي بعض آخر بالياء والفاء المعجمة ، وفي البحار المطبوع شجت «شبتت خل» وضبط بضم السين والياء و سکون الحاء المهملة ، وبضم السين وسكون الباء وفتح الحاء ، وبضم السين وسكون الباء وضم الفاء المعجمة ، وعلى أي حال كان رجلاً من ملوك فارس ، وكان ذرباً ، كما يأتي في حديث آخر .

(٣) في حديث آخر له : فقال : هو في كل مكان موجود بآياته .

(٤) وفي نسخة : يا سبحت إنه رسول الله .



فقال سبحت : بالله مارأيت كاليوم أين ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله ﷺ .

٣٧ - ص : الصدوق ، عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق ، عن أحمد بن محمد بن رميح ، عن أحمد بن جعفر ، عن أحمد بن علي ، عن محمد بن علي الخزاعي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن الصادق ، عن آباءه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم مثله .

ير : إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن علي مثله .

٣٨ - يد : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن حماد ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : كذب من زعم أن الله عز وجل من شيء ، أو في شيء ، أو على شيء .

٣٩ - يد : ماجيلويه ، عن عمه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : من زعم أن الله عز وجل من شيء ، أو في شيء ، فقد أشرك . ثم قال : من زعم أن الله من شيء ، فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنه في شيء ، فقد زعم أنه محصور ، ومن زعم أنه على شيء ، فقد جعله محمولاً .^(١)

٤٠ - يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر ، عن ابن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : من زعم أن الله عز وجل من شيء ، أو في شيء ، أو على شيء ، فقد كفر . قلت : فسر لي . قال : أعني بالحواية من الشيء له ، أو بما مساك له ، أو من شيء سبقه .

٤١ - وفي رواية أخرى قال : من زعم أن الله من شيء ، فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنه في شيء ، فقد جعله محصوراً ، ومن زعم أنه على شيء ، فقد جعله محمولاً .

بيان : قوله : بالحواية من الشيء له تفسير لقوله : في شيء ، وقوله : أو بما مساك له تفسير لقوله : على شيء ، وقوله : أو من شيء سبقه تفسير لقوله : من شيء .

٤٢ - يد : الطالقاني ، عن أحمد الهمداني ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصغدني ، عن محمد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ معاً ، عن محمد بن سنان الحنظلي ، عن عبد الله بن

(١) تقدم الحديث عن المفضل بطريق آخر تحت الرقم ٢٥ .

عاصم ، عن عبدالرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرمّاني ، عن زاذان ، عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجائليق المدينة مع مائة من النصاري بعد قبض رسول الله ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ، ثم أُرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله فأجابه فكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عن الرب أين هو وأين كان ؟ قال علي عليه السلام : لا يوصف الرب جلّ جلاله بمكان ، هو كما كان ، وكان كما هو ، لم يكن في مكان ، ولم يزل من مكان إلى مكان ، ولا أحاط به مكان ، بل كان لم يزل بلاحد ولا كيف . قال : صدقت ، فأخبرني عن الرب أفي الدنيا هو أوفي الآخرة ؟ قال علي عليه السلام : لم يزل ربنا قبل الدنيا هو مدبر الدنيا ، وعالم بالآخرة ، فأما أن يحيط به الدنيا والآخرة فلا ، ولكن يعلم ما في الدنيا والآخرة . قال : صدقت يرحمك الله .

ثم قال : أخبرني عن ربك أيحمله أو يُحمل ؟ فقال علي عليه السلام : إن ربنا جلّ جلاله يحمّل ولا يُحمّل . قال النصراني : وكيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ؟ فقال علي عليه السلام : إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير ، ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر ، وربك عز وجل مالكه لأنه عليه ككون الشيء على الشيء ، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدروا عليه . قال النصراني : صدقت رحمك الله . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

٤٥ - يد : الدقاق ، عن الأسيدي ، عن البرمكي ، عن جذعان بن نصر ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن عبدالرحمن بن كثير ، عن داود الرقي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : «وكان عرشه على الماء» فقال لي : ما يقولون ؟ قلت : يقولون : إن العرش كان على الماء والرب فوقه . فقال : فقد كذبوا ، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ، ووصفه بصفة المخلوقين ، وألزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه . قلت : بين لي جعلت فداك . فقال : إن الله عز وجل حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر ، فلما أن أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم : من ربكم ؟ فكان أول من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام فقالوا : أنت ربنا فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة علمي ودينني وأمنائي في خلقي ، و

هم المسؤولون ، ثم قيل لبني آدم : أقرئوا الله بالربوبية ، ولهؤلاء النفر بالطاعة . فقالوا : ربنا أقرنا . فقال للملائكة اشهدوا . فقالت الملائكة : شهدنا على أن لا يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين ، أو يقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعدهم أفهلكنا بما فعل المبطلون . ياداود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق .

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد : إن المشبهة تتعلق بقوله عز وجل : «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار» ولا حجة لها في ذلك لأنه عز وجل عنى بقوله : استوى على العرش أي ثم نقل العرش إلى فوق السماوات وهو مستولى عليه ومالك له ، فقوله عز وجل : «ثم» إنما هو لدفع العرش إلى مكانه الذي هو فيه ، ونقله للاستواء ، ولا يجوز أن يكون معنى قوله : استوى «استولى» لأن الاستيلاء لله تعالى^(١) على الملك وعلى الأشياء ليس هو بامر حادث ، بل كان لم يزل مالكاً لكل شيء ومستولياً على كل شيء ، وإنما ذكر عز وجل الاستواء بعد قوله : «ثم» وهو يعني الرفع مجازاً ، وهو كقوله : «ولنبلوكم حتى تعلموا منكم الذين هم الصابرين» فذكر «نعلم» مع قوله : «حتى» وهو عز وجل يعني : حتى يجاهدوا المجاهدون ونحن نعلم ذلك ؛ لأن حتى لا يقع إلا على فعل حادث وعلم الله عز وجل بالأشياء لا يكون حادثاً ؛ وكذلك ذكر قوله عز وجل : «استوى على العرش» بعد قوله «ثم» وهو يعني بذلك : ثم رفع العرش لاستيلائه عليه ؛ ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن ، لأن الله لا يجوز أن يكون جسماً ولا ذا بدن ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٢)

(١) في نسخة : لان استيلاء الله تعالى .

(٢) قال السيد الرضى قدس الله روحه في كتابه تلخيص البيان بعد قوله تعالى : «ثم استوى على العرش» : وهذه استعارة ، لان حقيقة الاستواء إنما توصف بها الاجسام التي تعلمو تهبط وتميل وتعند والمراد بالاستواء ههنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان ، لا بجلول القراد والمكان ، كما يقال : استوى فلان الملك على سريره ملكه بمعنى استولى على تدبير الملك ، وملك معقد الامر والنهي ، وبحسن صفة بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه ، ولا مكان عال يشار إليه ، وإنما المراد نفاذ امره في مملكته ، واستيلاء سلطانه على عينه .

فان قيل : فانه سبحانه مستول على كل شيء ، بقهره وغلبته ونفاذ أمره وقدرته ، فما معنى اختصاصه

٤٣ - سن : أبي ، عمّن ذكره قال : اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت ، فقالوا : إن هذا الرجل عالم - يعنون به علي بن أبي طالب عليه السلام - فانطلق بنا إليه لنسأله فأتوه فقيل له : هو في القصر ؛ فانتظروه حتى خرج ، فقال له رأس الجالوت : يا أمير المؤمنين جئنا نسألك . قال : سل يا يهودي عما بدالك . قال . أسألك عن ربنا متي كان ؟ فقال : كان بلا كينونة ، كان بلا كيف ، كان لم يزل بلاكم وبلا كيف ، كان ليس له قبل ، هو قبل القبل بلا قبل ، ولا غاية ولا منتهى غاية ، ولا غاية إليها ، انقطعت عنه الغايات ، فهو غاية كل غاية قال : فقال رأس الجالوت لليهود : امضوا بنا ^(١) فهذا أعلم مما يقال فيه ^(٢) .
بيان : ولا غاية إليها أي ينتهي إليها .

٤٤ - سن : القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام .
- وسئل عن معنى قول الله : «على العرش استوى» - فقال : استولى على مادق وجل .
ج : عن الحسن مثله .

٤٥ - يد ، مع : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال : سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل : «الرحمن على العرش استوى» قال : استوى من كل شيء ، فليس شيء ، أقرب إليه من شيء .
٤٦ - فس : محمد بن أبي عبدالله ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن محمد بن مارد أن أبا عبدالله عليه السلام سئل عن معنى قول الله عز وجل : «الرحمن على العرش استوى» فقال : استوى من كل شيء ، فليس شيء ، أقرب إليه من شيء .
يد : ماجيلويه ، عن محمد العطّار ، عن سهل ، مثله .

• العرش بالذکر ههنا ؛ قيل : كما ثبت أنه تعالى رب لكل شيء ، وقد قال في صفة نفسه : «رب العرش العظيم» وقال : «رب العرش الكريم» .

فان قيل : فما معنى قولنا : عرش الله إن لم يرد بذلك كونه عليه ؛ قيل : كما يقال : بيت الله وان لم يرد كونه فيه ، والعرش تطوف به الملائكة تعبداً ، كما أن البيت في الارض تطوف به الخلائق تعبداً .

(١) وفي نسخة : مروا بنا

(٢) وفي الرواية دلالة على كونه تعالى هو الـ «وب المطلق لكل شيء» .



يد : ابن الوليد ، عن محمد العطار ، عن سهل ، عن الخشاب رفعه عن ابي عبدالله عليه السلام مثله .

٤٧ - يد : ابي ، عن سعد ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبد الرحمن ابن الحججاج قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «الرحمن على العرش استوى» فقال : استوى من كل شيء ، فليس شيء اقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب ، استوى من كل شيء .

بيان : اعلم أن الاستواء يطلق على معان : الأول : الاستقرار والتمكن على الشيء الثاني : قصد الشيء ، والإقبال إليه . الثالث : الاستيلاء على الشيء . قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف و دم مهراق

الرابع : الاعتدال يقال : سويت الشيء ، فاستوى . الخامس : المساواة في النسبة .

فأما المعنى الأول فيستحيل على الله تعالى لما ثبت بالبراهين العقلية والنقلية من استحالة كونه تعالى مكانياً ، فمن المفسرين من حمل الاستواء في هذه الآية على الثاني أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك ؛ وقد روى أنه سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال : الاستواء : الإقبال على الشيء ، ونحو هذا قال الفراء والزجاج في قوله عز وجل : «ثم استوى إلى السماء» . والأكثر من حملها على الثالث أي استولى عليه وملكه و دبّره ، قال الزمخشري : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل إلا مع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على السرير ، يريدون ملكه ، وإن لم يقعد على السرير البتة . وإنما عبروا عن حصول الملك بذلك ، لأنه أصرح وأقوى في الدلالة من أن يقال : فلان ملك ، ونحوه قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل ، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت ، حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم يكن له يد رأساً وهو جواد قيل فيه : يده مبسوطة ؛ لأنه لا فرق عندهم بينه وبين قولهم : «جواد» انتهى . ويحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه فيكون قوله تعالى : على العرش

حاليّة ، وسيأتي توجيهه ولكنّه بعيد . وأمّا المعنى الخامس فهو الظاهر ممّا مرّ من الأخبار .

فاعلم أنّ العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذي أحاط بسائر الجسمانيّات ، وقد يطلق على جميع المخلوقات ، وقد يطلق على العلم أيضاً كما وردت به الأخبار الكثيرة ،^(١) وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم .

فإذا عرفت هذا فإمّا أن يكون **عَلِيٌّ** فسر العرش بمجموع الأشياء ، وضمن الاستواء ما يتعدّى بعلى ، كالاستيلاء والاستعلاء والإشراف ؛ فالمعنى : استوت نسبته إلى كلّ شيء ، حال كونه مستولياً عليها ؛ أو فسّره بالعلم و يكون متعلّق الاستواء مقدّراً أي تساوت نسبته من كلّ شيء ، حال كونه متمكناً على عرش العلم ، فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى وإنّها بالعلم والإحاطة ، أو المراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة كما فسّر بها أيضاً في بعض الأخبار أي استوى من كلّ شيء ، مع كونه في غاية العظمة ومتمكناً على عرش القدس والجلالة ؛ والحاصل أنّ علوّ قدره ليس مانعاً من دنوّه بالحفظ والتربية والإحاطة وكذا العكس ، وعلى التقادير فقوله : استوى خبر ، وقوله : على العرش حال ، ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير ، ولا يبعد على الاحتمال الأوّل جعل قوله : على العرش متعلّقاً بالاستواء بأن تكون كلمة على بمعنى إلى ، ويحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله : على العرش خبراً ، وقوله : استوى حالاً عن العرش لكنّه بعيد . وعلى التقادير يمكن أن يقال : إنّ النكتة في إيراد الرحمن بيان أنّ رحمانيته توجب استواء نسبته إيجاباً وحفظاً وتربية وعلماً إلى الجميع بخلاف الرحيمية فإنّها تقتضي إفاضة الهدايات الخاصّة على المؤمنين فقط ، وكذا كثير من أسمائه الحسنی تخصّ جماعة كما سيأتي تحقيقها . و يؤيد بعض الوجوه التي ذكرنا ما ذكره الصدوق رحمه الله في كتاب العقائد حيث قال : اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق ، و العرش

(١) قال الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه التبيان ذيل قوله تعالى : « ثم استوى على العرش »

في سورة بونس : قيل : إن العرش المذكور ههنا هو السماوات والأرض ، لأنهن من بنائه ، والعرش : البناء ، ومنه قوله : « يعرشون » أي يبنون ، وأمّا العرش العظيم الذي تعبد الله الملائكة بالحفوف به والاعظام له وعناء بقوله : « الذين يحملون العرش ومن حوله » فهو غير هذا .

في وجه آخر هو العلم ، وسئل عن الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى فقال : استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء انتهى . وإنما بسطنا الكلام في هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الألفهام

اقول : قد مرّت الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب نبات الصانع ، وباب نفي الجسم والصورة ، وسيأتي في باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على النصارى ، وباب العرش والكرسي ، وباب جوامع التوحيد .



إلى هنا تم الجزء الثالث من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة
المزدانة بتعاليق نفيسة قيّمة وفوائد جمّة ثمينة ؛ ويساوي
هذا المجلّد مع ١٠٤ صفحة من ثاني أجزاء الطبع
الكمباني ويحوي ٢٧٦ حديثاً في ١٤ باباً
والله الموفق للخير
والرشاد
جمادي الثانية ١٣٧٦ هـ



فهرست مافی هذا الجزء

الموضوع	الصفحة
باب ١ ثواب الموحدين والعارفين ، وبيان وجوب المعرفة وعلمته ، وبيان ماهو حق معرفته تعالى ؛ وفيه ٣٩ حديثاً .	١
باب ٢ علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه ؛ وفيه حديثان .	١٥
باب ٣ إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته ؛ وفيه ٢٩ حديثاً	١٦
باب ٤ توحيد المفضل .	٥٧
باب ٥ حديث الإهليلجية .	١٥٢
باب ٦ التوحيد ونفي الشريك ، ومعنى الواحد والأحد والحمد ، وتفسير سورة التوحيد ؛ وفيه ٢٥ حديثاً .	١٩٨
باب ٧ عبادة الأصنام والكواكب والأشجار والنيرين وعلة حدوثها وعقاب من عبدها أو قرب إليها قرباناً ؛ وفيه ١٢ حديثاً .	٢٤٤
باب ٨ نفي الولد والصاحبة ؛ وفيه ٣ أحاديث .	٢٥٤
باب ٩ النهي عن التفكر في ذات الله تعالى ، والخوض في مسائل التوحيد ، وإطلاق القول بأنه شيء ؛ وفيه ٣٢ حديثاً .	٢٥٧
باب ١٠ أدنى ما يجزي من المعرفة في التوحيد ، وأنه لا يعرف الله إلا به ؛ وفيه ٩ أحاديث .	٢٦٧
باب ١١ الدين الحنيف والفطرة وصبغة الله والتعريف في الميثاق ؛ وفيه ٢٢ حديثاً .	٢٧٦
باب ١٢ إثبات قدمه تعالى وامتناع الزوال عليه ؛ وفيه ٧ أحاديث .	٢٨٣
باب ١٣ نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد ، وأنه لا يدرك بالحواس والأوهام والعقول والأفهام ؛ وفيه ٤٧ حديثاً .	٢٨٧
باب ١٤ نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى ، وتأويل الآيات والأخبار في ذلك ؛ وفيه ٤٧ حديثاً .	٣٠٩

(رموز الكتاب)

<p> ثد : للبلد الامين . ثي : لامالي الصدوق . م : لتفسير الامام العسكري (ع) . ما : لامالي الطوسي . محص : للتمحيص . مد : للعمدة . مص : لمصباح الشريعة . مصبا : للمصباحين . مع : لمعاني الاخبار . مكا : لمكارم الاخلاق . مل : لكامل الزيارة . منها : للمنهاج . مهرج : لمهج الدعوات . ن : لعيون اخبار الرضا (ع) . نبه : لتنبيه الخاطر . نجم : لكتاب النجوم . نص : للكفاية . نهرج : لنهج البلاغة . ني : لغيبة النعماني . هد : للهداية . يب : للتهذيب . يج : للخرائج . يد : للتوحيد . ير : لبصائر الدرجات . يف : للطرائف . يل : للفضائل . ين : لكتابي الحسين بن سعيد او لكتابه والنوادر . يه : لمن لا يحضره الفقيه . </p>	<p> ع : لعلل الشرائع . عا : لدعائم الاسلام . عد : للعقائد . عدة : للعدة . عم : لاعلام الوري . عين : للعيون والمحاسن . غر : للغرر والدرر . غط : لغيبة الشيخ . غو : لغوالي اللثالي . ف : لتحف العقول . فتح : لفتح الابواب . فر : لتفسير فرات بن ابراهيم . فس : لتفسير علي بن ابراهيم . فض : لكتاب الروضة . ق : للكتاب العتيق الغروي . قب : لمناقب ابن شهر آشوب . قبس : لقبس المصباح . قضا : لقضاء الحقوق . قل : لاقبال الاعمال . قية : للدروع . ك : لاكمال الدين . كا : للكافي . كش : لرجال الكشي . كشف : لكشف الغمة . كف : لمصباح الكفعمي . كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً . ل : للخصال . </p>	<p> ب : لقرب الاسناد . بشا : لبشارة المصطفى . تم : لفلاح السائل . ثو : لثواب الاعمال . ج : للاحتجاج . جا : لمجالس المفيد . جش : لفهرست النجاشي . جع : لجامع الاخبار . جم : لجمال الاسبوع . جته : للجنة . حه : لفرحة الغري . ختص : لكتاب الاختصاص . خص : لمنتخب البصائر . د : للمعدد . سر : للسرائر . سن : للمحاسن . شا : للارشاد . شف : لكشف اليقين . شي : لتفسير العياشي . ص : لقصص الانبياء . صا : للاستبصار . صبا : لمصباح الزائر . صح : لصحيفة الرضا (ع) . ضا : لفقہ الرضا (ع) . ضوء : لضوء الشهاب . ضه : لروضة الواعظين . ط : للمصراط المستقيم . طا : لامان الاخطار . طب : لطب الائمة . </p>
---	---	--



مؤسسة جواد للطباعة والتصوير



جسدة مؤسسة جواد للطباعة والتصوير - شارع عبد الشكور - حي النخلة - الرياض - 11564



Books.Rafed.net